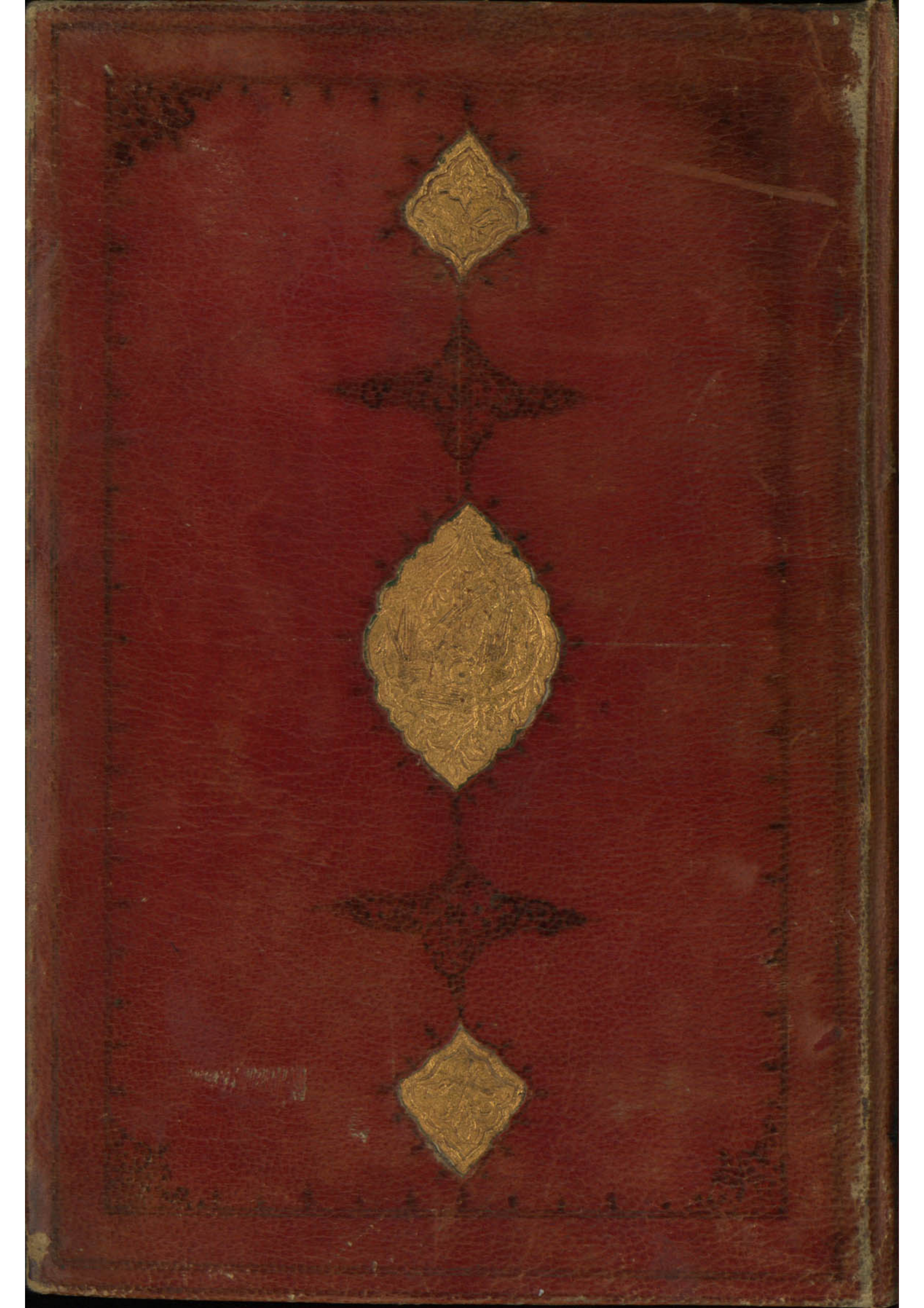




بازرسی شد
۳۵۵۴۳
سیاسة الملوک
بازدید شد
۱۳۸۲
کتابخانهٔ مجلس شورای ملی
کتاب
مؤلف
موضوع
شماره ثبت کتاب
۳۵۵۴۳
۵۷۶۷



کتابخانهٔ مجلس شورای ملی
کتاب سیاحة الملوک
مؤلف
موضوع
شماره ثبت کتاب
۳۵۵۴۳
بازدید شد
۱۳۸۲
بازرسی شد
سیاسة الملوک



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الظاهر بآياته الباطن بذاته القريب برحمته
البعيد بعزته الكريم بآلائه العظيم بكبريائه القادر
فلا يمانع والقاهر فلا ينازع والعزيز فلا يضام والمنيع
فلا يرام والمليك الذي له الاقضية والاحكام الذي تفرد
بالبقاء وتوحد بالعز والثناء واستاثر باحاسن الاسماء ودل على
قدرته بخلق الارض والسماء كان ولا مكان ولا زمان ولا ابنيان
ولا انسان فاوجد المعدوم ابداعا واحدث مالم يكن شيئا اختراعا جل
وتعالى فيما خلق عن احتذاء صورة واستدعاء مشورة واقتفاء رسم ومثال
وافتقار الى نظر وقياس واستدلال ففي كل ما ابدع وصنع وفطر وقدر دليل على انه الواحد
بلا شريك ووزير والقادر بلا ظهير ونصير والعالم بلا تبصير وتذكير

والحكيم بلا روية وتفكير والحي الذي لا يموت بيده الخير
وهو على كل شيء قدير رفع السماء عبرة للنظار وعلة للظلم
والانوار وسببا للغيوث والامطار وحيوة للحبوب
والقفار ومعاشا للوحوش والاطيار ووضع الارض
مهادا للابدان وقرارا للحيوان وفراشا للجنوب والمضاجع
وبساطا للمكاسب والمنافع وذلولا لطلاب الرزق و
ارباب البضائع واشخص الجبال اوتادا راسية واعلاما
بادية وعيونا جارية وارحاما لاجنة الاعلاق وحاوية
وجعل البحار مغايض لفضول الانهار ومغابر لسيول
الامطار ومراكب لرفاق التجار ومضارب لمصالح الامصار
ومناجح الاوطار تحوي من الدر والمرجان نباتا وتنبع
من الملح الاجاج عذبا فراتا وتقذف للآكلين لحما طريا
وتحمل للابسين جواهر وحليا واستخلف على عمارة
عالمه من انتجبهم من خلقه وآثرهم بالهامه ودبرهم
باوامره واحكامه وكان اعلمهم من ملائكته حيث



قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك
ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون وأقام عليهم مهيمنا من
لدنه يهديهم الرشاد ويجذ دهم الفساد ويرجيهم الثواب
وينذرهم العقاب ولم يقتصر على ما أقامه به من الحجة وأوضحه
من المحجة حتى ابتعث الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين
بالمعجزات الباهرة والدلالات الزاهرة والبينات المتظاهرة
داعين إلى توحيده ونادبين لتسبيحه وتمجيده فأزاح بهم
العلة وأزال الشبهة وأفاد سكون النفوس ونفى خلاج
الشكوك ولم يزل يستحدث من يشاء من خليقته موسومين
بسنن الأنبياء ومثل من قام بعدهم على مناهجهم من الولاة
والأمراء حتى انتهت نوبة الخلق إلى زمن النبي المصطفى
الأمين المجتبى الأبطحي الأريحي المرتضى محمد صلى
الله عليه وسلم فأرسله بالحق بشيرا ونذيرا وداعيا إلى
الله بإذنه وسراجا منيرا وجعل أمته به أفضل الأمم
وكلمتهم أعدل الكلم وملتهم أوسط الملل وقبلتهم أسد

القبل وسنتهم أقوم السنن وكتابهم أشرف الكتب ووعدهم
أن يكونوا يوم العدل والقضاء الفصل شهداء على من يظهر
الجحود وينكر الواحد المعبود وكذلك جعلناكم أمة
وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم
شهيدا فنسخت بشريعته الشرائع وبصنيعته الصنائع
وبدليله الأدلة وببدره الأقمار والأهلة وانتشرت
نبوته مسداة بالخلاص ملحمة بالإخلاص معلمة بالتمام
مطرزة بالدوام على تعاقب الليالي والأيام لم يفرط فيها
من شيء يقتضي تماما ولا يستدعي ذوبة والحاما قال
الله تعالى اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم
نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا فأطلق على الدين لفظ
الكمال لاستقامته على غاية الاعتدال وانتفائه عن عوارض
النقص والاختلال إلى أن قبضه الله جل ذكره إليه
مشكور السعي والأثر ممدوح النصر والظفر مرضي السمع
والبصر محمود العيان والخبر فاستخلف في أمته الثقلين



الذين يحميان الأقدام أن تزل والأحلام أن تضل والقلوب
أن تمرض والشكوك أن تعترض فمن تمسك بهما فقد أمن العثار
وربح اليسار ومن صدف عنهما فقد أساء الاختيار
وركب الخسار وارتدف الإدبار أولئك الذين اشتروا الضلالة
بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين فصلى الله عليه
وعلى آله ما انبلج الليل عن الصباح واقترن العز بأطراف الرماح
ونادى المنادي بحي على الفلاح صلاة تكافي حسن بلائه
وتضاهي سابق غنائه وتقضي فرض طاعته وتقتضي
فضل شفاعته وسلم تسليما وبعد فإن الدين والملك
توأمان فالدين أس والملك حارس وما لا أس له فمهدوم
وما لا حارس له فضائع والسلطان ظل الله سبحانه
في أرضه وخليفته على رعاية حقه به تنتظم السياسة
وعليه تستقيم الخاصة والعامة وبهيبته ترتفع الحوادث
والفتن وبإيالته تنحسم المخاوف والمحن ولولاه لاختل
النظام وتساوى الخاص والعام وشمل الهرج والمرج وعم

الاضطراب والهيج واشرأبت النفوس إلى ما في طباعها
من التباغي والتباين والتفاضل والتمايز حتى يشغلهم
ذلك عما يصلحهم معاشا ومعادا ويقيم أودهم يوما وغدا
وإلى هذا المعنى يلتفت قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه
ما يزع السلطان أكثر مما يزع القرآن إذ كان
أكثر الناس يرون ظاهر السياسات فيردعهم
خوف المعاقبة وحذار المؤاخذة عن تنكب الجدد والعدول
عن السمت المقتصد ومن لنا بمن يستقري آي كتاب الله
تعالى بفكره ويتدبرها بعقله ويجعل لنفسه منها إماما
يهديه إلى الأصلح وزماما يثنيه عن الأقبح فيكون مؤدب
نفسه ومقوم ذاته ورائض أخلاقه وعاداته
ومعنى حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه منتزع
من قوله جل ذكره لأنتم أشد رهبة في صدورهم
من الله ذلك بأنهم قوم لا يفقهون فموضوع السيف
للعامة ومجموع القرآن للخاصة وإن كان



الجميع في معانيه مشتركا وبأوامره ونواهيه متشبكا غير
أن العامي يرى السيف فيرتدع والخاصي يرى الحق فيتبع
فشتان ما بين مدبّر ومسخّر بغيره ومؤدَّب ومهذَّب
بتودد به وقد كان يختلج في صدري معنى قوله تعالى لقد
أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم
الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع
للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب إن الله قوي
عزيز لجمعه بين الكتاب والميزان والحديد على تنافر ظاهرها
من المناسبة وبعدها قبل الروية والاستنباط عن جوار المشاكلة
والمجانسة وسألت عنه عدة من أعيان العلماء المذكورين
بالتفسير والمشهورين من بينهم بالتذكير فلم أحصل
منهم على جواب يزيح العلة ويشفي الصدور وينقع الغلة
حتى أعملت التفكر وأنعمت التدبر فوجدت الكتاب
قانون الشريعة ودستور الأحكام الدينية يبين سبل المراشد
ويفصل جمل الفرائض ويتضمن مصالح الأبدان والنفوس

ويتضمن

ويتضمن جوامع الأحكام والحدود وقد حظر فيه التعادي
والتظالم ورفض التباغي والتخاصم وأمر بالتناصف
والتعادل في اقتسام الأرزاق المخرجة لهم بين رجع
السماء وصدع الأرض ليكون ما يصل منها إلى أهل الخطاب
بحسب الاستحقاق بالتكسب دون التغلب والتوثب
واحتاجوا في استدامة حياتهم بأقواتهم مع النصفة
المندوب إليها إلى [illegible] آلة للعدل يقع بها التعامل ويعم
معها التساوي والتعادل فألهمهم الله تعالى اتخاذ الآلة التي
هي الميزان فيما يأخذونه ويعطونه لئلا يتظالموا بالمخالفة
فيتهالكوا به إذ لم يكن ينتظم لهم عيش مع شيوع ظلم
البعض منهم على البعض ويدلك على هذا المعنى قوله جل
ذكره والسماء رفعها ووضع الميزان ألا تطغوا
في الميزان وذلك أنه تعالى وأقيموا الوزن بالقسط ولا
تخسروا الميزان وذلك أنه تعالى جعل السماء علة للأرزاق
والأقوات من أنواع الحبوب والنبات فكان ما يخرج



منها من اغذية العباد ومرافق حيوتهم مضطر الى ان يكون
اقتسامه بينهم على الانصاف دون الجزاف ولم يكن يتم ذلك
الا بهذه الآلة المذكورة فيه فنبه الله جل وعز على موقع
الفائدة فيه والعائدة به بتكرير ذكره فكان ما تقدم ذكره
معنى الكتاب والميزان ثم انه من المعلوم ان الكتاب
الجامع للاوامر الالهية والآلة الموضوعة للتعامل بالسوية
انما يحفظ العام على اتباعهما ويضطر الخاص الى التزام احكامهما
بالسيف الذي هو حجة الله تعالى على من جحد وعند ونزع عن
صفقة الجماعة اليد وهو بارق سطوته وشهاب نقمته
وجذوة عقابه وعذبة عذابه فهذا السيف هو الحديد الذي
وصفه الله تعالى بالباس الشديد فجمع بالقول الوجيز معاني
كثيرة الشعوب متدانية الجنوب محكمة المطالع مقومة المبادي
والمقاطع فظهر بهذا التاويل معنى الآية وبان ان السلطان
خليفة الله على خلقه وامينه على رعاية حقه بما قلده من
سيفه ومكن له في ارضه واحق الولاة بان يكون شريفا نبيها

وعند الله تعالى كريما وجيها من كانت عنايته بنصرة الدين
وحماية بيضة الاسلام والمسلمين اوفر واوفى ومجاهدته
لاعداء المارقين عن شرايعه المارين دون حدوده و
فرائضه بنفسه وماله ورهطه ورجاله اشرح للصدور
واشفى وقد علم ابناء البدو والحضر وانشاء المدر والوبر
من حيث مد الصباح جناحيه الى ان ضمهما للوقوع في افق
الغرب ان راية الاسلام لم تظل على سلطان احسن دينا
واصدق يقينا واوسع علما واوقع حلما واسد سيرة واخلص
سريرة واتم وفاء واعم سخاء واوفر حياء واغنى غناء
واعظم قدرا وافخم ذكرا وامد باعا واشد امتناعا
واجل جلالة واكمل عدة والة وارفع ملكا وسلطانا
واطوع انصارا واعوانا واروع سيفا وسنانا واحمى للاسلام
وذويه وانفى للشرك ومنتحليه واعدى للباطل ومن يليه
التياثا ووداثة وطباعا واستفادة من الامير السيد الملك
المؤيد يمين الدولة وامين الملة ابي القسم محمود بن ناصر



الدين أبي منصور سبكتكين أطال الله بقاءه ملك الشرق
بجنبيه والصدر من العالم ويديه لانتظام الإقليم الرابع بما
يليه من ثالث الأقاليم وخامسها في حوزة ملكه وحصول الممالك
الفسيحة وولاياتها العريضة في قبضة ملكه ومصير أمرائها
وذوي الألقاب الملوكية من عظمائها تحت حمايته وحياطته
واستذرائهم من آفات الزمان بظل ولايته ورعايته وإذعان
ملوك الأرض من بعدهم لعزته وارتياعهم من فائض هيبته
واحتراسهم على تقاذف الديار وتحاجز الأنجاد والأغوار
من فاجئ ركضته واستخفاء الهند والروم تحت جنوبها
عند ذكره واقشعرارهم لمهب الريح من أرضه وقد كان أدام
الله دولته مذ لفظه المهد وجفاه الضرع وانحلت عن
لسانه عقدة الكلام واستغنى بالإشارة عن الإفهام
مشغول اللسان بالذكر والقرآن مشغوف النفس
بالسيف والسنان ممدود الهمة إلى معالي الأمور معقود
الأمنية بسياسة الجمهور لعبه مع الأتراب جد وجده

مستكد يألم لما لا يعلم حتى يقتله خبرا ويحزن لما يحزن
حتى يدمثه قسرا وقهرا وكان الأمير الماضي أنار الله برهانه
يرى الدنيا بعينه ويسمع بأذنه وينطق بلسانه ويستحلي
مذاق العيش به ويستطيب روح الهواء بقربه ويستفتح
مغالق الأمور بيمنه ويستحمد عواقب الخطوب باسمه ولم
يزل بين سحره ونحره إلى أن استنزلته روية البلوغ
وبصيرة الإدراك عن حجره ولم ينفك يتدرج بين ألطافه
وكراماته وولاياته وإقطاعاته من رتبة إلى أخرى أعلى منها
مكانا وأرفع شأنا إلى أن ولي قيادة الجيوش والعساكر بخراسان
وهي الرتبة التي طالما تناجز عليها كباش الرجال وقروم الأبطال
فلم يحظ بها إلا العدد اليسير الذين سار ذكرهم في الآفاق
وتسامع بهم رجالات خراسان والعراق سناء وقدرا ودهاء
ونكرا ونباهة وحشمة وبناهة ونعمة هذا على طراءة سنه
ونضارة غصنه وعنفوان أمره وريعان شبابه وعمره كما قيل
قاد الجيوش لخمس عشرة حجة ولداته إذ ذاك في أشغال



تعدت بهم هماتهم وسمت به همم الملوك وسورة الأبطال
وهلم جرا الى أن ملك خراسان بأسرها ونا ولستان عن
آخرها وبلاد نيم روز بجذافيرها وجبال الغور على حصانتها
ودوخ السند فاستباحها وغزا الملتان فاجتاحها وتوغل
الهند عودا على بدء فنكأ جراحها وأذل لقاحها وجاس مغانيها
وربا عها وافتتح صياصيها وقلاعها وأقام عن بيوت الأصنام
مساجد الإسلام وعن مشاهد البهتان معاهد التوحيد
والإيمان فصارت الأطفال تهدد في بطالاتها
بإقدامه وتفزع بإقبال ألويته وأعلامه فظل أندياؤهم
وجيبالهم وكماتهم وأبطالهم كما قال الأشجع السلمي
وعلى عدوك يا ابن عم محمد رصدان ضوء الصبح والإظلام
فإذا انتبه رعته وإذا هدا سلت عليه سيوفك الأحلام
وجاز الله له من البسطة في العلم والحلم والهيبة بالاسم
والجسم والظفر بأجابيش الأعداء في وقايع يعز صبر النفوس
على أمثالها وتكاد الأرض تمور من أهوالها ما لم يسمع بمثله

حين

حين لأحد من الملوك إلا عن أساطير الأولين أريد بها التهويل والتطويل
والتعجيب والتغريب دون الحقيقة التي يشهد بها العيان ويقوم
عليها البيان والبرهان فلو نشرت صحائف الدول الإسلامية
وأيام الملة الحنيفية لكانت دولته غرة تلك الدول
ومساعيه فيها طراز تلك الحلل إذ لم يقتن أحد من سلف الملوك
من غرر المآثر وزهر المناقب والمفاخر ما اقتناه هو بنفسه وأبيه
آثاره ومساعيه ولما جاز الله له كرائم الخصال ووفاه
طبع الكمال في معاني الكمال سياسة أزرت بأردشير في
زمانه والمنصور في سلطانه وهيبة خفقت لها جنادب
الليالي النائمة وخمدت عليها عيون الأراقم العارمة وعدلا
ضم بين الضدين حتى النار إلى الماء والف بين الذئاب الطلس و
الشاء فكفيت الأنياب شبا الأطراف والقرون صلابة
الأجواف وكانت أيامه مشغولة بمر السياسة عن مر الدراسة
وبغرض السيادة عن نفل الاستفادة لطف الله تعالى له
بأولاد كالنجوم الزواهر بل الليوث الخوادر بل السيوف البواتر



بل العقبان الكواسر من لم تر من الألحاظ أشخاصا توازيهم
فخامة وجلالا ووسامة وجمالا وسعادة وإقبالا وسماحة
وإفضالا وعلوما وآدابا ولفظا وكتابا وحفظا وحسابا
وأخلاقا مرة وعذابا فجمع الله له تمام السعادة وقصر
عليه أدوات السيادة وقيض الشيخ الجليل شمس
الكفاة أبا القسم أحمد بن الحسن لوزارته وتدبير أمور مملكته
من ذخره الله لزمان صادف فترة من أحرار الرجال وأبناء
الفعال فلم يطبع مثله على غراره ولم يصنع شرواه في
مضماره سجاحة شيم ودماثة كرم وسماحة كف وفصاحة
قلم وهمة ترى الدنيا هباءة بين أخواتها الثائرة بل نقطة
موهومة من نقط الدائرة وغدت سدته ميقاتا للفضل
وأهليه وسوقا للأدب ومنتحليه تجلب إليه بضاعات
الفضائل بين منظوم ومنثور ومختوم ومنشور وقد
صنف طبقات الأدباء والكتاب تصانيف في ذكر أيامهم
وتصاريف أحوال الزمان بهم بحسب تبددهم في البيان وسهمهم

من بلاغة الخاطر والبنان حتى أن أبا إسحق إبراهيم بن هلال
الصابي عمل كتابه المعروف بالتاجي في أخبار الديلم موشى بحبير
ألفاظه الساحرة ومغشى بحلل معانيه الزاهرة فحل عقد البيان
بما قيده وبيض وجه البلاغة بما سوده وإن لم تكن دولة تقتضي
إثبات محاسنها بالتخليد وتقييد مآثرها بالتأبيد فهذه هي التي
تقتضي الأدباء أن يجلوا بتقرير معاليها كلامهم ويحلوا بنشر
مساعيها أقلامهم أدركها الماضون من أرباب التصانيف لودوا
لو كانت ألفاظهم عن غيرها معزولة وإلى ذكر محاسنها
منقولة ولحكموا على أنفسهم بأن يعتذروا اعتذار أبي نواس بقوله
إذا نحن أثنينا عليك بصالح فأنت كما نثني وفوق الذي نثني
وإن جرت الألفاظ يوما بمدحة لغيرك إنسانا فأنت الذي نعني
وقد كنت أفردت أن بعض صنائع هذه الدولة ممن له حظ في الصناعة
وتوجه في طرق البلاغة يرتاح لتقييد أخبارها وجمع كتاب في
تصاريف أحوالها وأطوارها من لدن قام الأمير الماضي أنار الله
برهانه أميرا إلى أن أجلي أبا علي محمد بن محمد بن إبراهيم بن



سيجور عن خراسان كسيرا وحصله من بعد ذلك اسيرا
وولي امورها سياسة وتدبيرا وما تقدّله في اثناء ذلك كله
من اعانة الامير الرضي ابي القسم نوح بن منصور رحمه الله و
نصرته واستجابة ما طلب اليه من دعوته والمدافعة عن
بيته وحطته واستبقاء ما فضل عند ذوبان الترك من ولايته
وكفهم بترغيبه وترهيبه عن اذالة حشمته واستباحة ما سلم
عليهم من نعمته محافظة على حقوق سلفه الاُلى طال ما صنعوا
الصنايع واودعوا الودايع وبثّوا العوارف والرغائب وانفقوا
الاموال والحرايب حتى كنزوا المحامد وعرفوا اللحمات
اقدارها وحفظوا اعلى البيوتات اسنادها وقصدوا النفوس
المنقطعين اليهم اوطادها الى ان ورث السلطان المؤيدين
الدولة وامين الملة مكانه في خلفه في ترتيب الجنود وتدبير الجمهور
وتألف الاخوة والاقارب واستمالة القلوب ببذل الرغائب
الى ان استقل بسرير الملك مطاعا وتناهضت ولاة الاطراف
الى بيعته سراعا فوجدتهم قد عولوا في معانيها على ما سار في

الكتاب الحضر من اشعار الفارسية لازدحام شعرائها على بابه
الرفيع بقصائدهم التي قد غبروا بها في ديباجة الرودكي
وصنعة العنصري والدقيقي ولعمري انها كانت كافية شافية
ومن وراء الاشباع والاقناع آية ولكنها دواجن خراسان
لا تعرف عن ديارها ارتحالا ولا تالف غير اقطارها مجالا
فاقتضاني حكم ما اسلفته في هذا البيت الرفيع من خدمته
وتربيته ايام الامير الماضي قدس الله روحه من بركة
اصطناع ونعمة ثم ما رسمه لي الامير الاجل السيد ابو احمد
محمد بن يمين الدولة وامين الملة ان اسمع اهل العراق
بكتاب في هذا الباب عربي اللسان كتابي البيان
يتخذونه سميرا على السهر وانيسا في المقام والسفر ويعرفون
به عجايب آيات الله تعالى في تبديل الابدال وتقليب الامور من
حال الى حال مبتديا بذكر الامير الماضي اكرم الله
مآبه من حيث نشأت نبعته وتفرّعت دوحته الى ان
استعان به الامير ابو القسم نوح بن منصور برّد الله



منجحة في تلافي دولته والانتقام له من ابي علي محمد بن محمد
ابراهيم بن سيمجور حين يده من طاعته واستجرّه بحفي
مسئلته عند اقامته لكفاية ما دهاه من امره وامر
من طابقهم من الترك على جفوته واطمعهم برسائله ووسائله
في تورّد مملكته وما جرى على يده من الفتوح المأثورة
والمقامات المشهورة ومتبعا ذلك بلواحقه من وقائع
السلطان الاجل يمين الدولة وامين الملة في الهند والترك
والخلج وما اتيح له فيها من النصر والفلج وما يتصل بها من
اخباره واخبار ولاة الاطراف في جواره والله ولي
المعونة على ذكر المنشود واصابة الغرض المقصود بمنه
وفضله وكرمه وطوله

ذكر ايام الامير الماضي ابي منصور سبكتكين رحمة الله عليه واحواله

قد كان ذلك الامير قدس الله روحه في جملة ابي

النفس حمي الانف جري القلب قوي البطش كريم
الحلم رضي التدبير كبير الهمة كثير الحكمة يتبين ذلك كله
في خصاله وخلاله ومتصرفات عزائمه واحواله وحكى
لي ابو الحسين جعفر بن محمد الخازن انه كان ورد بخارا
ايام الامير السديد منصور بن نوح في جملة ابي اسحق بن البتكين
حاجب جيوش خراسان وهو اذ ذاك حاجبه الكبير ووجهه
الغرير وعليه مدار اموره وبيده مناط شؤونه وعرفه
اركان تلك الدولة بشهامته وغنائه وصرامته ومضائه
وتوسموا فيه الارتفاع الى اليفاع بهمته وذكائه فحين
صرف ابو اسحق الى غزنة واليا عليها وسادّا مسدّ ابيه بها
انصرف هو بانصرافه على جملته في زعامة رجاله ومراعاة
ما وراء بابه فلم يلبث ابو اسحق بعد معاودته اياها ان
قضى نحبه وودّع عمره ولم يبق من قرابته وبطانته من
المحله ومكانته فاضطر العدد الدهم من مواليه وموالي
ابيه الى من يتولى زعامتهم ويتكفل بحسن الايالة خاصتهم



وعاشتهم فلم ينفكوا مختلفين في الاختيار وساخطين غب الاختبار
الى ان اجتمعت كلمتهم على تأميره واتفقت آراؤهم على
الرضا بتدبيره والاذعان لحكم تقديمه وتأخيره فمسحوه
بايمانهم طائعين وحالفوه بايمانهم مبايعين فولى براي
صليب وحزم عجيب واهتمام شديد وقيام لمصالحهم حميد
ولم يزل يركض بهم على اطراف الهند غازيا مجاهدا اعداء
الله الكفرة بها ومفتتحا قلاعها ومستخلصا ديارها
ودباعها ومحكما سيوفه في اهلها مومنا من اسلم وشهد وقاتلا
من اشرك وجحد وجرت بينه وبين عساكر الهند حتى عيوا
بامره وتضافروا على مدافعته واستكفاف عاديته حروب
لبس فيها جلد النمر وادرت نارها تاريث المتذمر وعض في
معاناتها على جذم التصبر وجافى الجنب عن الضجعة واقنع
النفس بالطوى والمخمصة وانضى تحته مركب الحمية وحث
اصحابه ورفقاءه على لذة الامنية او راحة المنية كانما
عناه عمرو بن الاطنابة الانصاري بقوله

أبت لي عفتي وأبى بلائي وأخذي الحمد بالثمن الربيح
واجشامي على المكروه نفسي وضربي هامة البطل المشيح
وقولي كلما جشأت وجاشت مكانك تحمدي او تستريحي

وحكى لي رحمة الله عليه في غمار ما كان يذكره من
مواقفه ومقاماته وآثاره في العدو ونكاياته انني وافقتهم
في بعض وقائعهم بهؤلاء الرفقاء ونحن في العدد اليسير وهم
في الجم الغفير وطالت بنا وبهم ممارسة الحروب حتى اقوى
الناس من الزاد وعجزوا عن الامتيار والاستمداد ولم يكن
امامنا الا السيوف القواضب وورآءنا الا المهامه والبسابس
فصرخوا الي بما دهاهم وسألوني حيلة الثبات على ما عراهم
فعرفتهم اني كنت استصحبت لخاصتي على سبيل الاستظهار رجع
مدي من السويق وهو الآن قسمة بيني وبينكم عدلا سواء
بالغا ما بلغ بقدر الكفاية الى ان يمن الله تعالى بالفرج وكشف
هذا الضيق والحرج وكنت اجدح لهم اياما عدة لكل منهم اولا
ولمن بعدهم آخرا قعبا صغيرا فيجتزئ به طول النهار والليل



وبحن على ذلك بين معالجة المكروه ومكابدة المحذور وملاقاة
السيوف والسهام بجر الوجوه والصدور الى ان وهب الله
النصر واهبّ الطفر واحاق سوء العذاب بمن كفر فولّوا
الادبار بين قتيل مزمّل وجريح مرمّل وعقير مرهق واسير
بالقدّ موثق وسمعته يذكر ما كان من حسن تدبيره وتقديره
عند افضاء الامر اليه واقتصار الامارة عليه وزراحة
حاله عن التوسّع في الانفاق والتخرّق في البذل والاطلاق
وانّه كان كاحد رفقائه في الحال والمال واحتاج مع ذلك
الى ان ياخذ لمؤنة الزعامة عليهم من نفقاته الراتبة فكان
يدّخر منها ما يفي بضيافتهم في الاسبوع دفعة او دفعتين
ولم يزل على هذه الجملة الى ان اتّسعت حاله فزادهم بحسب
الزيادة الى ان استكمل اسباب السيادة فكان كما قيل
نفس عصام سوّدت عصاما وعلّمته الكرّ والاقداما
ولم يلبث ان اتّسعت رقعة ولايته وعظم حجم جريدته وعمرت
اكناف خزانته واشفقت النفوس من هيبته وتعلّقت الاطماع

بمعونته وكان من احدى فتوحه ناحية بست وسبب ذلك
انّ بايتوز كان قد ملكها على طغان احد الامراء وكانه بها غصبا
واجلاه عنها حربا ونهبا فلجاء هو الى الامير الماضي رحمه الله
مستظهرا به ومستنفرا ايّاه عليه بمال يضمنه وولاء
يرهنه وطاعة يبذلها وخدمة بالنفس والمال عند الحاجة
يلتزمها فلبّى نداءه وحقّق رجاءه وناهض خصمه بمعظم
جيوشه حتّى اناخ بباب بست وبرز بايتوز الى معسكره
فتناوشا القتال كاشدّ ما يكون نفحا بالصفاح ومشقا
بالرماح واثخانا بالجراح فلمّا اضطرب الفريقان والتفت
حلقتا البطان حمل الامير الماضي من قلب عسكره حملة كشفتهم
عن مقامهم واغصّت شوارع البلد بهم وداركت عليهم الحملات
من كل اوب حتى جلوا عنها مفلولين وتفرّقوا في متون
الهضاب وبطون الاودية والشعاب مخذولين واستقرّ
طغان بها شاكرا احسانه وموجبا تحقيق ما اوجب عليه ضمانه
وبذل به رهنه ولسانه وهو يتمثّل في ذلك سرّ ابين وعد



واخلاف ويترجح بين وفاق وخلاف حتى اذا حان حين
الاداء طالبه الامير بالوفاء واغلظ له في الاقتضاء لما رآه
من فرط الاباء والالتواء وهما على صحراء غامضة بغلمانهما
واتباعهما فحدثته عجرفية الطبع بالمنع ولم يرض بالقول حتى
انتضى سيفه وضرب يد الامير ضربة اوسعت جرحها فلما
تبين غدده اهوى له بيده الى سيفه وهي تشخب دما فضرب
منكبه ضربة انتصفت له منه وطلبه باخرى فحجزه عنها اختلاط
الفريقين واهاب الامير برفقائه وغلمان داره الى طرد
الغواة وحطمهم وتبييض تلك النواحي من سوادهم فلم يتلع
النهار الا وبست له صافية واطرافها عن ذوي الخلاف
خالية وبشعار دولته حالية وامتد بايتوز وطغان الى
نواحي كرمان وسجستان ولم يحلم احد منهما بان يلتفت
وراءه فضلا عن ان يتمنى لقاءه وكان من جملة ما استفاد
ذلك الامير من صفايا الفتح ابو الفتح علي بن محمد البستي
الكاتب صاحب التجنيس رحمه الله فانه كان كاتبا لبايتوز

فلما

فلما استمرت به الكشفة اعيته صحبته فتخلف عنه وذلك
الامير عليه فاستحضره ومناه واعتمده لما كان قبل معتمدا له
اذ كان محتاجا الى مثله في الته وكفايته ومعرفته وهدايته
وحنكته ودرايته وحدثني ابو الفتح رحمه الله قال لما
استخدمني الامير الماضي واحلني محل الثقة الامين عنده في
مهمات شانه واسرار ديوانه وكان بايتوز بعد حيا وحساده
يلوون السنتهم بالقدح في والجرح لموضع الثقة بي لما
اشفقت لقرب العهد بالاختبار من ان يعلق بقلبه شيء
من تلك الاقوال ويقرطس غرض القبول بعض تلك النبال
فحضرته ذات يوم وقلت ان همة مثلي من ارباب هذه الصناعة
لا ترتقي اكثر مما رآني الامير اهلا له من اختصاصه واستخلاصه
وتقريبه وترتيبه واختياره لمهمات اسراره غير ان حداثة
عهدي بخدمة من كنت به موسوما واهتمام الامير بنفض ما بقي
من شغله يقتضياني ان استاذنه في الاعتزال الى بعض
اطراف مملكته ريثما يستقر له هذا الامر في نصابه فيكون



ما آتيه من هذه الخدمة اسلم من التهمة واقرب الى
السداد وابعد من كيد الحساد فارتاح لما سمعه واوقعه
من الاحماد موقعه فاشار على بناحية الرخج وحكمنى فى
ادونها اتبوّأ منها حيث اشاء الى ان ياتينى الاستدعاء فتوجهت
نحوها فارغ البال رافغ العيش والحال سليم اللسان والقلم
بعيد القدم من مخاضات التهم قال وكنت ادلجت ذات
ليلة وذلك فى فصل الربيع او ام منزلا امامى فلما اصبحت
نزلت فصليت وسبحت ودعوت وقمت للركوب ففتح
ضياء الشروق طرفى على قرية ذات لمة محفوفة بالخضر
مغمومة بالنور والزهر وامامها ارض كانها مفروشة
ببساط من الزبرجد منجد بالدر والمرجان مرصع بالعقيان
تتسلسل بينها انهار كبطون الحيات فى صفاء
ماء الحيوة وقد فغمنى من نسيم هوائها عرف المسك السحيق
والعنبر الفتيق فاستطبت المكان وتصورت منه الجنان
وفزعت الى كتاب ادب قد كنت استصحبته لاخذ الفال

على المقام او الارتحال ففتحت اول سطر من الصفحة عن
بيت شعر وهو واذا انتهيت الى السلامة فى مداك فلا تجاوز
فقلت هذا والله الوحى الناطق والفال الصادق وتقدمت
بعطف صنبتى اليها وغنيت ستة اشهر بها فى انعم عيش
وارخاه واهناء شرب وامراه الى ان اتانى كتاب الامير
فى استدعائى الى حضرته بتبجيل وتاميل وترتيب وترحيب
فنهضت اليها وحظيت بما حظيت به منها الى يومى هذا
وكان اختياره ذلك احد ما استدل به ذلك الامير على
رايه ورزانته ودرجه به الى محله ومكانته وصار من
بعد ينظم باقلامه منثور الاثار عن حسامه وينسج
بعباراته وشايع فتوحه ومقاماته وهلم جرا الى زمان
السلطان يمين الدولة وامين الملة فقد كتب له
عدة فتوح الى ان دحرجه القضاء عن خدمته ونبذه
الى ديار الترك من غير قصده وارادته فمات بها غريبا
ولم يجد من مساعدة الزمان نصيبا ولما استتب للامير



تلك النواحي واستقرت على شعار دعوته الاقاصي والادانى
وصفت له استراها ودرّت عليه اخلافها استخلف عليها
من اختاره من ثقاته وخواصه وكانت بلاد قصدار قد
وقعت من وراء بيضته ومرد عليه واليها لحصانة اطرافها
ونواحيها وخشونة مصاعدها ومهاويها فظن ان بعد
الشقة وحزونة المضرب وضيقة المدخل ووعورة المتغلغل
ما نعته من الدسور عليه وقاطعته دون الوصول اليه فلم يرعه
الا صيحة الغارة واحداق الخيول به كالخط في الاستدارة
قد طوى اليه تلك الطرق القاصية والقلل العاصية للتناصي
في دكنة لم ينل جنبه فيها قرارا ولا عينه غرارا ولا خيله
جماما الا لماما فهجم عليه في ربعة بنفسه وصحبه فاخذه
اخذ المقصب شاته محجلا ان يسوّيها القوم نزل فكان صاحبه

كما قيل

اذا خرس الفحل وسط الحجور وصاح الكلاب وعق الولد

ثم رأى ان يمن عليه ويرجع اليه ما كان بيديه فاطلقه

تطولا وانعاما واعاده الى مكانه احسانا وامتنانا ووافقه
على مال يعجله وآخر في كل سنة يحمله فعمرت باسمه تلك
المنابر واشترك في العلم بحاله الوارد والصادر والغائب
والحاضر ولم يزل بعد ذلك يبادر الركض على اطراف
الهند غازيا ومجاهدا حتى افتتح قلاعا كانت مرتفعة في
جبالها مطمعة باموالها ممتنعة برجالها وحصلها كلها في
يده ونظم خزائنها في سلك ملكه ولم يزل يتوغل تلك الحدود حتى
افتتح بلادا لم يسكنها قبل الا كافر ولم يطاها للاسلام خف
ولا حافر وحين علم جيپال الهند ما دهاه ممن يطوي مسافة
ملكه ويقبض من اطراف ولايته ويلصق الهون والخسار
بمن يحامي عن حوزته اخذه المقيم المقعد وملكه المزعج المكمد
ورأى الارض قد ضاقت عليه بما رحبت فثار بنفسه وعشيره
واعيان جيوشه وكماكرته وما خف من ثقال فيلته
يريد الانتقام منه بوطئ عرصة الاسلام واستباحة حلته
الحرام يريدون ليطفؤا نور الله بافواههم ويابى الله الا ان



يتم نوره ولو كره الكافرون وسار كما هو حتى جاوز لمغان دانيا
من ولاية الامير دون الواثق بطوله الساكن الى قوته وحوله
وقد باض الشيطان في رأسه وفرخ وشوى السوداء في دماغه
وطبخ فهو يظن الظنون ويعد في حساب الحسبان ما لن
يكون ولما سمع الامير بوروده وتغلبه استعد لمناهضته
وجمع اولياءه على محاجزته واستجاش من مطوعة الاسلام
من وجب استجاشتهم لمناصبته وكف بأسه وعاديته وبرز
من غزنة متوجها نحوه وقاصدا قصد بنيه في اجناد قوية
وحمية للاسلام ابية ووافقه بين الناحيتين في رجال
كقطع الليل او دفع السيل ومعه السلطان يمين الدولة
وامين الملة كالليث الخادر والعقاب الكاسر والموت
الكاسر لا يؤم صعبا الا ذلله ولا يروم عقدا الا حلله
ولا يزحم منكبا الا حطمه ولا يصاول قرنا الا افاح دمه
ونشبت الحرب بينهم اياما ولاء وادبرت عليهم كؤوس
الطعن والضرب ملاء حتى سكر الفريقان من سورة

بصوله

الطعان وبقرب تلك المعارك مما يلي لكفا د عقبة تعرف بعقبة
غوزك تنخفض عنها طرف العقاب ويتسكر دونها جيش
السحاب ذات مهاوي ومشارف ومثان ومعاطف وفي
بعض اوهادها شريعة ماء كالشريعة الحنيفية في الطهارة
لا تقبل قذرا ولا تحمل غثاء ولا عثرا فان القي شي من القاذورات فيها
اكفهرت له السماء واختلفت النكباء واظلمت السواهق
والاعنان وغصت بالديجور الآفاق حتى يرى الموت الاحمر
عيانا والعذاب الاكبر حقيقة وبيانا فعندها امر الامير
رحمه الله بالقائها ضربا من النجاسات تحذا فقامت القيمة
على الكفرة الفجرة وتوالت عليهم الصواعق والقوارع
واحاطت بهم الرياح الزعازع ومدت السماء عليهم سرادق
البرد والخصر واثارت زوابع الاعصار والقتر حتى عميت
عليهم المذاهب والمهارب وانسدت دونهم المسالك
والمسارب فاستسلموا لفرط الهول والوهل وشهدوا وابانوا
قد شاهدوا الموت قبل الاجل وارسل جيبال يطلب الصلح

وفد الى الامير



ويستكف الحرب على مال يؤديه وحكم للامير في فيلته ومملكته
يمضيه فهمّ الامير باجابته الى ملتمسه اشفاقا على اوليائه او
لصواب عنّ له في رايه فنهر السلطان يمين الدولة وامين الملة
اولئك الرسل نهرا وابى ان يكون فيصل الحرب الا عنوة
وقهرا احمية للاسلام والمسلمين وثقة بالله رب العالمين
فانصرفوا بما عرفوا من صورة الحال وضيق المجال فاضطر جيبال
ما اعياه من الحيلة في امره الى اعادتهم في طلب المكافة خاشعا
والتماس الموادعة طائعا ضارعا وكانت زبدة كلامه انكم قد
عرفتم حمية الهند واستهانتهم بالموت اذا طرقهم طارق محذور
وحزبهم حازب مكروه فان يكن امتناعكم عن الصلح طمعا
في الغنيمة والفيء والفيلة والسبي فما هو الا صري عزم لمتطيه
في استهلاك الاموال وسمل الافيال وعرض الغلمان على النيران
ومشي الرجال بعضهم الى بعض باطراف الحراب وظبات السيوف
ثم شانكم وما يبقى من جماد ورماد ومواتٍ ورفات فلما سمع
الامير ذلك من كلامه واحس صدوقه بما هم به عند

يأسه من مرامه ورأى حط الدين وارتيابه في موادعته واستنزاله
عن ماله وعدته اذبح من تخليته وما اختاره من التقاطع
بالسيوف والتهافت في الوقود فوافقه الامير السيد يمين
الدولة وامين الملة على كف يد الازهاق عنه على الف
الف درهم شاهية وخمسين راسا من الفيلة ضمنها نقدا
وعلى عدة بلاد وقلاع في سرة مملكته كان اشترطها عليه ان
يسلمها الى من يتسلمها من جهته بعد ان يبعث اليه برهائن
من عشيرته واعزته على الوفاء بما يضمنه والانجاز بما يعده
فقبض المال والفيلة نقدا ووافقه على البلاد المذكورة
وعدا وارسل معه بمسئلته وحاجته دليلين يعدلان به
عن المعتسف ويقفان به على القصد في المنصرف وبعث معه
بعدة من ثقاته لتسلم الاماكن المشروطة منه فلما اوغل
به المسير ورأى انه قد خف عنه الطلب واسترخى به اللبب
حدثه خبث الضمير بالاخلاف واركسه عجز الراي في استيثار
الخلاف واعتقل من كان في صحبته بالاعتن منهم



من عشيرته وقد كان الامير الماضي ان النبي بلغه من امره انجاف
يد دفه خلاف وباطل ليس له حاصل الى ان تمارست في الانباء
فبرح الخفاء وانكشف الغطاء وعلم ان الله تعالى قد طبع على
قلبه وحالت بينه وبين رشده بجيبيته وبال امره ويحق عليه مآل
كفره وشحذ غرار عزيمته لغزو بلاده وتخليصها عن خبث
خبثه والحاده ونهض في الكماة من غلمانه والحماة من
دفقائه واعوانه متوكلا على الله وحده ومستنجزا في النصر
وعده وسار حتى اقتحم بهم ديار الهند فلم يبذ له بارز من
اعوان جيبال وجنوده الا واسعهم طحنا واستلحمهم ضربا
وطعنا وقصد لمغان وهي كورة بحصانة الاطراف
وغزارة الاخلاف مشهورة فافتتحها عنوة واقتدارا
واضرم بعضها على الكفار نارا وهدم بيوت الاصنام واقام
فيها شعار الاسلام ومضى عنها قدما يفتح البلاد ويقتل
الانجاس الاوغاد حتى اذل المشركين وشفى صدور
قوم مؤمنين ولما ادمى على الغاية في النكاية وادبى على قلق

الامكان في الامتحان وبرزت يده وابدى وليائه بما يغمر العد ولمة
من كرائم الاموال وغنائم تلك البلاد عطف الاعنة ورآه
كريم الظفر حميد الورد والصدر وتطايرت كتبه الى الافاق
بذكر ما فتح الله للاسلام على يده فاشترك الناس خاصة وعامة
في الارتياح له والانشراح لموقعه والشكر لله تعالى على ما
اتاحه فيه من صنعه ولما رأى جيبال ما قد دهاه جزاء
عما نقضه من عهده ونكثه من مرائر عقده ورأى جنوده
ووجوه رجاله جزر السيوف القواطع وطعم النسور والخوامع
سقط في يده وفت في عضده ونالت منه الندامة وقامت عليه
القيامة وبقي زمانا مبهوتا على حاله لا يعرف الرأي فطهر
الادباره او في وجه اقباله ثم حركته الانفة لاستيناف
المناجزة طلبا للثار وطمعا في الانتصار ففكر ودبر واقبل
وادبر ثم عزم فقرر ونادى فحشد وثار في مائة الف او
يزيدون وبلغ الامير الماضي خبره فقابله بالاستقبال
وحرض المؤمنين على القتال وسار بقلب منشرح وامل



منفسح حتى اذا تدانت الخطى بين الفريقين فرع الامير ثنية مشرفة
على سواد الكفرة فاذا النمل منثورا والجراد مبثوثا فراعه منهم
ما يروع الذئاب من سوام الغنم والليوث الجياع من هوامي
النعم وحث اولياء الله على الكفرة القلف فاجابوه سراعا
بقلوب محشوة بالدين مملوة من صدق اليقين وتقدم اليهم
بان يتناوبوا الحملات بينهم في كل حملة خمس مائة غلام
بالدبابيس الحاطمة والقراتكينيات الهاشمة حتى اذا ابلوا
عذرهم في الجهاد خلفهم من اضرابهم من ينوب منابهم رضا
وهضا وطعنا وطحنا ففعلوا اما امر واحتذوا ما رسم فلم تزل
هذه حالهم حتى استغاث الملاعين من حر الوطيس ووقع الدبابيس
وهموا بان يجعلوها حملة واحدة تزعزع الاقدام وتقتلع
الجيش اللهام فعندها حمي الوطيس واختلط المرؤوس والرئيس
وتداعت الصفوف وعزلت العوامل الا السيوف واختلفت
الضربات فمن واحدة تقط الهام واخرى تقد الاجسام
وثارت عجاجة غبراء سترت العيون عن الاشباح فلم يعرف

الصفاح من الرماح ولا الرجال من الافيال ولا الابرار من الفجار
ثم انجلت عن هزيمة الانجاس الارجاس واسلامهم عدتهم وعتادهم
واسلحتهم وازوادهم وفيلتهم وكراعهم وقد غصت البيداء بجيف
قتلاهم بين جريح بحد الحسام وطريح من هول ذلك المقام سنة
الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا ولوت
الهند بعد ذلك اذنابها على رؤسها ورضوا بان يسلموا من حر
الطلب في اقاصي ديارهم ويتركوا في شعارهم بمنابت اشعارهم وصفت
تلك النواحي لذلك الامير ودرت عليه اخلاف الاموال وانحلت
له عقد الجبايات وحصل له من وجوه الغنائم وغيرها ما اتباداس
من الفيلة الحربية وكثف سواد جيوشه ودانت له الافغانية
والخلج فمتى شاء استثار منهم الالاف لخدمته وامتهن منهم
الارواح والنفوس في نصرته والقيام بفرض طاعته وعند
ذلك اوجب اغاثة الامير الرضي ابا القسم نوح بن منصور والي
خراسان واعانته على جيوش الترك الذين اجلوه عن دار مملكته
بخارا وزحزحوه عن وطنه بها حتى فرق دماءهم واضطرهم الى الانهزام



ورآهم كرماً لم ينشط له غيره من أولياء تلك الدولة وأنشاء تلك
النعمة لا جرم أن الله تعالى جاز له جماله وذكره وقصر عليه
سناءه وقدره وجعل كدحه سبباً لانسياق الملك الى ولده
وتوطئة لبقاء العز في عقبه وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء
والله ذو الفضل العظيم

ذكر الاسباب التي اطمعت الترك في ولاية الامير أبي القسم نوح بن منصور وتوسط مملكته وجلاء عزمته وخطته

قد كان انتقل
الملك اليه في شهور سنة خمس وستين وثلثمائة واجتمع أولياؤه
وحشمه على بيعته بعد أموال عظيمة أطلقت وعشرينيات فرقت
حتى تبدد شمل الأموال التي كانوا ذراء السامانية من قبل
يكدحون لها ويدأبون لجمعها كأبي الفضل البلعمي وأبي جعفر
العتبي ومن كان ينتصب منصبها في الوزارة وتدبير
امور المملكة وكان أبو الحسن محمد بن ابراهيم بن سيمجور
إذ ذاك صاحب الجيش بنيسابور فتلطف له بالرضا به وعقد البيعة
له على صغره وحداثة سنه وضوعفت له الصلات المطلقة
لأمثاله من أركان الدولة حتى لانت عريكته وتمت بيعته
وفوضت الوزارة الى أبي الحسين العتبي رحمه الله فقام على
ميعة شبابه بالأمر قيام الحدب الشفيق وكفله بمناصحته
كفالة المؤيد بالنصر والتوفيق حتى استقامت بحسن تدبيره الأمور
وانشرحت الصدور وانسدت الثغور واستطارت هيبة تلك
الدولة شرقاً وغرباً وبعداً وقرباً وكان الأمير عضد
الدولة وتاج الملة على جلالة قدره ونباهة ذكره ومناعة
جانبه وخشونة جده يتوخى رضاه فيما يحتكم عليه به من
المطالب التي تختص بولايته وربما أخذته العزة بالجلاج فيذكر
ما وراءه من الأدواء المعضلة والامور المستفحلة فتسمح
قرونه ويذل صعبه وحرونه وحتى أحمد الخوارزمي
وكان من جملة خاصته منذ وبالحمل رسوم كل عام الى
بيت الله الحرام ومجاوريه وسكان مدينة الرسول



صلى الله عليه وسلم وذويه وتفريقها فيهم ووضعها مواضعها
منهم قال دخلت عليه ذات يوم متحدثني من خراسان
فسائلني على رسمه وعادته عن حال ذلك الشيخ في سلامته
واستقامة الامور في ضمن كفالته ثم قال هات ما استدعاه
واعرض ما بدا له وتوخاه فعرضت تذكرة كان سلمها الي
بتفصيل ما رسم لي حمله من ديار العراق وفي جملتها الف
ثوب مستعملة مطرزة الاطراز باسم الامير السيد الملك
المؤيد المنصور ولي النعم ابي القسم نوح بن منصور مولى امير
المؤمنين وخمس مائة ثوب مطرزة باسم الشيخ الجليل
السيد ابي الحسين عبيد الله بن احمد العتبي ومثلها معلمة
باسم الحاجب الجليل ابي العباس تاش فلما تامل النسخة دخلته
نخوة الملك وملكته حمية العز وطار به الغضب كل مطار
فالتفت الي في الجواب ان ابن العتبي لو اغتنم سلامة ما يليه وتفرد
بالتدبير فيه لكان اولى به واعود عليه وعلى صاحبه مما
يسومني بهذا الاحتكام وامثاله غير اني اجعل سواحل جيحون

قبل عودك من وجهك مرابط للجحافل ومراكز للقنا والقنابل
فقمت من مكاني متخاذل القوى خوفا من سطوته وباسه واخذت
اجر رجلي على الارض تهيبا وارتياعا الى ان اركبت على الرسم
وانصرفت الى المناخ فلما ازف ارتحال الحجيج اتاني رسوله
فبادرت اليه واحسنت خدمة المجلس بين يديه فزادني
على المعهود بشرا حصيفا وبرا وترحيبا وقال قد امرنا في معنى
التذكرة بما استدعاه ذلك الشيخ كراهة لاستيحاشه
وخلافا على خلاف وفاقه فتنجز العمل به لينضاف عودك
فراغ الصناع منه وحصول المراد به قال فاستعمل جميع
تلك الثياب بالطرز المذكورة وحملتها في صحبتي الى بخارا مشفوعة
بسائر ما رسم لي حمله واستصحابه وقد اكثر الشعراء
من اهل العصر في وصف محاسن الشيخ ابي الحسين العتبي ولاسيما
ابو طالب المأموني فانه سير في مدحه قصائد غير معدودة منها
قوله من قصيدة يمدحه بها

هذي عزائم عتبي تفرق ما بين الجماجم والاعناق ان عتبا



ذو همّة ملء صدر الأرض لو برزت من صدره لم تسعها الأرض مضطربا
إذا انتضى للندى أو للردى قلمًا أجرى به سحبًا أو جحفلًا لجبا
يُشجي الصعيد صعادًا والنديّ ندًى إذا تهلّل للمعروف أو قطبا

وقوله فيه من أخرى

كتائب منصوريّة ملكيّة أبى السيف فيها أن يرى الغمد مضجعا
يؤيّدها عتبيّ عزم مؤيّد بحزم تخلّى خلفه البيض طلّعا
إذا أمر الشيخ الجليل سيوفها هوت سجّدًا في الدارعين وركّعا
يعود بها وجه الخلافة أبيضا بأبيض من أبناء عتبة أروعا

ومن ذلك قول اللحّام فيه

وأعتب الدهر إذ عاتبته بفتى من آل عتبة نفّاع وضرّار
كأنّما جاره في كلّ نائبة جار الأراقم في أيّام ذي قار
يجري المكارم في لاء وفي نعم فالناس في جنّة منه وفي نار

ومن ذلك قول أبي الحسن العلوي الهمذاني

كأنّما الدهر تاج وهو درّته والملك كفّ وهو خاتمه
والبرّ والبحر والأعلام أجمعها والخلق والفلك الدوّار خادمه

وقلّد أبو العبّاس تاش الحجبة الكبيرة فولي أمور الباب وزعامة
الحجّاب والسفارة بين أولياء السلطان وحشمه في تنجّز حاجاتهم
واستطلاق أطماعهم وعشر نياتهم واستزادة مراتبهم وولاياتهم
حتّى تخلّقت النفوس بمحبّته وتعلّقت الأهواء بزعامته وفتح
أبو الحسين العتبي عليه أبواب الفوائد والإصابات حتّى
كثر وفره وظهر أمره واشتدّ بالاستظهار ظهره وكان أبو
العبّاس تاش من جملة فتيان أبي جعفر العتبي ملك يمينه أهداه
إلى الأمير السديد أبي صالح إيثارًا له بخدمته على نفسه
لكيسه وذكائه ورضي شمائله وأنحائه فاستتمّ أبو الحسين
العتبي الصنيعة عنده بالرفع منه والتنويه والإشادة بضبعه
وباعه وتدريجه إلى المحلّ الذي توسّمه في قوّته واضطلاعه
وجرت أمور ذلك الباب بتعاضدهما على التناصح وترافدهما
على ارتهان المصالح على أحسن الوجوه هيئةً وجمالًا
وهيبةً وجلالًا ونفاذًا للأوامر يمينًا وشمالًا
واستخصّ أبو الحسين الفائق الخاصّة لطول خدمته

بركاب الامير السديد وحظوته عنده واختصاصه برعايته
واشتراكه في وصايته فكان شريكهما في التدبير وصيانة
هيبة السرير واقر امر الجيش بخراسان على ابي الحسن محمد بن
ابراهيم بن سيمجور فتفرد كل منهم بحماية الملك سدا
للثغور وسياسة للجمهور وحصدا للنواجم الشرور الى ان
بدت اكمامها تتفتق وجيوبها تتخرق وكان من ذلك
امر سجستان وسببه ان خلف بن احمد كان استنصر الامير
السديد على طاهر بن الحسين قريبه وخليفته على اعمالها
بعد انكفائه من حج بيت الله الحرام وذلك في شهور سنة
اربع وخمسين وثلثمائة لتمكنه كان من الولاية واستظهاره
بالمال والعدة واستمالته قلوب الاجناد والرعايا من اهل
تلك الخطة فاحسن نصرته ومعونته وكفاه كلفته
ومؤنته وامده بمن استمده من كماة الجيوش لرده الى
بيته وتقرير مملكته في يده فانحاز طاهر حين احس
بالمدد وكثرة العدد الى اسفزار حتى قر خلف قراره ووضع

عنه آصاره وصرف عن ظهر الاستغناء اعوانه وانصاره
ثم كر عليه كرة اجلته عن داره وطرحته الى باذغيس
فيمن نادى بشعاره فغاور حضرة الامير السديد مستصرخا
اياه ومناديا الى غوثه فيما دهاه فاحسن لقياه واكرم
مثواه واعاد تقويته وانجاده وكثف بالخيول سواده ورده
بهم الى سجستان فوافق وصوله اليها مضي طاهر لسبيله
وانتصاب ابنه الحسين منصبه ووراثته في الخلاف مذهبه
فحاصره خلف فيها مناصبا له الحرب غاديا ورائحا ومماصعا
ومكاوحا حتى كثر القتلى بين الفريقين وطالت يد
الانتصاف على اصحاب الحسين فعندها كتب الى بخارا متنصلا
عن سمة الخلاف ومتلطفا للاستقالة والاستعطاف
ومظهرا للطاعة في وفادة الحضرة ومباشرة تراب الخدمة متى
صادف ارخاء من ضيق الخناق وفكاكا من شدة الارهاق
فاحسن ذلك الامير اجابته وقابل بالقبول انابته وسهل الى
ورود الحضرة سبيله وحقق بالاحسان والافضال تأميله واستغرا



امور سجستان على خلف بن احمد فطالت عليها ايامه
وطارت فيها اوامره واحكامه وانبسطت بالعز يده وباعه
وتموجت بذخائر الاموال قلاعه ورباعه وانقطعت عن بخارا
مواد خدمته وطاعته واعفائه بما لموافقته ومقابلته
من الاصطناع بواجبه وانضاف الى ذلك استهانته بالاوامر
الصادرة اليه في حثه على رشده ودعائه الى ما يجمع صلاح
يومه وغده فجرد عند ذلك الحسين بن طاهر لمناهضته في
جمرات خراسان ومشاهير رجالها ومساعير ابطالها فحصره
في قلعة ارك ودارك عليه الحرب زمانا طويلا فلم يغن فتيلا
ولم يجد الى الافتتاح سبيلا وجعل ابو الحسين العتبي يمده عددا
على عدد وصفدا الى صفد وكان من جملة القواد بها كتاش
واخوه الحسن بن مالك واضرابهم من انياب تلك الدولة ووجوه
انسابها ونجوم سمائها فطال هناك ثواؤهم وقصر عن المراد غناؤهم
لمناعة الحصار وحصانة سوره وشدة اغلاقه وسدوده و
اعياء الخندق المحيط به على الفارس ان يعبره ركضا وعلى

الراجل ان يقطعه خوضا ولارصاد خلف اياهم بفنون
الحيل التي يقل استثباتها بالظن والحسبان ايهاما للبيات وايلا
من مأمون الجهات وقذفا بجرب الافاعي عن افواه المجانيق
والعرادات حتى يضطروا بذلك الى الارتحال والتنقل في
المضارب والمحال وبقوا هناك قرابة سبع سنين على هذه
الجملة حتى فنيت الرجال ونزفت الاموال وذهبت الجرائب
وعطبت المطايا والركائب فكانت هذه من اوائل الوهن
على تلك الدولة ومن هنالك وهى العقد وانبثق السكر
وتزايد الفتق واتسع الخرق ولكل امر امد ولكل امة اجل
ولكل ولاية نهاية يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده ام
الكتاب وتداكر اركان تلك الدولة فيما بين هذه الحال
لزوم صاحب الجيش ابي الحسن مكانه من نيسابور كلا على صاحبه
لا يناهض حضا ولا يجبر وصما ولا يفتح سدا ولا يحسن ردا
ولا يغمس في مصالح الدولة يدا وتناصلوا بينهم ما كان الامير
السديد يضطغنه عليه لالتزامه بالمكان وجموده عن نصرة

السلطان ونبوا ادآءهم على صرفه والاستبداد به وكتب اليه
في الصرف وقلد ابو العباس تاش ماكان يليه من قيادة الجيوش
فلما ورد الرسول عليه وادى ما تحمله على رؤوس الاشهاد اليه
ابت عليه الحمية خطة الهوان ولقنته الانفة كلمة العصيان
وطارت نعرة الخلاف في راسه فادعى الامر لنفسه اتكالا
على فرط قوته وبأسه واغترارا باولاده واعضاده واستظهارا
بجيوشه واجناده ثم نبت التدبير وخمر الرأي والتفكير
فلم يرض بان يتناقل الالسنة ذكر استعصائه على شيخوخته في
الدولة وتناهي مدته في الخدمة وتصور ما يتبع الخلاف من ركوب
المصاعب التي تسلب النفوس جمامها والعيون منامها والاحوال
المذخورة نظامها الى ما فيه من التعرض لمكروه النوائب و
التحكك بمحذور العواقب فرأى ان قبول العفو على السلامة من لواحق
الآفات اقرب الى الصواب وابعد من المعاب ودعا الرسول
فاستقاله عثرة ما قاله وعرض جهد الطاعة مستشفعا بفرط
الخشوع والضراعة وقال انما انا نبعة غرسها السلطان بيده وسقاها

بماء كرمه فله المشية في استبقائها للاثمار او اقتلاعها والقائها
على النار وصرفه على جملة الطاعة ولين المقادة والبدار الى
حيث يجلى اليه من ديار المملكة وتلطف لتسكين من كان يفتك
في ذروته من اهل بيته واوليائه بتسويله واغوائه فعل من
استشف ببصيرته استار المغايب وانفق عمره في تجارات التجارب
ونهض الى قهستان منتظرا ما يستانف امره ويقرر عليه
تدبيره الى ان رمي به في نحر خلف بن احمد لاعضال دائه وتجمير
العساكر طول ايامها بفنائه فبادر الى سجستان وبينه وبين
خلف مودة واسباب على الايام مؤكدة فافتتح الرأي عليه
بالنزول للحسين بن طاهر عن متحصنه والانتقال الى غيره
من معاقله ليتسبب هو ومن كان من قبل محدقا به من
اولياء تلك الدولة الى الانصراف عن جنابه بعلة الافتتاح وظاهر
النجاح فاذا خلا وجهه لوى العنان اليه منتصفا منه وممضيا
حكمه فيه فقبل مشورته ووافق ادركه الى حصار الطاق
حتى دخلها ابو الحسن بن سيمجور وصلى الجمعة بها مقيما رسم



الخطبة للأمير الرضي رحمه الله وطالعه بذكر ما فتح الله تعالى
على يده وسناه من ذلك الأمر بجده وجهده ورتب الحسين
بن طاهر بها أميرا وقرر أعمالها عليه تقريرا وانصرف هو وراءه
وسنورد ذكر ما جرى في أمره من بعد في موضع مثله

ذكر حسام الدولة أبي العباس تاش الحاجب وانتقال السالارية إليه

ثم سير أبو العباس تاش من بخارا إلى نيسابور على قيادة الجيوش
وزعامة العساكر وتدبير القاصي والداني من أمور الممالك ووصل
جناحه بفايق الخاصة ونصر بن طز السرابي وبني مالك
على فخامة أخطارهم وجلالة أقدارهم وسير تحت رايته أعيان
الأولياء والحشم بعد أن أزيحت علته فيما شاء واقترح من الأموال
والأسلحة والعتاد والعدة فورد نيسابور للنصف من
شعبان سنة إحدى وسبعين وثلثماية في آلة راعت الأبصار
وهيئة أعجبت النظار وهيبة سخنت الجوانب والأقطار
فدبر الأمور بصرامته ونظم المنثور بفرط حزامته وتألف

الجمهور برفق سياسته وزعامته ووافق تلك الأيام انقطاع
شمس المعالي قابوس بن وشمكير وفخر الدولة أبي الحسن
علي بن بويه إلى نيسابور عن حرب جرت بين مؤيد الدولة
بويه وبينهما وسببها أن عضد الدولة أبا شجاع كان قصد
فخر الدولة وهو أخوه لإجلائه عن ولايته التي كان
أبوه ركن الدولة أوصى بها له وعقد الوثيقة على كل منهما
به على الجملة التي أشار إليها أبو إسحق الصابي في كتابه المعروف
بالتاجي ودس إلى أهل عسكره من استمالهم عنه
وأغراهم به فلما ناهضه وهو إذ ذاك بهمذان وتدانت
الخطى بينهما خف معظم جيوشه إلى عضد الدولة مستأمنين
وولوه أعقاب الغدر هاربين فلما آنس خذلانهم إياه وكفرانهم
نعماه وبالأمس ما تدرأى ابن عمه بختيار كيف قطع
رحمه وأريق دمه خالفهم إلى طريق الديلم هائما على وجهه
وناجيا بحشاشة نفسه ومتقيا بركوب شعابها المضطربة
وآجامها الأشبة محاذرة من مس الطلب وركض الأكراد

والعرب وتوغّل تلك البلاد طاوياً مسافتها الى جرجان حتّى ألمّ
بشمس المعالي قابوس بن وشمكير لاجياً اليه ومستأمناً
إيّاه فآمنه وآواه ومهّد له ذراه وأعطاه فوق ما تمنّاه
وأشركه فيما ملكت يداه حتى جعل الملك وهو العلق الذي
طالما ضنّت النفوس بابتذاله وقاية له دون من همّ باغتياله
وسعى في استفساد حاله وبيان ذلك أنّ عضد الدولة
ومؤيّدها أرسلا رسولاً اليه يستردّانه على أموال تحمل
اليه وولايات عريضة تضاف الى ما في يديه وعلى مواثيق تستألف
في التعاقد على الصفاء والتعاون في حالتي السرّاء والضرّاء
فرجع اليهما أنّ الرجاء رحم والوفاء كرم وأنّ للأمان عنده
حرمة لا يرى إخفارها في دين المروّة وشرط الحفاظ والفتوّة
وعسّاه لوهم بهٖ أو كاد أن يأبى عليه بيض المواضي وزرق
الأسنّة والعوالي فاحفظهما هذا الجواب وجرّهما على مكاوحته
وانتزاع مملكته من يده وكتب عضد الدولة أبو شجاع الى أخيه
مؤيّد الدولة بمناهضته بعد أن أمدّه بما فوق الحاجة من الهم

الرجال ونفائس الأموال فبرز من الرّي متوجّهاً نحو جرجان في
جيوش الديلم والترك والعرب الى استراباذ متغلّباً على ما يرده من
بلاد طبرستان الى أن أناخ بها وكان شمس المعالي قابوس بادره
اليها وجمع عسكره بها فلمّا تلاقيا تناوشا الحرب من لدن طلوع الشمس
الى الزوال حتى احمرّ بساط الأرض من دماء الأبطال ثمّ انجهت
على عسكر الجيل كشفة أعيا ضبطها وال الاقدام عن المقام
فتفرّقت جموعهم في خمر الغياض والآجام وعطف شمس المعالي
قابوس الى بعض قلاعه المشحونة بذخائر أمواله واستظهر عنها
بالأهبة للغربة وسار نحو نيسابور فلمّا ورد هالحق به فخر الدولة من
طريق استوا فالتقيا هنالك واجتمع اليهما من فرّقتهم الكشفة
في الطرق المختلفة من طبقات الرجال وكتب الى الأمير أبي القسم
نوح بن منصور والى خراسان بحالهما في قصد دولته وتأميل الانتعاش
بعونه ونصرته وافتكاك ما غصبا عليه من الولايات بعزّ دعوته فورد
عليهما من الجواب الضامن للإيجاب ما شرح صدورهما وشدّ
بالنجح القريب ظهورهما وكتب الى أبي العبّاس تاش بإجلال محلّهما وإكبار



فذدهما واكرام جوادهما والاستعداد لردهما الى ديارهما
ففعل ما رسم وتلقى بالامتثال ما حتم وعطفت اليه اعنة الخيول
من كل وجه حتى استظهر بنخب الرجال وعزم على الارتحال
ونهض من نيسابور قاصدا قصد جرجان اذ كان مؤيد الدولة
بويه بها لينتزع ولاية الامير شمس المعالى اولا من يديه ثم يتفرغ
من التدبير فيه الى غيره وعنّ له ان يسرح فائقا على سمت قومس
والري ليقطع الامداد والمواد عنه ويلبس اخبار تلك الديار
عليه ويزيده شغل قلب بتوجه الجيوش اليه من وجهين واحداقهم
به من جانبين فنهض على السمت المذكور ثم بدا له فيما دبّر
ورأى ان التحزب للاستظهار على الوجه الواحد اصوب
ومن الحزم والاحتياط اقرب فاسترده من وجهه الى آزادوار
فاجتمعا على التضافر واتفقت آراؤهم على التساير وسار
حسام الدولة ابو العباس تاش في تلك العساكر الى باب
جرجان وفيهم شمس المعالى وفخر الدولة حتى اناخوا بظاهرها
وتحصن مؤيد الدولة بويه بها واحتجز بخندق قعره ومخترق

عوّره

بروج

غوّره وفروج للبلد حصنها ودروب بحفظة الرجال
شحنها ومادّهم الحرب حتى عبر شهران كيوم واحد في
مداومة الكفاح وملازمة السلاح وضاق الطعام في ربض
جرجان حتى اعيا الديلم قوتهم الذي يحفظ على الثبات قوّتهم
فكانوا يتزاؤون من نخالة الشعير المعجونة بالطين وعهدي بهم
يدرّجون كتبهم الى اهاليهم بالري رغفانا اشباه الفراريج يطوون
فيها شكوى الحال والهزال فكانت كاقراص المداد في السواد و
زحف الفريقان بعضهم الى بعض وكان فخر الدولة على
الميسرة مقابلا لعلي بن كامة صاحب جيش مؤيد الدولة فاظهر
الغناء واحسن البلاء وحمل عليه حملة زحزحته عن مقامه
كلها وطرحته الى استراباذ هزيما ولو اعين بمدد في الحال
لتفسّح ضيق المجال وجعلها آخرة في القتال لكن القوم نافسوه
فخذلوه لاجرم ان كوكبة من كتاب الديلم عطفت على من
تشاغل بالنهب والاغارة من اوباش الخراسانية فطبقوا عليهم
حبالة الاسر ثم عرضوا عن آخرهم على السيف وورد بعد



ذكر على أبي العباس تاش أبو سعيد الشبيبي في رجال من جنود
خوارزم وقاد الطراز وأبناء الشهامة والبهام واقتدح
الحرب بهم فلم يقنعوا بالحملة الا في مناهض الاشداق ومواضع الثغر
والاحداق وافنوا القتل والعور والفسل والحوز في الديلم
ثم تحاجزوا يومهم ذلك ولم تزل تقوم الحرب بينهم على ساقها
ظاهرة وعقبا فينتصف البعض فيها من البعض وكان أبو
الفضل المنجم الهروي اشار على مؤيد الدولة بمصابرتهم الى أن
يبلغ المريخ درجة الهبوط فيجعلها واحدة عليهم منحيا أو محققا
فاسر ذلك في نفسه واستعد لوقته فلما كان يوم الاربعاء
من شهر رمضان سنة اثنتين وسبعين وثلثمائة ثار بنفسه في عسكره
وعسكر اخيه على اختلاف اجناسهم وكان أهل خراسان
يظنون أن حربهم تلك عارض يتقشع وعن قرب على الرسم في
مثله يندفع فلما رأوها عمائما زكانا وشاهدوها غراما
ولزاما اقبلوا اليها مضطربين فاذا الأمراء والخطب جد
والحد حديد والباس شديد وبرز الديلم من وراء الخنادق

الى العراء بجرجين من جهد البلاء وضنك البؤس واللأواء فاستمرت
وقدة الحرب ودارت رحا الطعن والضرب وتحدث الناس
بان مؤيد الدولة قد خبث بانقا وأضرابه بمال حمله اليهم سرا
والمطمع في أمثالهم حيلة ومكرا وواطأهم على التشاهل في الحرب
لليوم المرقوب والاجل المضروب فلما جال عسكر الديلم من
ميمنتهم الى اولئك ادبار تفوذا وثبت حسام الدولة تاش
وفخر الدولة في القلب يتضاربان بالسيوف والقرابكينات
ويردان الحملات المتداركة بصدق النيات في الثبات الى
ان الفت ذات يمينهما وكافر وقد انتهب الجيوش وتفرقت
تلك الجموع فجد فخر الدولة فضل المقام لتكاثر الاهوال من
كل وجه عليه وتوجه الاطماع من كل أوب اليه
فانقلب اذ ذاك بريد العسكر فساخت في منقلبه قوائم الفيل
الذي حصن القلب في بعض تلك الحائمات واعجله حد
الامر عن التوقف لاذ ماجه باخراجه فتركه على حاله
وتجاوزه اسوه وترك العسكر شاغرا بما فيه من الاموال العكمة

والاسلحة المنضدة والغلمان الحصارية والغلات المجموعة
ومضى على حاله الى أن عاود نيسابور فدخلها ليلا وكتب الى
بخارا بخبر الوقعة وما جرت من الرجعة فعاد الجواب
بتقوية الآمال وتثنية الرجال وتهيئة الامداد والاموال
وطير الصاحب اسمعيل بن عباد كتبه الى بغداد وسائر
بلاد تلك المملكة بذكر الفتح على ما ينطق به رسائله
وانشدني الشاعر البجلي لنفسه في مؤيد الدولة قولا من قصيدة

ما هاك غيرك في هيجاء ملحمة مذ كورة آل سامان وسامانا
فاكتب لمن ببخارا أمنة فلقد غادرته عند نوم الناس يقظانا

وكان البجلي هذا مطبوع الشعر مسبوك النقد سديد البديهة
شديد العارضة وانقطع الى الامير شمس المعالي بجرجان
في أيامه فقرض له في جملة حاشيته الى أن قضى نحبه
فمن شعره فيه من قصيدة اولها

يا شمس ان تذكير الخير جمات والموشئة النقصان ملتزم
ادري بتلك سنا من غير معرفة فيها وزين هذا الفضل والكرم
يا ايها الملك الميمون طائره وخير من في الورى تمشي به القدم
لو كنت من قبل عادنا وكنفنا لما هدى الينا الشيب والهرم

ووصف ابو الحسن الجوهري الفيل المقبوض عليه في الجملة
الادبي بقصيدة اولها

قل للوزير وقد يتمد يستعرض الكرم المعدا
افنيت اسباب العلى حتى ابت ان تستجدا
لو مس احنك السحاب لامطرت كرما ومجدا
لم ترض بالخيل التي شدت الى العلياء شدا
وصلائم الاراء التي كانت على الاعداء جندا
حتى دعوت الى الهنى من لا كلام اذا تعدى
متقمصا نسج العلوج وفطنة اعيت معدا
متعسفا طرق العلى حيث لا تستاب قصدا
فلا كمثوى حين تلبس من دقاق الغيم بردا
مثل الغمامة عينت اكنافها برقا ورعدا
واتركة قلة شاهق كسيت من الخلا جلدا



فتراه من فرط الدلال مصعرا للناس خدا
يزهى بخرطوم كمثل الصولجان يرد ردا
متمددا كالافعوان تمده الرمضاء مدا
او كم راقصة تشيربه الى الندمان وجدا
او كالمصلب شد جنباه الى الجذعين شدا
وكانه بوق يحركه لينفخ فيه جدا
يسطو بساريتي لجين تحطمان الصخر هدا
اذناه مروحتان اسندتا الى الفودين عقدا
عيناه غائرتان ضيقتا لجمع الضوء عمدا
فك كفوهة الخليج يلوك طول الدهر حقدا
تلقاه من بعد فتحسبه غماما قد تبدى
متنا كبنيان الخورنق مائلا في الدهر كدا
ردف فالدكة عنبر متمايل الاوراك نهدا
ذنبا كمثل السوط يضرب حوله ساقا وزندا
يخطو على امثال اعمدة الخباء اذا تصدى

اومثل

او مثل اميال نضدن من الصخور الصم نضدا
متوردا حوض المنية حيث لا يشتاق وردا
متملكا فكانه متطلب ما لا يؤدى
متلفعا بالكبرياء كانه ملك مفدى
ادنى الى الشيء البعيد يراد من وهم واهدى
اذكى من الانسان حتى لو راى خللا لسدا
لو انه ذو لهجة وفي كتاب الله سردا
عقته ارض الهند حتى حل من ذو هو هندا
قل للوزير عبدت حتى قد اتاك الفيل عبدا
سبحان من جمع المحاسن عنده قربا وبعدا
لو مس اعطاف النجوم جرين في التربيع سعدا
او سار في افق السماء لانبتت زهرا وورد
يا ايها الملك الذي اجدى وعلم كيف يجدى
ما بال عبدك لا يرى لنا اخر التشريف حدا
برد الزمان وليته مما يلاقي مات بردا



قد صدّ عني تلكم الآلاء حاشا أن تصدّا

قال وهرند نهر جرجان الذي تلك الحروب على سواحله وهو يتلوّى في أرض جرجان تلوّي الحباب كثير الأوبات والعطفات ومنابع عن جبال دنباوند ذات أودية ينصبّ العين منها إلى العين حتى تملأ النهر وتهدّه الصخر ثم واصل أبو الحسين العتبي كتبه ولاءً إلى ولاة الأطراف بخراسان في استنهاضهم واستنفارهم ليتجرّدوا بهم إلى مرو ويجتمع معهم بها ثم يقبل بهم وبمن يستجيشه من رجالات خراسان على رفو ذلك الخرق ورتق ذلك الفتق وحسم مادة العجز واستعادة رونق الملك وأقبل يستعدّ للأمر بجدّه وجهده ويواصل الكتب إلى نيسابور بجميل وعده وخلع الأمير الرضي عليه خلعة جمع له بها بين تدبير الأقلام والقواضب وأضاف له إلى زيّ الكتّاب زيّ أرباب الكتائب فكانت خلعة خالعة لروحه قاطعة لعمره خاتمة لأمره وذلك لأن أبا الحسن ابراهيم بن سيمجور كان يشكو إلى فائق ما دهاه من قصده إياه حين عزله عما كان يليه وكاده في نفسه وذويه ولم ينفكّ يرصده بالغوائل ويطلبه بوجوه الأوتار والطوائل

إلى أن أشار فائق عليه بطائفة من الغلمان السديدية الذين كانوا أدووس أضرابهم في السفه والشغب والتحكّم في المطالب المفرط القوّة والغلب ودسّ إليهم من أغراهم به بسفاتج يتنجّزها إليهم حتى تواموا بينهم على قتله وتجمّعوا على الفتك به مغتنمين خلوّ بحاره عمّن يحتمي له أو يحامي عليه وأحسّ أبو الحسين بما دبّر من الأمر وأشفق على نفسه مما استطار من شرور الشر فشكا إلى الأمير الرضي موردة الحال وما أرصد به من الاغتيال ليبعث إليه بعدّة من القوّاد لمرافقته إلى الدار إجارة له عمّا كان يخشاه وصيانة لروحه عن غيلة ما يتحاماه فتسامع طائفة من المشتركين في التدبير عليه بخبره فطاردوا بأجنحة الركض على أثره ووضعوا فيه السيوف والدبابيس حتى أثخنوه ضربًا وحطمًا ورضًّا وقصمًا وأشفق من كان في مسايرته على أنفسهم فخذلوه وأهملوه فكان مثله كما قيل

كليه وجريه مباع والبشرى بلحم امرئ لم يشهد اليوم ناصره

وترك على الشارع صريعًا يمجّ دمًا نجيعًا وعندهم أنه قتيل



وان ليس للحيوة اليه سبيل ونقل كما هو الى باغ قريب من
مصرعه ليراعى ما يحدث من الرأي في عدمه فلما غشيه موج الظلام
وهبت عليه رخاء السحر انّ انّة سمعها الباغبان فبادر اليه فاذا
به رمق قلق ونفس مختنق فسعى الى دار السلطان مخبرا باثبات
حسّه واضطرابه على نفسه حتى امر به فنقل الى القهندز والزم
الاطباء المثابرة عليه طمعا في انتعاشه فاستصعب داؤه على الدواء
وقضى الله على عمره بالانقضاء فمضى لسبيله عظيم القدر والخطر
كريم الورد والصدر عديم المثل في سعة الرحل فقيد النظير
في الفضل الغزير ولم يرو في كتب الاولين ان احد الوزراء اتّسعت
همته كهمته لمشاطرته على ثروته ومنازعته فضل افضاله و
فتوّته سماحة كالغيث يقذف بالوبل او الريح تعصف بالرمل وسياسة
خفيت لها جنادب الليل وغصّت بها مشاعب السيل والسدّ

ابو جعفر الكافي لنفسه يرثيه

لهفي عليك ابا الحسين عين بكتك بكل عين
جرّعتني غصص الجوى وأريتني يوم الحسين

ولبعضهم فيه وقد زار قبره في جماعة من اصدقائه

مرّ على قبرك اخواننا فكلهم قد هاله شأنكا
فلم يزيدوك على قولهم عزّ على العلياء فقدانكا

وقد كان حسام الدولة وشمس المعالي وفخر الدولة بنيسابور على
انتظار معونته واستفاضة ما اسفر لهم من عدته فحدثني خالي ابو
نصر العتبي وكان على البريد بنيسابور قال دعاني حسام الدولة آخر
نهار يومه فلما وصلت اليه وجدت الثلاثة يتناضلون بينهم الآراء
في معاودة الحرب واستئناف معالجة الخطب فخلطوني بانفسهم
فيما تداولوه وسألوني ان انهي الى ذلك الشيخ صدق انتظارهم
لمعونته واستعدادهم للبدار الى امره واقبل على شمس المعالي
من بينهم فقال اكتب الى ذلك الصدر بان الحروب لم تزل بين الرجال
سجالا وانها تستصعب مرة وتصحب اخرى والحازم من يستفتح
بالجد باب النجح والظفر فالخير يتلف بين العجز والضجر واضرب
له ابيات المتنبي مثلا

يرى الجبناء ان العجز حزم وتلك طبيعة الوغد اللئيم



إذا غامرت في شرف مروم فلا تقنع بما دون النجوم

فطعم الموت في أمر حقير كطعم الموت في أمر جسيم

قال فاستدللت يومئذ بقوله على فضله وورد عليهم بعقب ذلك

نعي أبي الحسين الوزير فأوسعهم وجوما ونثر عليهم من التدبير ما كان

منظوما وورد على أبي العباس تاش كتاب السلطان في استعادته

إلى الباب ليتدارك ما اختل وتلافي ما انحل واعتل فاغتنم البدار

ومضى وسار حتى ورد بخارا فرتب تلك الأمور ونظم المنثور و

تتبع الجناة على أبي الحسين فطبقهم بالقتل والتدمير وعمهم بالنفي

والتسيير واستوزر أبو الحسين المزني فعمل بالتدبير وحل في

التقديم والتأخير لتهافت الأعمال واستبداد آخرين عليه

بالإيراد والإصدار وقد كان أبو الحسن بن سيمجور انكفأ عن

سجستان إلى خراسان من غير أمر مدد إليه استشرافا لنجوم الفتن

وانتقاض الأعمال بها بتراجع العسكر عن باب جرجان وتشوفا

لنفاق سوقه فيما بينها فكتب إليه أبو الحسين المزني مقبحا إليه فعله

وناعيا إليه عقله وسامه أن يعدل إلى قهستان متذرعا عن

ملابسة الأعمال متورعا وأن يسلم أبناء الدولة في جملته ورايته

إلى ابنه أبي علي على أن يعاود سجستان فيكفي أمرها ويلم شعثها ويرأب

صدعها وجعل باذغيس وكنج رستاق باسمه ورسمه على أن يزاد

في توليته وحباءه متى عرف في الطاعة صدق نيته وغنائه

فلما استقر أبو العباس تاش ببخارا اغتنم أبو علي خلو خراسان

عنه وعن المناصلين دونه والمتصلين به فراسل فائقا يريده

على مخالفته والجهار بمنابذته وترك الرضا بزعامته فوجده سمح

القياد إلى المراد طوع الزمام إلى العناد واجتمعا على توكيد

العقود وإمرار المواثيق والعهود وبدأ أبو علي بمصادرة عمال

أبي العباس تاش بنيسابور ومطالبتهم بما كان تحت أيديهم من

أمواله وارتفاعات أعماله ثم نهضا إلى مرو وسدا دون الولايات

وجابا دون الأموال والارتفاعات حتى اضطر تاش إلى مناهضتهما

وكفاية ما أهم من أمرهما ومداواة ما استفحل من شرهما

واستفتح الخزائن عن ذخائر الأموال ونفائس الأسلحة

والأثقال وبرز من بخارا إلى آمل الشط فخيم على طرف الرمل



وتردد السفراء فيما بين الفريقين على حفظ نظام الالفة و
استبقاء جمال الدولة واخماد جمرات الفتنة فوقع الاتفاق
على ان تكون نيسابور لتاش وبلخ لفائق وهراة لابي علي وتفرق
كل منهم على رياس عمله وللخوارزمي مرثية في ابي علي وقد حصل هراة
تهنّا بالامير هراة اذ قد علا عن ان يهنّا عن هراها
وكيف تهنا الدنيا جميعا بناحية من الدنيا اختواها
وانحدر ابو العباس تاش الى مرو وقد كان زحل فضوله من بخارا
توصل الى عزل المزني عن الوزارة بابي محمد عبد الرحمن
الفارسي المتولي كان للامور كدخدائية لما بينه من ميله
الى ابي علي وفائق وادهانه في امرهما فلما استقر هو بمرو
صرف عبد الرحمن بعبد الله بن عزير وهو المعروف بتعنت آل
عتبة ومشاحنتهم ونصب العداوة لهم ولصنائعهم وحرق
الارّم كيادا عليهم فبدا بصرف ابي العباس تاش عن قيادة الجيوش
ونقلها الى ابي الحسن بن سيمجور مضادة لابي الحسين العتبي في
تدبيره وتداركا بزعمه لما وهى من اصل تقديره وتقريره وامر

بالكتاب عن السلطان اليه في نقل العمل عنه وتعويضه كورتي نسا وابيورد
منه والايعاز اليه بالامتداد اليهما والاقتناع بهما وحذف عنه
خطاب الزعامة واقتصر به على ما كان موسوما به من الحجابة فلما
وصل الكتاب اليه احس بمادة الشر ودلالة الختل والختر وعلم
ان ذلك فاتحة الخطب عليه والتشفي منه والوضع من قدره والثلم
في جاهه ومحله فاستحضر وجوه القواد واعيان الحشم وعرض
عليهم الكتاب وعرفهم دابه ودَيدنه في طاعة سلطانه ومناصحته
والاخلاص لدولته والذب عن حوزته والشكر لما وسعه قديما
وحديثا من نعمته واقباله مدة مصاحبتهم اياه عليهم بحسن
رعايته ورفق زعامته وايالته نيابة عنهم في تحجز او طارهم
وتنزيين مساعيهم وآثارهم ومواساته لهم بما اتسعت له يده
من خاص ماله وحاضر ملكه وانه يومه ذلك في نفسه ومهجته
مقصود وعن باب مالكه وولي نعمته مردود ولا منع من
جهته لاحد منهم عن رايه واختياره في معاودة بخارا او اللحاق
باي جانب شاء فليختر كل منهم ما احب غير منازع في قصده



ولا مدافع عن وجهه فاستمهلوه ريثما يعلمون من وراءهم من
اهل العسكر صورة الحال ويعرفون ما عندهم من الرأي في المقام
او الارتحال وتجمعوا بعد ذلك فئات متباعدين مرة في
الاختيار ومتقاربين اخرى الى ان اتفقت كلمتهم على
موافقته وترك مفارقته والاذعان لرياسته ومرافقته
على ما يلقاهم الزمان به من سلم وحرب وذلول وصعب
وسهل وحزن وسرور وحزن وكاتبوا الى بخارا
سائلين رد الزعامة عليه رعاية لحق خدمتهم وتحكيما للكرم في
تحقيق مسألتهم واستبقاء لوجوههم ماء طاعتهم فأبى ابن
عزير ان يقع لهم نجاح او يستمر بين اولياء الدولة صلاح وكتب
اليهم يمنيهم الزور ويريهم الغرور كسراب بقيعة يحسبه الظمآن
ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا وسامهم معاودة الحضرة تطميعا
لهم وتشفيقا للنفاق عليهم فلما عرفوا صورة الجواب ازدادوا
بصيرة في طاعة ابي العباس تاش ونفاذا في خدمته وتصرفا
بتصاريفه وتجرعا له في وجوه تكاليفه

ذكر انقلاب فخر الدولة الى ولايته وما جرى بعد ذلك بينه وبين حسام الدولة ابي العباس تاش من المكاتبة والتعاوف الى آخر عمره

اتفق بعد معاودة ابي العباس تاش الى بخارا ان قضى مؤيد الدولة
نحبه ولقي ربه وقبل انقضاء الحروب التي كانت بينهما مادهاه
الخبر بوفاة عضد الدولة اخيه فتماسك عن اظهار المصاب
اناة بالخطب امامه حتى يكفيه بحفيظته المرة ويقضيه
بعزيمته المستمرة وتشاور اولياء تلك الدولة فيمن ينتصب
منصبه ويسد في الرياسة مسده فاشار الصاحب اسمعيل
بن عباد الى فخر الدولة اذ لم يكن في ذلك البيت احق
بالامارة واتم باعباء الرياسة والسياسة سنا وكفاية منه
فطيروا البريد اليه في البدار الى ما اورثه الله من عقيلة
الملك وذخيرة الملك عفوا لا منة لاحد عليه به ولا حق
لانسان يختم لسانه بشكره واستخلفوا اخاه ابا العباس



خسرو فيروز بن ركن الدولة على ضم المنتشر وتقويم
المتأود الى ان يلحق بهم فيتولى تدبير ما يليه ويتولى عنه
تحرير ما ينشئه برايه ويمليه وبادر فخر الدولة من نيسابور
الى جرجان تطاير البرق بين جناحي الافق فاستقبله
العسكر خاضعين طائعين وعلى صدق الموالاة والموالاة
متابعين وتبوأ مقعده من سرير الملك وارثا ما اوصى به
له ابوه وساير ما كان يدبره اخوه كذلك يؤتي الله الملك
من يشاء وينزعه ممن يشاء وهو الفعال لما يريد ولقد
احسن ابو بكر الخوارزمي حيث يقول في قصيدة يرثي
بها مويد الدولة ويعزي ويهني فخر الدولة

رزيت اخا لو خير المجد في اخ من الناس طرا ما عداه ولا استثنى
وقد جاءت الدنيا اليك كما ترى طفيلية قد جا وبت قبل ان تدعى
طبت بك عشقا وهي معشوقة الورى فقد اصبحت قيسا و
عنه بها ليلى

ولما راى خطابها فركتهم فلم ترض الا زوجها الاول الاولى

ولم تتساهل في الكفي ولم تقل رضيت اذا ما لم يكن ابل معزى
على انها كانت جفتك مدللا فخليتها حتى انت تطلب الرجعى

وانشدت لابي الفرج بن ميسرة ابياتا من قصيدة

ولو قبل الفداء لكان يفدى وان جل المصاب عن التفادي
ولكن المنون لها عيون تكر لحاظها في الانتقاد
فقل للدهر انت اصبت فالبس بوغمك دوننا ثوب الحداد
اذا قدمت خاتمة الرزايا فقد عرضت سوقك للكساد

وكتب الى ابي العباس تاش بذكر ما اصاره الله اليه واعلقه
بيديه وان ذلك كله موقوف على احكام مشاركته ومصروف
الى اقسام ارادته وانه لم يرتح لاستجابة ايامه النافرة واعتاب
دولته العاتبة ارتياحه لما تمكن به من معاضدته على مصالح
احواله ومرافدته على مناهج آماله شكرا لما كان تقدم
من مقامه قبله وقدمه من جهده في ايثار الخير به وارتياد
النجح له فاجابه عنه مهنيا بما اتاحه الله له من كريم
صنعه وزفه اليه من هدي ملكه وشاكرا له ما اوجبه وراءه



وشاكيا اليه ما رهقه ودهاه فكتب اليه بانه سهيمه فيما
يليه وقسيمه على ما يحويه وان امره ممتثل في كل ما يرومه
وينتحيه فليبن امره على ما يقف عليه اقتراحه منتظرا
لما يقتضيه شركة المفاوضة من التشريك بالملك والمال
وتسريب الرجال في اعقاب الرجال وكان قد انهض ابا سعيد
الشبيبي وهو الملقب بشيخ الدولتين الى ما قبل فخر الدولة
رسولا فصرفه في العاجل بقدر من المال وزهاء الف فارس
من سرعان العرب والاتراك فورد نيسابور وانضم اليه
ابو محمد عبد الله بن عبد الرزاق موالبا لابي العباس
تاش على ابي الحسن بن سيمجور فاجتمعا على التعاضد واتفقا
على التكاتف والترافد وانحدر تاش لانيسابور فسبقه
اليها ابو الحسن وانحاز المقيمون بها انتظار الوصوله
في سواد خيوله ولحق بهم فصارت الايدي واحدة والقلوب
على الاخلاص متعاقدة وقصد باب نيسابور من جانبها الغربي
فخيم بظاهره وناوش ابا الحسن الحرب اياما عدة وهو متحصن
بالبلد ودروبه ومحتجز بضيق مداخله وسدوده ولحق بابي العباس
تاش زهاء الفي رجل من خلص الديلم ونخب الاتراك يقودهم ابو العباس
فيروزان بن الحسن في كباد الفؤاد ممن يعذمون على الزبر ويدخلون
ولو خرت الابر فلما احس ابو الحسن بن سيمجور باناختهم علم قوتهم
على حرب المضيق واعجازهم باطراف الزانات والمزاريق فاتخذ
الليل جملا وترك البلد هملا وسار يريد قهستان ساترا عورة
الانهزام بلباس الظلام وسمع عسكر ابي العباس باجفالهم فشدوا
على آثارهم واثقالهم واصابوا منهم غنائم موفورة وانفالا
غير محصورة ودخل ابو العباس تاش نيسابور وجاوزها
الى المعسكر بظاهرها مما يلي الجانب الشرقي حميد الظفر رضي
الاثر وانشدني ابو المنصور الثعالبي لنفسه في تلك الوقعة

قل للذي انا في هواه خاش ... صاد الفؤاد بصدغه الجماش
صدغ يرى عند الرياح كانه ... قلب ابن سيمجور احس بتاش

وله ايضا

ان الشتاء مضى بقبح فاش ... واتى الربيع لنا بحسن رياش



ومضى ابن سيمجور بقبح فعاله وانتاش ابناء الكرام بتاش
ولزم تاش مناخه ذلك يواصل الكتب الى بخارا في الاستمالة و
الاستقالة والضمان لانف الطاعة وعوض النفس والملك
بلسان الضراعة فلجت بابن عزير صلابته في عداوة آل عتبة
دون مغايضته ومعاداته ومعاندته وطفق ينفق على الامير
الرضي والدته التي كانت كافلة بالملك ان تاش معتصم
بالديلم وقاصد قصد الاجحاف بالدولة وانه متى ارخي من
عنانه فيما يستدعيه وجب التعزي عنها والتكبير
عليها حتى ظننا ان الامر كما زعم فوكلا التدبير اليه وجعلا
رباط الخير والشر بيديه وقد كنت اروي لصديق لي في تلك
الايام بيتين لابن المعتز سمعتهما في الشباب وهما
شيئان لو بكت الدماء عليهما عيناي حتى تؤذنا بذهاب
لم تبلغا المعشار من حقيهما فقد الشباب وفرقة الاحباب
فقال ان الاليق بحكم الوقت والحال بيتان في وزنهما وصياغتهما
للحسين بن علي المروالروذي وهما

شيئان يعجز ذو الرياضة عنهما راي النساء وامرة الصبيان
اما النساء فميلهن الى الهوى واخو الصبى يجري بغير عنان
فانصف لعمري فيما وصف وحكم حكما يشهد به العيان ويسجل
بصحته الامتحان وابى الله ان يكون طير في شفقة الام وخال
بمنزلة العم وعسيف بمثابة الصاحب ووزير بمحل الملك
الغالب المستبد برأيه الصايب وفكره الثاقب واهمل ابو العباس
تاش ما اهمه من امر ابي الحسن بن سيمجور وقصده بمداراة
ولاة التدبير ببخارا واستمالة لهم واستيناء واستذراء بهم
وامساكا للوحشة من الازدياد وصيانة للقرح من الامداد
وهم فيما بينها يهتبلون فرصة الرخاء ويغتنمون فسحة
الامهال والانهاء ويقبلون على مواصلة الاحتشاد والا
ومداومة الاستعداد والاستنجاد وكتب ابو الحسن بن
سيمجور الى ابي الفوارس بن عضد الدولة بفارس فامده بالفي
فارس من نخب الاعراب وانضم اليه فايق في خواص
غلمانه وساير من استجاشهم من اطراف خراسان وكتّوا



غربته وهي ان اخويه عضد الدولة ومؤيدها ارسلا اليه يستردانه
على اموال عظيمة تحمل الى خراسان في كل سنة بسلطان
اولا وله ثانيا مشفوعة بمجلوبات العراق من وشي الثياب
وفره العتاق واغليا في الاستيام والتطميع حتى لم يبق للرد
مجال ولا للسان العذر مقال واتاني خبر الرسالة فاستظلمت
ضوء النهار واستخشنت جانبا القرار وقمت من الحيوة على شفا
جرف هار اذ لم يكن في الهرب مطمع ولا في قوس
الرجاء منزع وبت بليلة انقد ارى السهر كانه قد الى ان اصبحت
وقوائي متخاذلة واركاني متهافتة خوف الاذن بالداء العياء
والداهية الدهياء فاتاني حاجبه بعد فراغه من الاذن
داعيا وادبا فلم ادر ادلغ هو ام ناع وادب هو ام نادب
وطالع ضيافة ام طارق افة وخمنت في القرى كناية عن المحذور
وتورية دون القدر المقدور فركبت اليه وسير عناني احصف
مرة من بناني عليه الى ان حصلت في مجلسه فصادفت من
حسن القيام والالتزام وفرط الاكرام والاعظام وفضل

البر والايناس ونصرة الرجاء على الياس ما لم اكن عهدته فيما
مضى من مجالسه ومآنسه وما زال يرقيني ببشره ويسحرني
بلطفه وبره الى ان ثابت نفسي الي وانحلت عقدة الخوف علي
وتطاير الهم عني شعاعا وذهب سوء الظن جفاء ثم ناولني
الرقاع الواردة عليه فنشرتها عن انياب الاراقم واقداح
العلاقم وحماة العقارب على الرسم المعتاد من كيد الاقارب
ثم اقبل علي فقال قد كنت على ان اكتم الامير صورة ما ورد مبقيا
لقلبه عن نوازع الظنون والاوهام ولكني فكرت في
حكم الحال التي تجمعني واياه فرايت اطلاعه طلع ما كتب و
الافضاء اليه بحقيقة ما طلب املك لسكونه واوقع لطائره
وانفى لخلاج الشك عن خاطره واقسم بجميع ما يغلظ به ايمان
البيعة انه لا يعدل خراج العراق باسره على نفاسة قدره
بشعرة من بدنه ولا بدينار من تربته وان جميع ما املكه
من صامت وناطق وقاعد وقائم حتى فص هذا الخاتم وزر
هذا القرطق وقاية لمهجته ووقف على مصلحته ومعد لدرء

وانحدر ابو العباس تاش الى جرجان ففصل عنها فخر الدولة
متوجها نحو الري واخلاها له ولاهل عسكره وترك دار الامارة
محفوفة بالفرش الفاخرة والخزائن العامرة والاهب الوافرة
حتى المطابخ بما فيها من الآلات الصفرية والاواني الذهبية
والفضية وتقدم بان تسلم اليه خزانة كان قد اعدها
للحمل اليه قبل الكشفة مشتملة على خمسين الف دينار والفي
الف درهم وخمسمائة تخت من الوان الثياب الى غيرها من عتاق
الافراس وجياد المراكب والدواب واعداد الاسلحة
والوقايات من تجافيف ومغافر ودروع وجواشن وترسة
وزانات اكثرها مغشى الظهور والنصول بحلى الذهب
والفضة وسوغ له دخل جرجان ودهستان وآبسكون
واستراباذ الاقدر كان مصروفا الى عمارة القلاع وارزاق
مستحفظيها من الخواص فامر ابو العباس تاش بتفرقة
تلك المبار والاموال فيمن صحبه من القواد وطبقات الاجناد
حتى جبر كسرهم وقوى اسرهم وواصل لهم الاقامات والاطماع

حتى ارتاشت احوالهم واخصبت رحالهم فصاروا بجرجان
احسن منهم بخراسان حالا وارغد عيشة وانعم بالا وجعل
فخر الدولة يتابع الحمول اليه من طبرستان زيادة في
تأثيل احواله واستبقاء لنظم جنوده ورجاله فعل من لا
ينفس على اخيه بنفائس ما يحويه ولا يضن على صديقه
بجليل ملكه ودقيقه وقد كان الصاحب اسمعيل
بن عباد يستشرف ما يوجبه له من الاحسان والمواساة
ومواصلة الصلات والكرامات ومن قبل ما نصح
له في استعراض خراسان برجاله مخالفة لسلفه فيما اختاره
من مسالمتها واغتنام السلامة منها فقال له ذات يوم ان
حقوق ابي العباس على حقوق لو نزلت معها عن جميع ما افاء
الله على من ثمرات هذا الملك حتى احل له عروة هذا القميص
لوجدتني في ادنى درجات المكافاة وايسر مراتب المواجب
واشار الى واحد يكفيه امارة على ما اوجبه له ايام مقامه
قبله اشفاقا على مهجته وحرصا على محبته وذبا عنه في حاله

ثلث

الحوادث عن ساحته ومبتذل في الانتقام له ممن نافسه
في ملكه ونازعه حق ارثه حتى ياذن الله له في رده الى
بيته قرير العين منشرح الصدر صاعد النجم ماضي الحكم
على الخصم ايستحق من يسمح بمثل هذه الاكرومة طوعا
وطبعا لا عن رغبة في دعيبة ولا ميل الى نيل ولا تطلع
الى وجه مطمع ان نتغافل عن معونته وارفاده ونتجاهل
دون ما يجذب اليه زمام مراده لا ورب الكعبة وحق
ركن الدولة لا عرف الناس نسيانا في هذا الحق العظيم
وقد استسهلت طريق المكافاة واصبت عون الله على حسن
المجازاة على ان الفضل له بسبقه الى البر وان جهدت
في المقابلة وشددت الى الغاية في المساجلة فعجب الحاضرون
من هذا الكلام والكرم الذي عز سماع مثله في سالف
الايام واجتشد الصاحب من بعد لمصالح ابي العباس
تاش مناصحة لصاحبه وكفالة عنه بما يقضي الحق عليه
ويقيد شرف الوفاء له وبقي ابو العباس تاش بجرجان

ثلث سنين نابي الجنب عن القرار راجيا في الجفن دون الغرار
شوقا الى خدمة سلطانه وحرصا على عرفان حق اصطناعه
واحسانه واشفاقا من تأويل حساده في انتباذه عن خراسان
انكاره حق الولاء ونزعه عن رقبته طوق الطاعة والوفاء
وحل همه معاودة بخارا لاستيناف الخدمة والسلامة
من المذمة وارسل ابا سعيد الشبيي الى فخر الدولة في
الاستعانة على معاودة خراسان فجهز اليه اسفار بن
كردويه وعدة من اعيان القواد في زهاء الفي رجل
من خلص الديلم وكتب الى نصر بن الحسن بن فيروزان
وهو بقومس بصلة جناحهم والزعامة عليهم في ايرادهم
واصدارهم والصدر في ذلك كله عن راي حسام الدولة
ومثاله والتصرف بتصاريفه في حالتي حله وترحاله
وتارتي سلمه وقتاله وحمل في صحبته من المال لاقامات
اهل عسكره ضعف ما كان يخلفه عليهم عند
فصوله من جرجان فسار ابو سعيد الى قومس فانتدب

نصر لقراه وقرى القواد في صحبته كما قرى تميم ضيفها وجارها
ابن الحضرمي حذو النعل بالنعل وذلك انه امر به في صحن داره
فاخذته السيوف يمنة ويسرة حتى برد وعمد الى آخرين
فحبسهم في سرب واوقد الفحم عليهم وسد منافذ السرب
دونهم حتى اختنقوا بين حر المحبس وعدم المتنفس
وافتات بتلك الاموال المحمولة والدواب المقودة راميا
بسمة الغدر وقاضيا على نفسه بالخزي يد الدهر وانفل
الباقون نحو الري لا يلوي واحد منهم على آخر الى ان وردوها
فقرروا الصورة وقرأوا الصحيفة المنشورة فورد من
ذلك على فخر الدولة ما اطار واقعه وهاج وادعه وعلى
حسام الدولة ابي العباس تاش ما اقلقه واكمده
واضعف عن كل شيء قلبه ويده وكتب اليه فخر الدولة
بذكر ما وراءه من تجهيز الجيوش اليه يستحده الى
استراباذ وخيم بهزارجان فاخذ نصر اماما قدم وحدث
وما مر وخبث ورأى الحين قد فغر فاه والسيوف تطلب

وجهه وقفاه فلاذ بالاستسلام وفزع الى الضراعة والاسترحام
وطفق يكتب في الاعتذار الى الجانبين بانه كالعارك حياء مما
ارتكبه وتجلا من عوار ما اكتسبه وتحمل بشفاعة حسام
الدولة في الاستصفاح واستقالة ما تخبط فيه بسوء
الاختيار حتى كتب في بابه بما نفس من خناقه وتكرم فخر
الدولة بقبول انابته رعاية لحق شيبته وقرابته وعاد
ابو العباس تاش لجرجان على ان يستأنف تدبير خراسان
وكان فخر الدولة قد استوحش من ابن اخيه بهاء الدولة
لاحوال اخل فيها بحقه وترخص معها في المفروض من اجلال
قدره ومحله فناهضه في معظم جيوشه من احمائه في اعمال
خوزستان ومعه بدر بن حسنويه في جنود الاكراد
اولي البسالة والجلاد وسار حتى غلب على كورها مدلا بالقوة
السابغة والنجدة الوافرة وانهض ابا العباس فيروزان
بن الحسن نحو البصرة لاستصفائها واستضافتها الى اخواتها
فلما عبر نهر موسى استجاش المقيمون بها من عسكر بهاء الدولة

باجمعهم على ابي العباس تاش في خيول غص بها عرض الجبوب
وضاق عن ضمها اضلاع الشمال والجنوب فلما قاربوا نيسابور
خالفوا معسكره الى البلد لامتلاكه عليه ومساورته الحرب
عن ظهر منعة واقتدار وحال نجدة واستظهار فعارضهم
ابو العباس تاش في مسيرهم بعبد الله بن عبد الرزاق وابي
سعيد الشبيبي وخواص غلمانه وناوشهم الحرب من حيث
متع النهار الى ان صارت كعين الاحول وظلت حملاته تحطمهم
حطما وتوسع اركانهم هدا وهدما وكانت المجاعة ما بين
سرخس الى مقامهم ذلك قد بلغت منهم مبلغا احرج صدورهم
واقنع بالاجفال جمهورهم ايثارا لفسحة المضطرب
والخلاص عن ضيق المعترك وحمل ابو العباس تاش آخر النهار
حملة قدرها خاتمة القتال وآخرة النزال فتلقاها ابو
الحسن وابو علي ابنه بشكائم قوية وعزائم في الثبات
صرية وردوا مطلقات الاعنة بمشرعات الاسنة
ومشنوعات الزحوف بمرهفات السيوف فلما انقلب

الى مقامه وقد تفرقت في تلك الحملة عنه سواد خيوله وحفظة
راياته شدوا الحملة عليه دفعة واحدة واضطروه الى الانهزام
واسلام المقام وتداركت الحملات على عسكر الديلم من جانب
فايق حتى تزعزعت صفوفهم واضطربت جموعهم فتداعوا
الامان من قراع السيوف خلا من انجته صهوات الخيول
فجمعوا في بيت الاسار على حال الذل والصغار ثم حملوا الى بخارا
على الجمال في الجواليق آية ونكالا وتشفيا ممن ساقهم الى
خراسان ارسالا فاستقبلهم المخانيث بالدفوف والمغازل
بدلا عن السيوف والعوامل وامر بهم الى محابس القهندز
الى ان اقتسمتهم الايام بين ممات ونجاة

ذكر انتقال حسام الدولة ابي العباس تاش الى جرجان ومقام ابي الحسن بن سيمجور بنيسابور على قيادة الجيوش

أهل البصرة عليه فعمد منهم خلق عظيم إلى المسالك بينه
وبينهم فبثقوا أسكور الأهواز عليها حتى عميت الطروق
وأعوز المجال والمخترق وبقي هو ومن معه في مخاضات
ووحول سدت عليهم وجوه الاختيار وطمست دونهم معالم
الإقبال والإدبار ووافقهم إقبال خيول من الموصل على عوادل
الطرق لمظاهرة المقيمين بالبصرة فلما أخذتهم أبصار
أبي العباس فيروزان بن الحسن ورأوا فيهم شوكة وفورا
ولوا على أعقابهم نفورا وكان بدر بن حسنويه قريبا
منهم فلما رأى الكشفة جاء نابيا وثبت بنفسه مدافعا
فأعياه سد ما اختل ورد من أخل فاستمرت الهزيمة بهم
إلى فخر الدولة وهو بسوق الأهواز فشكوا إليه ضيق المجال
وتجمعوا على رأسهم للمطالبة بالمال فغاظه ما ظهر في الأول
من عجزهم وخورهم وما انتشر في الثاني من سوء فعلهم وأثرهم
فانكفأ بهم راجعا إلى همذان على ظاهر هدنة ووقع التغاضي
عليها ومنها ومنها إلى الري وذلك في شهور سنة سبع وسبعين

وثلثمائة وحدث وباء بأرض جرجان خارج عن الحد في هذه
السنة فهلك من أصحاب أبي العباس تاش ووجوه قواده
وأعيان رجاله والمذكورين من عماله وكتابه وسائر حاشيته
وغلمانه خلق عظيم وعرضت له بآخرة علة صعبة ختمتهم
به فمضى لسبيله رحمة الله وقد كان أصحابه أوغروا قلوب
أهل جرجان برسوم ذميمة ابتدعوها ومعاملات قبيحة
اخترعوها وأعمال عنيفة أوقعوها فلما فشا خبر وفاته
صادوا أبدا واحدة على أصحابه فكبسوهم في الدور والحجر وطلبوهم
تحت كل مدر وحجر وجعلوا القتل جفلى وانتظم الكبير
والصغير والشريف والمشروف في سلك القتل والتنكيل
والإبادة والتمثيل وشغل وجوه عسكره دهاء المصيبة
عن الفراغ لقمعهم ووقمهم وإخماد جمرتهم واستكفاف
معرتهم واقتضتهم صورة الحال البروز إلى ضاحي البلد لضبط
الأمر وضم النشر وإتقان التدبير في اختيار من يصلح
للتأمير فبرزوا إليه واتفقت كلمتهم على أبي أحمد بن أخت

وانحدر أبو العباس تاش إلى جرجان ففصل عنها فخر الدولة
متوجها نحو الري وأخلاها له ولأهل عسكره وترك دار الإمارة
محفوفة بالفرش الفاخرة والخزائن العامرة والأهب الوافرة
حتى المطابخ بما فيها من الآلات الصفرية والأواني الذهبية
والفضية وتقدم بأن تسلم إليه خزانة كان قد أعدها
للحمل إليه قبل الكشفة مشتملة على خمسين ألف دينار وألفي
ألف درهم وخمسمائة تخت من ألوان الثياب إلى غيرها من عتاق
الأفراس وجياد المراكب والدواب وأعداد الأسلحة
والوقايات من تجافيف ومغافر ودروع وجواشن وترسة
وزانات أكثرها مغشى الظهور والنصب بحلي الذهب
والفضة وسوغ له دخل جرجان ودهستان وآبسكون
وأستراباذ الأفذاذ كان مصروفا إلى عمارة القلاع وأرزاق
مستحفظيها من الخواص فأمر أبو العباس تاش بتفرقة
تلك المبار والأموال فيمن صحبه من القواد وطبقات الأجناد
حتى جبر كسرهم وقوى أسرهم وواصل لهم الإقامات والأطماع

حتى أثاثت أحوالهم وأخصبت رحالهم فصاروا بجرجان
أحسن منهم بخراسان حالا وأرغد عيشة وأنعم بالا وجعل
فخر الدولة يتابع الحمول إليه من طبرستان زيادة في
تأثيل أحواله واستبقاء لنظم جنوده ورجاله فعل من لا
ينفس على أخيه بنفائس ما يحويه ولا يضن على صديقه
بجليل ملكه ودقيقه وقد كان الصاحب إسمعيل
بن عباد يستشرف ما يوجبه له من الإحسان والمواساة
ومواصلة الصلات والكرامات ومن قبل ما نصح
له في استعراض خراسان برجاله مخالفة لسلفه فيما أختار
من مسالمتها واغتنام السلامة منها فقال له ذات يوم إن
حقوق أبي العباس على حقوق لو نزلت معها عن جميع ما أفاء
الله علي من ثمرات هذا الملك حتى أحل له عروة هذا القميص
لوجدتني في أدنى درجات المكافاة وأيسر مراتب المواجب
وأشار إلى واحد يكفيه إمارة على ما أوجبه له أيام مقامه
قبله إشفاقا على مهجته وحرصا على محبته وذبا عنه في حال

غزنته وهي ان اخويه عضد الدولة ومؤيدها ارسلا اليه يستردانه
على اموال عظيمة تحمل الى خراسان في كل سنة للسلطان
اولا ولد ثانيا مشفوعة بمجلوبات العراق من وشي الثياب
وفره العتاق واعليا في الاستيام والتطميع حتى لم يبق للرد
مجال ولا للسان العذر مقال واتاني خبر الرسالة فاستظلمت
ضوء النهار واستخشنت جانب القرار وقمت من الجنوع على شفا
جرف هار اذ لم يكن في الهرب مطمع ولا في قوس
الرجاء منزع وبت بليلة انقد ارى الستر كانه قد الى ان اصبحت
وقوائي متخاذلة واركاني متهافتة خوف الاذن بالداء العياء
والداهية الدهياء فاتاني حاجبه بعد فراغه من الاذن
داعيا وادبا فلم ادر ادالج هو ام ناعج وآدب هو ام نادب
وطالع ضيافة ام طارق آفة وخمنت في القرى كناية عن المحذور
وتورية دون القدر المقدور فركبت اليه وسير عناني احصف
مرة من بناني عليه الى ان حصلت في مجلسه فصادفت من
حسن القيام والالتزام وفرط الاكرام والاعظام وفضل

البر والايناس ونصرة الرجاء على الياس ما لم اكن عهدته فيما
مضى من مجالسه ومآنسه وماذا الذي يؤمنني ببشره ويستجرني
بلطفه وبره الى ان ثابت نفسي الي وانحلت عقدة الخوف علي
وتطاير الهم عني شعاعا وذهب سوء الظن جفاء ثم ناولني
الرقاع الواردة عليه فنشرتها عن انياب الاراقم واقداح
العلاقم وحماة العقارب على الرسم المعتاد من كيد الاقارب
ثم اقبل علي فقال قد كنت على ان اكتم الامير صورة ما ورد صيانا
لقلبه عن نوازع الظنون والاوهام ولكني فكرت في
حكم الحال التي تجمعني واياه فرايت اطلاعه طلع ما كتب و
الافضاء اليه بحقيقة ما طلب املك لسكونه واوقع لطائره
وانفى لخلاج الشك عن خاطره واقسم بجميع ما يغلظ به ايمان
البيعة انه لا يعدل خراج العراق باسره على نفاسة قدره
بشعرة من راسه ولا بذرة من ذريته وان جميع ما املكه
من صامت وناطق وقاعد وقائم حتى فص هذا الخاتم وزر
هذا القرطق وقاية لمهجته ووقف على مصلحته ومعد لدرء

الحوادث عن ساحته ومبتذل في الانتقام له ممن نافسه
في ملكه ونازعه حق ارثه حتى ياذن الله له في رده الى
بيته قرير العين منشرح الصدر صاعد النجم ماضي الحكم
على الخصم ايستحق من يسمح بمثل هذه الاكرومة طوعا
وطبعا لا عن رغبة في رغيبة ولا ميل الى نيل ولا تطلع
الى وجه مطمع ان يتغافل عن معونته وارفاده ويتجاهل
دون ما يجذب اليه زمام مراده لا ورب الكعبة وحق
ركن الدولة لا عرف الناس نسيا في هذا الحق العظيم
وقد استسهلت طريق المكافاة واصبت عون الله على حسن
المجازاة على ان الفضل له بسبقه الى البر وان جهدت
في المقابلة وشددت الى الغاية في المساجلة فتعجب الحاضرون
من هذا الكلام والكرم الذي عز سماع مثله في سالف
الايام واحتشد الصاحب من بعد لمصلح ابي العباس
تاش مناصحة لصاحبه وكفالة عنه بما يقضي الحق عليه
ويقيد شرف الوفاء له وبقي ابو العباس تاش بجرجان

ثلث

ثلث سنين نابي الجنب عن القرار جافي الجفن دون الغرار
شوقا الى خدمة سلطانه وحرصا على عرفان حق اصطناعه
واحسانه واشفاقا من تاويل حساده في انتباذه عن خراسان
انكاره حق الولاء ونزعه عن رقبته طوق الطاعة والوفاء
وحل همه معاودة بخارا لاستيناف الخدمة والسلامة
من المذمة وارسل ابا سعيد الشبيبي الى فخر الدولة في
الاستعانة على معاودة خراسان فجهز اليه اسفار بن
كردويه وعدة من اعيان القواد في زهاء الفي رجل
من خلص الديلم وكتب الى نصر بن الحسن بن فيروزان
وهو بقومس بصلة جناحهم والزعامة عليهم في ايرادهم
واصدارهم والصدر في ذلك كله عن راي حسام الدولة
ومثاله والتصرف بتصاريفه في حالتي حله وترحاله
وتاريخ سلمه وقتاله وحمل في صحبته من المال لاقامات
اهل عسكره ضعف ما كان خلفه عليهم عند
فصوله من جرجان فسار ابو سعيد الى قومس فانتدب

نصر لقراءة وقرى العواد فى صحبته كما قرى تميم ضيفها وجارها
ابن الحضرمى حذو النعل بالنعل وذلك انه امر به فى صحن داره
فاخذته السيوف يمنة ويسرة حتى برد وعمد الى آخرين
فحبسهم فى سرب واوقد الفحم عليهم وسد منافذ السرب
دونهم حتى اختنقوا بين حر المحبس وعدم المتنفس
وافتات بتلك الاموال المحمولة والدواب المقودة راضيا
بسمة الغدر وقاضيا على نفسه بالخزى يد الدهر وانفل
الباقون نحو الرى لا يلوى واحد منهم على آخر الى ان وردوها
فقرروا الصورة وقرءوا الصحيفة المنشورة فورد من
ذلك على فخر الدولة ما اطار واقعه وهاج وادعه وعلى
حسام الدولة ابى العباس تاش ما اقلقه واكمده
واضعف عن كل شىء قلبه ويده وكتب اليه فخر الدولة
بذكر ما رآه من تجهيز الجيوش اليه يستحدثه الى
استراباذ وخيم بجرجان فاخذ نصر اماما قدم وحدث
وما مر وخبث وراى الحين قد فغرفاه والسيوف تطلب

وجهه وقفاه فلاذ بالاستسلام وفزع الى الضراعة والاسترحام
وطفق يكتب فى الاعتذار الى الجانبين بانه كالعادل حيا مما
ارتكبه وتجلى من عوار ما اكتسبه وتحمل بشفاعة حسام
الدولة فى الاستصفاح واستقالة ما تخبط فيه بسوء
الاختيار حتى كتب فى بابه بما نفس من خناقه وتكرم فخر
الدولة بقبول انابته رعاية لحق شيبته وقرابته وعاد
ابو العباس تاش الى جرجان على ان يستانف تدبير خراسان
وكان فخر الدولة قد استوحش من ابن اخيه بهاء الدولة
لاحوال اخل فيها بحقه وترخص معها فى المفروض من اجلال
قدره ومحله فناهضه فى معظم جيوشه من اجماله فى اعمال
خوزستان ومعه بدر بن حسنويه فى جنود الاكراد
اولى البسالة والجلاد وسار حتى غلب على كورها مدلا بالقوة
السابغة والنجدة الوافرة وانهض ابا العباس فيروزان
بن الحسن نحو البصرة لاستصفائها واستضافتها الى اخواتها
فلما عبر نهر موسى استجاش المقيمون بها من عسكر بهاء الدولة

اهل البصرة عليه فجهد منهم خلق عظيم الى المسالك بينه
وبينهم فبثقوا سكور الاهواز عليها حتى عميت الطرق
واعوز المجال والمخترق وبقى هو ومن معه فى مخاضات
ووحول سدت عليهم وجوه الاختيار وطمست دونهم معالم
الاقبال والادبار ووافقهم اقبال جيش من الموصل على عوادل
الطرق لمظاهرة المقيمين بالبصرة فلما اخذتهم ابصار
ابى العباس فيروزان بن الحسن وراوا فيهم شوكة ووفورا
ولوا على اعقابهم نفورا وكان بدر بن حسنويه قريبا
منهم فلما راى الكشفة جاء نابئا وثبت بنفسه مدافعا
فاعيا سد ما اختل ورد من اخل فاستمرت الهزيمة بهم
الى فخر الدولة وهو بسوق الاهواز فشكوا اليه ضيق المجال
وتجمعوا على راسهم للمطالبة بالمال فغاظه ما ظهر فى الاول
من عجزهم وخورهم وما انتشر فى الثانى من سوء فعلهم واثرهم
فانكفا بهم راجعا الى همذان على ظاهر هدنة وقع التغاضى
عليها ومنها ومنها الى الرى وذلك فى شهور سنة سبع وسبعين

وثلثمائة وحدث وباء بجرجان خارج عن الحد فى هذه
السنة فهلك من اصحاب ابى العباس تاش ووجوه قواده
واعيان رجاله والمذكورين من عماله وكتابه وساير حاشيته
وغلمانه خلق عظيم وعرضت له باخرة علة صعبة ختمتهم
به فمضى لسبيله رحمه الله وقد كان اصحابه اوغروا قلوب
اهل جرجان برسوم ذميمة ابدعوها ومعاملات قبيحة
اخترعوها واجعال عنيفة اوقعوها فلما فتاخر وفاته
صاروا يدا واحدة على اصحابه فكبسوهم فى الدور والحجر وطلبوهم
تحت كل مدر وحجر وجعلوا القتل جفلى وانتظم الكبير
والصغير والشريف والمشروف فى سلك القتل والتنكيل
والاباذة والتمثيل وشغل وجوه عسكره دهاء المصيبة
عن الفراغ لقمعهم ووقمهم واخماد جمرتهم واستكفاف
معرتهم واقتضتهم صورة الحال البروز الى ضاحى البلد لضبط
الامر وضم النشر واتقان التدبير فى اختيار من يصلح
للتامير فبرزوا اليه واتفقت كلمتهم على ابى احمد بن اخت

لهم وقدموه وطالبوه بمال البيعة فاطلق لهم ما وجد في
خزانة الماضي مضافا الى ما امكن تحمله واجتباله عشرينية
واحدة حتى هدأت فورتهم وسكنت سورتهم وتوالى النفير
من البلد بمد اهله ايديهم الى عورات النساء الخراسانية
بغيا وكيادا فحركتهم الانفة للانتقام من اولئك الرعاع
والاغتنام وركبوا على سمت بكراباذ لمجاهدتهم وثار اليهم
اولئك الاشقياء منها فتين في الدمار تهافت الفراش في
النار فلم ينشبوا ان حمل اهل العسكر عليهم حملة واحدة كشفتهم
عن رؤس بلا غلاصم وايد بلا معاصم ونفوس بلا عواصم
وفرشوا الارض ذلك الفضاء بجثث القتلى متشحطين
في الدماء وضربت الدور والحوانيت بالنفاطات وبسطت
عليهم الايدي بالغارات فجرى عليهم ما لم يجر لبني يزيد بن المهلب
مثله نكاية رادعة وعقوبة وازعة قامعة وعندها ارسل
مشايخ جرجان وصلحاؤها يطلبون الامان ويناشدون
الله والايمان ان يكفوا عن القتال وانكفوا الى الرحال

فسكن بابيض تلك الفتنة ووقع طائر الهيج واللوثة واختلف
العسكر في الاختيار فمال القواد وكبار الغلمان
الخاصة الى خراسان واستحب الدارية الانقطاع الى فخر
الدولة والاختصاص بخدمته وكتب الصاحب اليهم يجيز
بالتوقف ريثما يلحق بهم الاستاذ ابو علي فيطلق اموالهم
ويحقق في الولايات وزيادة الاقامات آمالهم فحفزهم
حب خراسان عن التوقف واعجلهم طول العهد بالاوطان
دون التثبت فساروا على سمت الدوغد معاودين
نيسابور للاتصال بابي علي بن سيمجور وهو اذ ذاك صاحب
الجيش مكان ابيه واقام الباقون من الدارية الى ان ورد ها
الاستاذ ابو علي فاستعرضهم واثبت اساميهم واطلق
اموالهم وسيرهم الى الري فامر فخر الدولة بنقلهم الى الدار
وتوجيههم على الرسم في امثالهم بمزيد الاكرام والايثار
رعاية منه لحق ابي العباس تاش من جانب واستظهارا
بهم من آخر وقد كانت جرجان تموج بالغاغة وذوي

العيث والجرابة ممن قتلوا اهل خراسان ومثلوا بهم فوضع
الاستاذ ابو علي الارصاد لهم وبث العيون عليهم وقتل
ممن حمل منهم يوما واحدا احد عشر زيادة على ثلثة آلاف صلبا
وصبرا وغيلة ومكرا فتمت بذلك سياسته و
استفاضت هيبته واستقامت اموره وصفت جرجان
في ايامه ممن نعق في فساد او تحكم بغير استقامة وسداد

ذكر ابي الحسن بن سيمجور في قيادة الجيوش وانتقال الامر الى ابنه ابي علي

فاستقامت بولايته وقراره بنيسابور وانحدار ابي العباس
تاش الى جرجان امور خراسان وانصرف عسكر ابي الفوارس
الى كرمان وعاد فائق الى بلخ واستقر ابو علي بهراة
وكان ابن عزير يستحث ابا الحسن على قصد جرجان ويؤنبه
على التقاعد عنها وهو يستمر على المعلوم من عادته في استشعار

الحلم واستحباب السلامة والسلم اشفاقا من عثرة
قدم يفضي الى ندم كالتي عرضت لابي العباس تاش بجرجان
من الكشفة التي جلبت على الدولة من الوصمة ما سار
في البلاد خبره الى ان اقيم ابو علي محمد بن عيسى الدامغاني
للوزارة وذلك في جمادى الآخرة من سنة سبع
وسبعين وثلثمائة ونفي ابن عزير الى خوارزم فجهد
ابو علي في تشديد الاعمال وحفظها على الاعتدال
فاعياه ما اراد لانسداد الولايات وتراجع الارتفاعات
واستشراء الحشم وضراوة الاتراك وتسحبهم على
الوزراء واحتكامهم في المطالب خلعا للجام المراقبة
وامنا من السياسة وصدق المؤاخذة فصرف بابي
نصر بن ابي زيد وهو الشهم الذي يصيب المحز في اقواله
ويطبق المفصل في افعاله ويبذ الكفاة بغنائه ومضائه
وصواب تدبيره وآرائه ثم بدا لهم في امر ابي علي فرد
ثانيا الى مكانه من صدر ديوانه فاتفقت لابي الحسن بن

سيجوز بين هذه الاحوال نهضة الى خرّمك بعض
متنزهاته بواحدة من حظاياه فخانته نفسه خلال
الرفث اليها وخرّ الى الارض عن صدرها ميّتا واخفى خبر
وفاته الى ان ردّ الى داره واستعدّ لاظهاره وورث
ابو علىّ رياسة بيته واخوته وجيشه فسدّ الثلمة الحادثة
بابيه برفق سياسته وحسن رعايته وخفىّ ايالته
وولايته وحسنت طاعة ابى القسم اخيه وسائر اخوته
له وعمّ رضاهم به وبلغ ابا علىّ انّ هراة سمّيت لفايق
فقصدها ابو علىّ وكتب اليه يعاتبه على ما استجازه
من الخطبة على خطبته ثمّ اتّفقا على ان تكون هراة
لفايق ونيسابور مع قيادة الجيوش لابى علىّ ورتّب
كلّ منهم اصحابه بناحية عمله وحملت الخلع من
بخارا على الرسم لولاة الجيوش وابو علىّ ظنّ انّه
هو المقصود بها والمحبوّ بالكرامة فيها حتى اذا بلغ الرسول
منصف الطريق عدل الى فايق بما صحبه فعلم انّه مكر

مكروه وغدر اسرّوه وانّه هو المقصود بالسوء والمراد
بالمحذور فلمّا علم انّ فايقا شخص عن هراة نهض ابو
علىّ من نيسابور كالسهم المرسل والشهاب المرصد حتى
انقضّ عليه فيما بين هراة وفوشنج فعل من اتّخذ الجدّ
خدنا وصاحبا ونكّب عن ذكر العواقب جانبا وعلم
انّه متى استمرّت به تلك الحيلة ونفذت فيه تلك المكيدة
وعرف جبنه وخوره لم ترتفع له ولا لاهل بيته راية
ولا يعرف لانتقاض الامور عليهم وانسياب المحذور
اليهم من كلّ وجه غاية فصدق قتاله آخذا بفرط الجدّ
والتشمير ودقّ عسكره دقّ المضبّب اسناه المسامير
فولّوا منهزمين الى مرو الروذ واردفهم ابو علىّ بعدّة
من قوّاده للتشريد بهم فى هرب به فوافقوهم بقنطرة
مرو الروذ مستعدّا للمدافعة فقارعهم حتى اسر
منهم عدّة وحملهم الى بخارا وسار ابو علىّ الى مرو خاطبا
عمل ابيه ومد لابسا بق حرماته ومساعيه ومتكثّرا

باخوته وذويه فحقّق الرضى سؤله وجرّد اليه فيما
استدعاه رسوله وقرّر قيادة الجيوش عليه وناط
مصالحهم بيديه وجمع له بين ولاية نيسابور وهراة
وقهستان ولقّبه بعماد الدولة فانكفأ الى نيسابور وقد
نال ما اراد فهذّب الاعمال ورتّب الاحوال والرجال
واخذ امره يزداد نورا وبهاء ويتضاعف قوّة واستعلاء
الى ان تلقّب بامير الامراء والمؤيّد من السماء وامتدحه
ابو بكر الخوارزمىّ بقصيدة وهى اوّلها

انّ اللواتى فى خلف الخدور هم فى الضمائر والصدور
وقع الغبار عليهم فغدا بتيه على العبير
لمّا مشين على الثرى تاه المغار على المغير
فغدوت فى حال الاسير ورحت فى حال الحسير
وكذاك من عشق النجوم ورام صيد البدور
يا سائلى ما فى البراقع والهوادج والستور
فيها الرضاع من المنيّة والفطام من السرور

وسالت من زوج المنابر حين يخطب فى السرير
فهو الامير ابن الامير ابن الامير ابن الامير
المشترى المدح القليل بماله الجمّ الغفير
من سيفه كسر الجبير وسيبه جبر الكسير
والناظم المعنى الطويل بلفظه النزر القصير
يرمى اعاديه بسهم من سعادته طرير
لبسوا الحرير لشأنهم مسّ الحرير
ويؤنّث البهم الذكور بتلكم البيض الذكور
وسهامه نوب الخطوب وقوسه عقب الدهور
ورماحه حشو العدى وعداته حشو القبور
استغفر الرحمن بل حشو الخوامع والنسور
ويصوم صارمه فيفطر بالجماجم والنحور
واذا اتاه سائلا ربّ السويهة والبعير
ابصرته بفنائه ربّ الخورنق والسدير
امحمّد بن محمّد هذا التمادى من البحور



لو كانت الدنيا تدور على الحقايق في الامور
ما صيغ تاج محمد الا من القمر المنير

واتاه البديع ابو الفضل الهمذاني وهو بمرو يمتدحه بالقصيدة التي اولها

على ان لا اريح العيس والقتبا والبس البيد والظلماء واليلبا
واترك الخود معسولا مقبلها واهجر الكاس تغذو شربها طربا
حسبي الفلا مجلسا والبوم مطربة والسير يسكرني من مشيه تعبا
وطفلة كقضيب البان منعطفا اذا مشت وهلال الشهر منتقبا
تظل تنثر من اجفانها حببا دوني وتنظم من اسنانها حببا
قالت وقد علقت ذيلي تودعني والوجد يخنقها بالدمع منسكبا
لا در در المعالي لا يزال لها برق يشوقك لا هونا ولا كثبا
يا مشرعا للمنى عذبا موارده يناه مبتسم الارجاء اذ نضبا
طلعت لهم اسعدا منازله حتى اذا قلت يجلو ظلمتي غربا
كنت الشبيبة ابهى ما درجت درجت وكنت كالورد اذكى ما اتى ذهبا

استودع الله عينا تنتحي دفعا حتى تؤوب وقلبا يرتمي لهبا
وطاعنا اخذت منه النوى وطرا من قبل يقضي الهوى من حكمه اربا
غضي عليك قناع الصبر ان لنا اليك اوبة مشتاق ومنقلبا
ابى المقام بدار الذل لي كرم وهمة تصل التخويد والخببا
وعزمة لا تزال الدهر ضاربة دون الامير وفوق المشتري طنبا
يا سيد الامراء افخر فما ملك الا تمناك مولى واشتهاك ابا
اذا دعتك المعالي عرف هامتها لم ترض كسرى ولا من قبله ذنبا
اين الذين اعدوا المال من ملك يرى الذخيرة ما اعطى وما وهبا
ما الليث مختطما والسيل مرتطما والبحر ملتطما والليل مقتربا
امضى شبا منك ادهى منك صاعقة اجدى يمينا وادنى منك مطلبا
وكاد يحكيك صوب الغيث منسكبا لو كان طلق المحيا يمطر الذهبا
والدهر لو لم يخن والشمس لو نطقت والليث لو لم يصد والبحر لو عذبا
يا من تراه ملوك الارض فوقهم كما يرون على ابراجها الشهبا
لا تكذبن فخير القول اصدقه ولا تهابن في امثالها العربا

فما السموأل عهدا والخليل قرى ولا ابن سعدى ندى والشنفرى
من الامير بمعشار اذا اقتسموا ماثر المجد فيما اسلفوا نهبا
ولا ابن حجر ولا ذبيان يعشرني والمازني ولا القيسي منتدبا
هذا الركبته وذا الرهبته وذا الرغبته وذا اذا طربا

ثم واستوى على بلاد خراسان وارتفاعاتها فجبيت له عن آخرها وكتب الرضي اليه يستنزله عن بعضها لاطماع حشمه وعوارض مؤنه فاعتل عليه باستغراق اعطيات جيوشه ارتفاعات خراسان وحاجته الى زيادة يتحملها لتتمة اطماعهم في السنة وهو في ذلك يخلط طاعة بجفاء ويسر حسوا في ارتغاء ونصب ابا علي النسفي لصحابة الديوان وبسط يده في المصادرة والاستخراج حتى كنس خراسان باسرها فلم يبق بها ذو در الا ادمى خلفه والصق ظهره بطنه ثم طالبه بما دفع اليه وامر بدق يديه على رجليه الى ان اعفى بعض المال ومات باخره على شر حال وصار يكاتب الملك الملقب بشهاب الدولة

وظهير الدعوة هارون بن ايلك بغراخان وهو ببلاد الترك سرا على ان يتشاطرا خراسان وما وراء النهر متى ملك على الرضي بخارا فكان مثله كما قيل بمحمد سلوا سيوف محمد وضحوا بها هامات آل محمد وهو في ذلك كله يقيم رسم الخطبة وشعار الدعوة استعمالا بزعمه للتقية او تحمدا الى الرعية وقد كان طايفة من دهاقين ما وراء النهر قد املتهم ايام تلك الدولة فقرمت نفوسهم الى الاستبداد والاحماض به عن خلة الالفة والاعتياد فواصلوا بغراخان بكتبهم في تورد ذلك الحريم شاحذين عزمه في المضاء والتصميم فصار يتطرف تلك الحدود شيا فشيا كالبازي يحل نصاح اجفانه على التدريج تانيسا له من الوحشة وتسكينا من الروعة وتضرية على القنص الى ان ورد اسبيجاب فانهض من بخارا انج الحاجب في طلبه ورده على عقبه فالتقيا على حرب اشابت الذوايب وانارت الكواكب ثم انجلت عن اسر انج في الكبار من القواد

والكثير من الافراد واستحكم لذلك طمعه في تورّد سائر البلاد

ذكر الفايق وما انتهى اليه امره بعد الوقعة المذكورة

واقام فايق بناحية مرو الروذ على رمّ الرثّ وجبر الكسر واسو ما فشا في عسكره من كلوم الحرب فلمّا التحم امره وانضمّ نشره سار يريد بخارا من غير استيذان واستطلاع راي فارتاب الرضيّ به فلمّا قاربها برز الرضيّ الى فضاء السهلة ببابها ورماه بالنجح وبكتوزون الحاجبين وسائر مواليه وموالي ابيه فلمّا رهقه الكفاح وعضّه السلاح اجفل اجفال الظليم واقتسمت الهزيمة اصحابه بين القتل والتنكيل والاسر والتذليل ووافى الشط منهزمه فوجد السفن مغيّبة فركب الخطر واحتال حتّى عبر وسار الى بلخ على ان ينتاش فيها ويرتاش واقام بها ايّاما ثمّ عبر الى ترمذ وواصل بغراخان بكتبه يبعثه على الانحدار ويحثّه على البدار وخوطب من بخارا والى الجوزجان

ابو

ابو الحارث احمد بن محمّد الفريغوني بقصده وحصله فجمع بوشاعطيما وساق من ارض الجوزجان بريّا فانتدب لهم احد غلمانه وكان يعرف بارسلان آخر سالار في زهاء خمسمائة من الترك والعرب فانقضّوا عليهم انقضاض الصقور على بغاث الطيور فمزّقوهم بددا وجعلوهم طرايق قددا وفرشوا الفضاء بجثث القتلى وغنموا مالا لا يعدّ ولا يحصى وعاذوا الى بلخ ظاهرين وقد كان طاهر بن الفضل ملك الصغانيان على ابي المظفّر محمّد بن احمد وهو واحد خراسان جلالة قدره ونباهة ذكره ومتانة رايه وحجر ورصانة نظم ونثر فانقطع ابو المظفّر الى جانب فايق صارخا فزعا فاحسن اصراخه وامدّه بمن ردّه ورآه فاغتنم طاهر بن الفضل خفّة اصحاب فايق ببلخ فلفت لفتة اليها طامعا في الاستيلاء عليها فزحف المقيمون بها لمدافعته ونهدوا لمناجزته وتناوشوا القتال وصدقوا المصاع والصيال وثقف بعض العرب مكان طاهر بن الفضل فقصده

قصده بطعنة اذرته عن مركبه وبادر اليه فاجتزّ راسه عن مركبه وثار الصياح بقتله فولّى اصحابه على الادبار هاربين بين سمع الارض وبصرها وهائمين اثناء حجرها ومدرها ولمّا جرى في امر النجح الحاجب ما جرى ونقل الى بلاد الترك في زمرة الاسرى انتقضت مرائر الاعمال بما وراء النهر ووهت قواها وتداعت قواعدها وبناها فاستشفق الامير الرضيّ واركان دولته من ان تتفاقم الامر ويتراكم الشرّ ويعضل حادث الداء وينضب باقي الماء فخوطب فايق في الاستمالة وقوبل عثرته بالاقالة واستنهض الى بخارا للاستعانة به على سدّ الخلل وتعديل الميل وسرّب عنها بعد حسن القبول والاقبال وازاحة العلّة بالاموال الى سمرقند فلم يرعه الا خبر بغراخان وهو الملقّب بشهاب الدولة وظهير الدعوة وقد استعاذ اليه قوادم الطير ركضا لم ينل فيه جماما ولا اغتمضا فولّى فايق من بين يديه هزيما فلم يلو على تعرّف الحال مقيما وجعل من كان معه من اصحاب السلطان

عرضة للسيوف وفريسة لانياب الحتوف وتوافقت الشهادات على انّ انهزامه كان عن مواطاة منه لبغراخان على آل سامان فعل من لا وفاء يزعه ولا حياء يردعه ولا نعمة تحفه ولا حرمة تكفه وسار كما هو حتّى اقتحم بعقوة بخارا فراع الفلك بالداهية الدهياء والخطّة النكراء والقضاء المبرم من السماء حتّى اضطرّ الى مفارقة الدار واللياذ بذمّة الاستتار

ذكر ورود بغراخان بخارا وهرب الرضيّ عنها وانصرافه ثانيا اليها بعد فصول بغراخان عنها

ودخل بغراخان بخارا فاستقبله فايق مختصّا به ومنخرطا في سلكه ومكثّرا لسواده وملقيا اليه لين قياده كانّهما كانا على ميعاد وتلاقيا عن سابق صحبة واتّحاد ولمّا استقرّت الدار به قرارها استاذنه فايق في النهوض الى بلخ لاستضافتها الى ولايته واثباتها في اموالها لخزانته فاذن له فيه وسار الى الترمذ وبعث بعثا الى بلخ فاحتاط عليها ونصب بها من يحمي

الاموال ويدبّر الاعمال واحتبل الامير الرضي فرصة البروز من مستتره في نزة النكرة حتى عبر النهر الى آمويه وقد كان هاجر اليها امامه عدّة من خواصه وحجّابه وغلمان داره حائرين عائرين فاعتدّوا بمقدمه عيدًا وظنّوا انهم انشئوا خلقًا جديدًا وتلاحق بهم ابناء الهجرة فتمّوا عدّة وعديدًا واعتمد الامير الرضي ابا علي البلعمي للوزارة وضبط اطراف ذلك القدر من الامارة فعجز عن التدبير لضيق الحال والمجال وانسداد وجوه الاموال وتزايد عدد المهاجرين من الرجال وقد كان نفي عبد الله بن عزير الى خوارزم بعد صرفه عن الوزارة فامر الرضي بالكتاب اليه في استحضاره لاستيناف الاعتماد عليه فيما كان يليه واستكفائه المهم منه وفيه فبادر اليه مغتنمًا خدمته في تلك الحال متوصّلًا الى مرضيه بوجوه الاحتيال وقد كان الرضي من لدن نجوم الشرّ واستطارة شرره باعالي ما وراء النهر من جهة الترك يكاتب ابا علي محمد بن محمد بن سيمجور وهو الملقّب بعماد

الدولة والمعتمد لحياطة الحوزة وحراسة البيضة في الاستنفار والاستمداد ويتلطّف له في التجشّم للجهاد وتطهير تلك البلاد من ذوي البغي والفساد بعد ان سامحه باموال خراسان واغضى له عن ارتفاعاتها ترضّيًا له واختيالًا الامنة واستبقاء للصنيعة عنده وطمعًا في الانتفاع بشانه والاستظهار بمكانه فيعده الاستعداد للنهوض والاحتشاد للبروز حتى استغرقت مواعيده شهورًا عدّة ثم نهض من نيسابور الى سرخس ومنها الى مرو في مثلها من المدّة يتربّص اثناء ذلك زحفة القوم وتغلّبهم فيشاطرهم الملك عن حاجز النهر فيكون ما دونه له ولهم ما وراءه وكان قد اتّصل به وبخدمته طائفة يزيّنون له هذا الراي ويحلّونه في عينيه ويجلونه في معرض التصويب عليه تقرّبًا اليه ويوحون اليه انها دولة قد تمّت ايامها وحان ان ينوح عليها اصداؤها وهامها لاستمرار العثرات عن الاطراف بها وانثيال الفتوق من كل الوجوه عليها وان المعني بنصرتها مخذول بخذلانها

ومحكوم عليه بالادبار لادبار زمانها ووهي قواعدها واركانها فلما استقرّ الرضي بآمويه كتب اليه بان الخفاء قد برح والبلاء قد برّح وانه آن له ان يستاثر بعزّ الاحدوثة في مظاهرته والاقتداء بسلفه الذين هم صنائع دولته ودولة آبائه في طاعته ونصرة دعوته وكفّ الاذى عن وجهه وردّه الى دار قراره ومعشش اوليائه وانصاره فقد قطع طمعه الا من جهته ويئس الا من معونته ومغوثته واستشعر الياس الا من لدنه وقبل هجوم بغراخان على بخارا ما واصله بكتبه في الاستصراخ والاستغاثة ومجاوزة التلطّف الى التضرّع في الاستنفار والاستجاشة فمن تلك الكتب فصل حفظته عن انشاء الوزير ابي علي الدامغاني وهو وانما تحتاج الدولة الى عمادها اذا قصدها من يزعزع عن اسباب اوتادها فالله الله في هذه الدولة فقد جاءتك مستغيثة اياك لائذة بك وكان تاثيره فيه تاثير الرخاء في الصخرة الصمّاء لا خدش ولا حكّ ولا شقّ

ولا شكّ وفرش خلال ذلك بساط الدالّة والاقتراح يستزيد رتبته في المخاطبة على ما كان يخاطب ابوه وغيره من اصحاب الجيوش به ثم لم يرض بذلك حتى اقترح الجمع له بين التلقيب والتكنية على العنوان منسوب الولاء الى امير المؤمنين وانما ولاؤه لآل سامان فقابل الرضي جميع ذلك بالايجاب ووفّاه ما اشتهاه من شريف الخطاب وقد كان يقترح ذات يوم على لسان خادم للرضي ورد عليه رسولًا يعرف بارسطاطاليس ايام مقامه بآمويه زيادة على المبذول له يجري مجرى الشطط والمحال فقال له ايها الامير ان ذلك السلطان اليوم بحيث لو اقترحت عليه خطابك بالتامير لفعل ولكن وراء اليوم غدًا فاختر لنفسك ما هو اجمل بك وازكى في الاحدوثة عنك فكادت عند ذلك العيون ان تصوب والقلوب ان تذوب واستمرّت القسوة به فلم يزد الا على وعد مطاب وتسويف ومطال لا جرم ان الله تعالى كفى الرضي شغل

مادهاه ونصره وآواه واعاده الى خطته ومثواه وختم
بالخير عقباه واسلم الغادر بما كسبت يداه وما الله بظلام
للعبيد

ذكر انصراف الرضى الى بخارا بعد جلاء بغراخان عنها

واتفق ان مست بغراخان علة استوبل لها المقام ببخارا فانزعج
عنها عائذا وداءه ومعاود اهواءه وعمد اهل بخارا الى
نفاضات عسكره فطحروهم طحرا ودجروهم دون حواليها
دجرا وبادر الاتراك الغزية على اثره شلا وطردا وعركا
وطحنا ولم ينفك يمضى على الاحجام والانهزام على ما به
من الم السقام حتى ذاق كاس الحمام وحين احس
الرضى باجفاله على حاله ابتدر العبور الى بخارا فيمن
تضام اليه من حاشيته ورجاله فتباشر الناس بما
اتاحه الله له من عوده الى دار ملكه وقرارة عزه تباشر
الصيام بهلال الفطر وذوي المحول والاعدام باستهلال
القطر وصفت له بخارا وسمرقند وما صاقبهما من ولايته

وسائر مملكته ولما راى ابو علي ما استقام له من الامر
وانضم من النشر وسقط من ناجم الشر وخمد من نائرة
الفتنة التي قدرها صماء لا تسمع ودهياء لا تقطع
وانضاف الى ذلك ان بغراخان لما القى عصا القرار ببخارا
كاتبه على الرسم الذي كان ولاة خراسان يكاتبون
اصحاب جيوشهم به غير واف بالشريطة التى كانا تعاقدا
عليها وتواصيابها من النزول على رتبة التماثل واقتسام
جانبي الملك على حكم التناصف والتعادل سقط في
يده وفت في عضده وذهب عليه امره واظلم عليه
رايه لاسفار الاختيار عن خلاف تقديره وانكشاف
العواقب عن ضد ما اجاله من قداح تدبيره فاستشار
نصحاءه فيما دهاه واستقدح اراءهم فيما عراه فاشاروا
عليه بمعاودة التقرب واستيناف التلطف واحتيال
ما يزيل عارض الوحشة ويحو سمة المعصية ويسد
خلل التقصير الواقع في الطاعة فاعد من صنوف الاموال

والهدايا ما رام ترضيه به واستمالة قلبه عليه و
استلانة جانبه بمكانه وسنح لفايق بعد احساسه
بعود الرضى الى قرارة ملكه ان ينهد الى بابه متغلبا عليه
ومتحكما على رسمه فيه وكان الرضى قد دهاه من جهته
مثل ما كان دهاه من جهة ابي علي تصاما عن ندائه
وتقاعدا عن فنائه وتقاعسا في فرض طاعته وولايته
فضرب الرضى وجهه بوجوه حجابه ورجال بابه وناوشهم
الحرب بغلمانه وكافة اعوانه حتى استلحمت العدد
الجم من الفريقين وفرشت الفضاء بالقتلى من الجانبين
ثم انفل عنهم هزيما وحث مركب النجاء حرصا على النجاة
الى الشط هشيما فعبر الى بعض الاطراف وتلاحق به
من اخطاتهم ظباة السيوف وحلق الاساد من اصحابه
فانحدر بهم الى ابي علي منفتلا في حبله ومنخرطا في
سلكه ولائذا بذمته ومستذريا بظل طاعته ووافق
ابو علي منه منيته التي كان يخطبها على الدهر باقتراحه

ويعدها على الحادثات احد سلاحه واستقبله باهل عسكره
على اتم اجلال واعظام واعم اكبار واكرام واحسن ترحيب
وترحيب وبشر ذليق وبر خصيب وتنسم بمكانه روح الغنى
عن الرضى فصرف اليه ما كان اعده له من الهدايا مفصحا
بالجفاء والخلاف ومصرحا بالتمرد والانحراف وتحالفا على
الوفاء والصفاء والتظاهر على الاعداء ونهضا الى نيسابور
للاستعداد وتخمير الراي في هيج الفساد ولما يئس الرضى
من صلاحهما له دبر في الاستعداء عليهما والانتصاف منهما
بمن يشتد باسه ويجد في اللقاء مراسه فوقف به التدبير
على الامير ابي منصور سبكتكين لما توسمه فيه من امارة
الخير باعتكافه على غزو الهند احتسابا لثواب الله واكتسابا
لكريم القربة الى الله فارسل اليه ابا نصر احمد بن محمد
الفارسي النائب عنه ببابه وكتب على يده بذكر ما اعياه
من الداء بمكان موليه ابي علي وفايق وخطبهما على دولته
وقصدهما اياه في نفسه ومملكته واستيثارهما عليه

باذتفاعات جوزته غير راجعين الى حشمة ولا داعيين
لحق نعمة ولا متمسكين من الحياء بعصمة وان الذي قد
دهمه من امرهما قد سد عليه وجه الخلاص وطريق
الانتصاف الا من جهته وما يرجوه من معونته والطف
القول في استدعائه وتطميعه في كمال ما يتكلف من
نصرة اولياته بفرط قوته وغنائه فصادف وصول
الكتاب والرسول نفسا منه مرتاحة لاجابته منشرحة
لطاعته تواقة الى المقام الجمال بارتهان رضاه وموافقته
وبادر بالعبور الى ما وراء النهر للقاء الرضي ومشاورته
واستماع المقصود من رايه واشارته ونهض الرضي الى
ناحية كش فخيم بها على موعده ووصل اليه الامير سبكتكين
فالتقيا هناك على احسن ما سمع به في مثله من تسوية
المواكب وتعبية الخيول والاداب وقد كان الامير سبكتكين
يستعفي لشيبته عن مترجل الخدمة وملتزم الارض
على رسم الطاعة فاعفي عنه اكتفاء بصدق العناية

جميل

والرعاية منه حتى اذا اختلطت الخيول وامتدت الصفوف
واصابت عيناه صفيحة وجه الرضي ازعجته روعة
الملك وابهة العز للنزول والتبرع بما كان يستعفي منه
قبل الوصول فتلقاه الرضي باتم الاكرام والاعظام
ورعاية الحق والذمام وجرى مشهد لم يسمع بمثله في
الفخامة وتباشر الخاصة والعامة وامر الرضي باقامة
وجب اقامته من صنوف الانزال واتباع ذلك بما
يصلح اتباعه به من طبقات الرجال وساله بعد ذلك
ان يفرغ له نفسه ويصرف الى قصد ابي علي وفايق
وكفاية شرهما غزوه فضمن له حسن الطاعة وبذل
الوسع والاستطاعة واستاذنه في الانكفاء الى وطنه
ريثما يجمع متفرق الاهبة وينظم منتشر العدة ثم
يواجه الخطب بجد جديد وباس شديد ورجال يموجون
في بحر من حديد فاذن له وصرفه وامر له من الخلع الفاخرة
والاجنبية الباهرة والمبار الوافرة بما ضاهى جلالة قدره

والكد الثقة بصادق وعده ورجع كل منهما الى مكانه
واقبل على استصلاح شانه ومحادثة سيفه وسنانه
وورد على ابي علي من ذلك ما ابهم عليه وجه التدبير
وسد عليه باب التاخير وجعل الراي شورى بين اصحابه
فيما كشر له الامر عن نابه فكانت زبدة مخضهم مكاتبة
فخر الدولة ومعاقدته وموادته ومعاهدته وتاثيل حال
في جانبه ترجى ليوم العثار ونائبات الليل والنهار فارسل
اليه ابا جعفر بن ذي القرنين بما اعرض من تحف خراسان
وافرد الصاحب اسمعيل بن عباد بمثل ذلك طمعا
في حصول الغرض المقصود من الانجاد على يده وبحسن
سفارته ووساطته قال ـــــ وحدثني ابو جعفر انه
دخل على الصاحب فعرض عليه ما كان صحبه ثم قال له مخاطبا
عن صاحبه مثلنا في حمل هذا التافه الطفيف الى الصاحب
الجليل مثل من يستبضع التمر الى هجر فقال الصاحب قد ينقل
التمر من مدينة الرسول عليه السلام الى هجر لا للحاجة اليه

التقديم

الانجاد

ولكن للتبرك به وسعى الصاحب في تمهيد الحال وتوكيد اسباب
الوصال حتى تمت الالفة واشتبكت العصمة ودرت المكاتبة
واستحكمت الصداقة وقد كان مامون بن محمد صاحب
الجرجانية وابو عبد الله خوارزمشاه قد احسنا التقرب
الى الرضي ايام انحيازه الى آموية بما ساعدهما الوقت عليه
من مال ورجال فعرف ذلك لهما واحب ان يجزيهما عما
خدماه به وقدماه من قدم الطاعة له فجعل نسا برسم
مامون بن محمد وابيورد برسم خوارزمشاه وعقد لكل
منهما على عمله فانهض كل واحد منهما من يقوم بضبط
عمله وتدبير ما اصفي به فافرج ابو علي للمامون عن نسا بحكم
حال المودة بينهما قديمة واسباب في الاتحاد وكيدة ودفع
ابا عبد الله خوارزمشاه عن ابيورد اعتلالا بانها ولاية
اخيه ابي ابرهيم وانه لا يسعه النزول عنها الا بعوض له
منها وامر بطرد اصحابه عنها وشلهم دونها فاسترد ذلك خوارزم
شاه في نفسه الى ان تمكن من الفرصة في امره فاستشفى منه

على ما سنشرحه عند الانتهاء الى ذكره وطلعت خلال
ذلك رايات الامير سبكتكين من غزنة على ما كان سبق
من وعده وقد جمع واحتشد واستمد واستنجد وقام
في الاحتياط والاستظهار وقعد وساق امامه الفيول
التي كان ملكها على ملوك الهند في غزواته ومقاماته و
عبر الرضي الى الجوزجان والتقى مع الامير ابي الحارث
الفريغوني واليها واقام الى ان وصل اليه الامير سبكتكين
من غزنة على ما كان ولحق به الشار ملك غور ومن جرى مجراه
من زعماء البلاد في طبقات الاجناد واجتمع سواد شرقت
بهم المسالك والمذاهب واجدبت عليهم المراتع والمسارب
ونهض ابو علي وفائق من نيسابور الى هراة وبها ايلمنكو غلامه
وصاحب جيشه فخيم بها مدافعا عنها ومراميا دونها وضوى
اليه من كان مقيما من حشمه بمرو الروذ وباذغيس و
غيرهما اخذا بالحيطة واحترا سا من الغرة وسار الرضي مع
الامير سبكتكين حتى اناخ بناحية بغ وارسل عند ذلك

ابو علي الى الامير سبكتكين يذكره الحال التي كانت بينه
وبين ابيه من المواتاة المهيدة والحرمات الوكيدة وما استمر
عليه بعده من سيرته في الاتحاد والوداد والاشتراك
والاشتباك ويسأله ان يتوسط الامر بينه وبين الرضي
على ما يجلو حزازة قلبه ويطفي حرارة غيظه ويسترد
شارد اناته ويمسح جانب مرماته محتكما عليه بما يستصوبه
في حسم الداء وحقن الدماء وتسكين الدهماء وتاليف الاهواء
فاحسن الامير سبكتكين الاصغاء الى ما سأل وشد النطاق
لما التمس ومال جهده الى الاستصلاح ووضع السلاح
على عادته في كراهة الفتن وامانة الاحقاد والاحن
وسأل الرضي في مجالس عدة شفاها ورسالة ان ياخذ
باداب الله تعالى في العفو والغفران واقالة العثرة بفضل
البر والاحسان ايثارا للذي هو اقرب للتقوى واحمد
في البدء والعقبى ولم يزل به على اتصال نفرته واشتعال
جمرته حتى سمح بالاجابة واسمح بالعفو والاقالة على ان

يفتدي من ارش عصيانه بخمسة عشر الف الف درهم
يؤديها في ثلثة انجم على رسم المواقفات فكتب اليه الامير
سبكتكين بذكر ما استتم من الصلح على يده وانتظم من
عقد الصلاح بسعيه وجهده وتشاور اصحاب ابي علي
ووجوه قواده في اقتسام هذا المال بينهم معونة له على ما لزمه
من الغرامة واغتناما لما يرجون عليه من السلامة
فصادف ذلك جدة من شبانهم ونزقا من احداثهم وذهابا
منهم بانفسهم عن الاذعان للمكافة والرضى بالصلح الجامع
لمصلحة الكافة وثار من خوبانا الاتراك وسرعان الصعاليك
طائفة الى معسكر الامير سبكتكين فاختلسوا منه
غلاما له كان يلي امر فيلته وقتلوه في عدة ممن اصابوا
غرتهم وانضاف الى ذلك ان رسول الامير سبكتكين
لما كر وراءه بجواب ما تحمله وافق ابا الفضل الزيادي
احد انياب ابي علي موكلا ببعض تلك الثنايا والمخارم
وقال له هيهات ان سعيك لفي ضلال وان صاحبك ما ينطق الا

في محال ما نحن باحلاس الصلح وابنائه ما دامت هذه العيون
حافظة سوادها والعواتق حاملة نجادها يعني به قول القائل
كذبتم وبيت الله لا تاخذونها مراغمة ما دام للسيف قائم
فلما نمت هذه الاخبار الى الامير سبكتكين استشاط
غضبا وقضى من اذبار القوم عجبا وعزم على المناجزة
واستخار الله في صدق المجاهدة وارسل الى ابي علي
ان خذ في ازهاف سيفك وسنانك فقد جئتك بما
لا يغنيك منه سوى حدة الحسام وثبات المقام وزحف
الى الفضاء الرحيب بغرونة يوم الاربعاء للنصف من
شهر رمضان سنة ثلاث وثمانين وثلثمائة فرتب الخيول
مقانب ومناسر وعبى الجيوش ميامن ومياسر وشحن
الصفوف بفيلته المجفجفة كانها شواهق اعلام او طوارق
غمام ووقف الرضي به وبالامير محمود ولده في القلب
مشحونا بكماة الرجال ومحفوفا بحماة الابطال كما قيل
من كل اروع ترتاع المنون له اذا تجرد لا نكس ولا جحد

يكاد حين يلاقي القرن من حنق قبل السنان على جوانبه يرد
وسار فخيلت الارض سائرة والجبال مائرة والنجوم منكدرة
والسماء منفطرة وثار من وقع السنابك نقع اوهم
كسوف النهار الشامس او عود ظلام الليل الدامس
وقد كان رتب ابو علي جيوشه اسوة الامير سبكتكين
فجعل فايقا في الميمنة واخاه ابا القسم بن سيمجور في
الميسرة وثبت في القلب مع حماته وذوي الوفاء
والحفيظة من ثقاته فكانوا على الحقيقة جيش الطواويس
من وبيص الحديد ولمعان الجمر والبيض واشرقت
عليهم الشمس فبرقت لها الاحداق وتلألأت الآفاق
حتى اذا دانت الخطى بين الفريقين حملت الفايقية اولا
على ميسرة الرضي فبددوا انطاتهم وزعزعوا عن المقام
اقدامهم وثنى ابو القسم بن سيمجور بمثلها على من قابله
وصنع صنيع الآخرين وحمل دارا بن شمس المعالي قابوس
بن وشمكير من قلب ابي علي فظنوه يسعى لشرف المقام

او رعاية حق الذمام والانعام حتى اذا بلغ بين الصفين وقى
ظهره بترسه واقبل على موقف الرضي بوجهه فاستأمن
اليه ووقف للقتال بين يديه فانخزل اصحاب ابي علي لما
اخفره من الذمة وقطعه من العصمة اشفاقا من مواطأة
اصحابه اياه على مثل صنيعه وعندها حمل الامير محمود
بن سبكتكين على قلب ابي علي في سواد فدح بثقله كاهل
الارض وسد بقسطله مناكب الافق فلم يثبت احد من
اصحاب ابي علي لكفاح او مدافعة بسلاح بل انفضوا من
موقفهم انفضاض العقد خانه النظام وانسل منه الفذ
والتوام وجعلوها هزيمة انتكست بها الاعلام وغصت
بجموعهم الاباطح والاعلام وركب الامير محمود اكتافهم
بضربات تفلق الهام انصافا وتسقي النفوس سما ذعافا فلم
يفته الا سرعان تلك الجموع ومن خفف عن ظهره ثقل الجواشن
والدروع وغنم اهل العسكر اموالا لو افتدى ببعضها على
الصلح المعقود لبقيت الوجوه بمائها ووضعت الحرب تلك

الاوزار عن ابنائها وسار ابو علي بالفل من اشياعه الى نيسابور
فاقبل بها على جبر الكسير وريش التحسير استعدادا للاخياذ
عنها قبل رهق اللحاق ومؤتنف التلاق وخيم الرضي والاميران
سبكتكين ومحمود بظاهر هراة ريثما استجمت ركابهم وتوفرت
على الاولياء رغايبهم ولقب الامير الرضي الامير سبكتكين
ناصر الدين ووارث ملكه السلطان محمودا بسيف الدولة
وقلد قيادة الجيوش سادا مكان ابي علي به وسار الى نيسابور
في هيئة اشعرت النفوس مهابة وملأت قلوب العداة كآبة
ورجال كالقروم المصاعب وافيال كالاسود الغوالب مخطومة
بالاساود ففي ذلك يقول ابو الفتح البستي

بسيف الدولة اتسقت امور ... رأيناها مبددة النظام
سما وحمى بني سام وحام ... فليس كمثله سام وحام

وسنجري ذكره آنفا بسيف الدولة الى ان افاء الله الملك منه
الى مظنة الاستحقاق وشهره بلقب اليمين في كور الآفاق
ثم ارتحلوا على وجه نيسابور ولما تسامع ابو علي بنبائهم

فارقها منحدرا الى جرجان على الوثيقة التي كان اخذها على
فخر الدولة في بذل المشاركة وصدق المساهمة حتى لم تبها
وكتب اليه بالحاجة التي الجأته الى قصد ولايته والانقطاع
الى جانب مملكته وارسل ابا نصر الحاجب اليه في تقرير حاله
واستدعاء معونته بذاته وماله واستيناف الصاحب في
تنجز ما كان يعده لنفسه على الايام من بركة وصاله
ويعده لها من ثمرة وداده فامر بما لقامه منها ومنه لوكيله
وبالفي الف درهم من ارتفاعات جرجان لاهل عسكره
واقام هو وفايق حتى انحسر عن غرة الربيع قناع الشتاء
وقد كان الرضي انحرف عند انحدار الامير سبكتكين
والامير سيف الدولة الى نيسابور بعبيد الله بن عزيز الى
طوس التحافا عليه بما صور له من ارصادهما اياه بالمكروه
على ما دعته النصيحة اليه من مناقشتها في بعض
الاعمال والاموال فنهض الامير سيف الدولة محمود على
اثره اظهارا للبراءة واستشعارا للطاعة واستيناما للخدمة

وازاحة لعارض الظنة وطار عبد الله بقوادم العقاب
تحت خوافي الليل الى مرو وعلى عوادل الطرق اشفاقا على
نفسه من عادية التضريب فعل المتهم المريب وتلقى
الرضي مورد سيف الدولة باتم اقبال واشبال وصرفه
ورآه على احسن حال وانعم بال وارتحل بعقبه الى
مرو ولاحقا بوزيره ثم منها الى بخارا حتى استقر بها على
سريره وقد كان الامير سبكتكين وسيف الدولة لما
وصلا الى نيسابور فرشا مهاد العدل ورفعا عماد الامن
وتتبعا رسوما كانت جائفة من قبل فنسخاها ببث الرافة
وحسم المخافة وارتياد مصلحة الكافة فانشرحت
الصدور واستقامت الامور وامنت الطرق واتصلت
القوافل والرفق ثم سنح للامير ناصر الدين سبكتكين ان
ينقلب الى هراة لمطالعة ما كان برسمه فسار واقام سيف
الدولة بنيسابور على قيادة الجيوش وزعامة الجمهور وقد
كان ابو علي طمح الى زيادة من المال تحمل اليه معونة له على اقامة
اهل

عسكره من الري فكتب اليه ابو نصر الحاجب باني عرضت الكتاب
وقررت المراد وكان من جواب فخر الدولة ان مثل الملوك
مثل الانهار العظام تصطفق مياهها وتزخر شعابها فيرى
الناس ملتقى عبابها ومصطفق امواجها ويغفلون عن
عدد الجداول التي تغترف منها والسواقي التي تتشعب عنها
ولو انا قدرنا على مؤن خراسان لاستضفناها الى ما لدينا
من سرة الارض وواسطة الاقاليم لكنا قد سمحنا بها
لتيسر والعذر ظاهر فيما تعذر فاستوحش ابو علي من جوابه
واستشار فائقا ووجوه قواده في تدبر الامر بصوابه
واتيانه من بابه فاختلفت آراؤهم بحسب اجتهادهم
في المشورة ورويتهم في استشفاف العواقب المستورة فاشار
بعضهم بلزوم جرجان واستخلاصها واقامة الخطبة للرضي
بها والكتاب اليه بالطاعة وضمان الاتاوة اذ كانت تلك
ولاية قد اعيت صيد الملوك وصناديد القروم على
خطبتهم لها بمهم العساكر وطلابهم اياها بسمر الرماح وبيض

بهمه شجاع

البواتر واذالتهم عليها مصونات الرغائب وتغريرهم فيها
بكريمات النفوس وللحرائب وقد حصلت له عفوا صفوا
وانفتحت عليه سهوا رهوا وبيع العين بالضمار محالة واقالة
النقد بالنسيء ضلال واشار فائق بمناهضة الامير سيف
الدولة ومناهضته لاعتراض الفرصة عليه بتفرق
الجموع عنه وانجلاء ابيه سبكتكين ولمخالفة هواء
جرجان طباع عسكرهم ونكاية فيهم قدر ما يمكن لهم
الفصل ويحتدم عليهم الجو فوافق هذا الراي جمهور
العسكر لحرصهم على الوطن ونزاعهم الى الاهل والسكن فاتفقوا
على هذا الراي وتطابقوا على الانكفاء واضطروا ابا علي
الى مساعدتهم واتباع ارادتهم وعند ذلك ورد الخبر
بمضي الصاحب اسمعيل بن عباد لسبيله وكان معنيا
بمصالح ابي علي وتحسين آثاره والاشارة على فخر الدولة
باغتنام جواره ومعاونته على ثاره فكره الى ابي علي
نعيه فضل المقام واغراه بتعجيل الانتقال ولما

استاثر

استاثر الله بالصاحب اكثر شعراء العصر في مرثيته فمنها قول ابي محمد الخازن

يا كافي الملك ما وفيت حقك من مدح وان طال تمديح وتابين
نعت الصفات فما يرثيك من احد الا وتزيينه اياك تهجين
هذي نواعي العلى قد قمن نادبة من بعد ما ندبتك الخرد العين
تبكي عليك العطايا والصلات كما تبكي عليك الرعايا والسلاطين
مات وحدك لا بل كل من ولدت حواء طرا بل الدنيا بل الدين
قام السعاة وكان الخوف اقعدهم واستيقظوا بعد ما نام الملاعين
لا يعجب الناس منهم ان هم انتشروا مضى سليمان فانحل الشياطين

ومنها قول ابي سعيد الرستمي الاصفهاني

ابعد ابن عباد يهش الى العلى اخو امل او يستماح جواد
ابى الله الا ان يموتا بموته فما لهما حتى المعاد معاد

ومنها قول ابي عيسى المنجم

والله والله لا افلحتم ابدا بعد الوزير ابن عباد بن عباس
ان كان منكم وزير فاقطعوا وزري او كان منكم رئيس فاقطعوا راسي

ومنها قول ابي العباس الضبي

ايّها الباب لِمْ علاك اكتياب اين ذاك الحجاب والحجّاب
قل بلا رقبة وغير احتشام مات مولاي فاعترانی اکتیاب
مات من كان يفزع الدهر منه فهو الآن في التراب تراب

ومنها قول ابی الفتح البستی الكاتب

مضى صاحب الدنيا فلم يبق بعده كريم يروّي الارض فيض غمامه
فقدناه لما تمّ واعتمّ بالعلى كذاك كسوف البدر عند تمامه

ومنها قول ابی منصور الثعالبی

الا ايا غرة العليا الا يا نكتة الدنيا وشمس الارض فرد الدهر
ميّن السودد اليمنى
اما استحيا ابو يحيى لقبض العالم الكبری لئن ختمت بك الدنيا
فقد فتحت بك الاخرى

ورحل ابو علی من جرجان على سمت جوين غرة شهر ربيع الاول
سنة خمس وثمانين وثلثمائة وتقدمه فايق على طريق اسفراين
حتى اذا قارب حدود نيسابور عدل اليه واختلط به وسار
مسير المستعدين للحرب المجدّين في الطعن والضرب وبلغ

سيف الدولة خبرهما فكتب الى الامير سبكتكين باقبالهما
وبرز الى ظاهر البلد في خفّ من العدد وخيّم به على انتظار
المدد فانجلاه عن المراد وناوشاه الحرب قبل وصول
الامداد فاضطرم عليهما نارها وباشر بنفسه وخاصّته
اوارها من حيث ترجّل راد الضحى الى ان القت ذكاء
يمينها في كافر فتعصفرت ارض الوغى بدماء القتلى
واضجعت مناسم الفيول رجالا كانوا اركانا للصفوف
عند اشتجار الزحوف واختلاط الاسنة والسيوف
وهمّ اصحاب ابی علی بالانخزال جبنا عن النزال ثم تداعوا
بالمناص طلبا للخلاص فكانت جملة وافقها القدر وانحاز
سيف الدولة بمعظم جيشه الى مناخ ابيه الامير سبكتكين في
امان من لباس الظلام ارصادا للخصوم بيوم الكرور على
الثار واسلامهم لقدار الاقدار وتخلّف عنه ما اعياه
استصحابه من اثقال وفيلة ثقال وتحرّز عن خدمة ركابه
طائفة من رجال الهنود وسائر افناء الجنود فذكّت عند

ذلك شعلة لابی علی الطمعت في استقلاله وعوده الى المعهود
من حاله لكنّ الله قضاها سببا لاجتياحه واستيصاله واشير
عليه عند المامه بنيسابور ان يتبع اثر الاميرين ناصر الدين
وسيف الدولة متحلّلا لهما عن عدة الارتياش والانتعاش
وقوة الاستنجاد والاستمداد فاذرتها فعل من كلّت
بصيرته وانحلّت مريرته وعمي عليه قصده ونعى اليه
جدّه واخذ يحتال بصفوة يده وخلوّ خزانته واشفاقه
من خذلان عسكره اياه ان دعاهم الى البراح وسامهم
خطة الكفاح واخذ يكتب الى بخارا معتذرا عن جنايته
ومتنصّلا عن بادرته ومستقيلا عارض عثرته ومستميحا
قبول عذرته وارسل الى الامير سبكتكين رسالة الواهي
جلده المتناهي كمده المتخاذل لسانه ويده يحيل بالكشفة التي
استمرت بالامير سيف الدولة على فايق وسائر اهل عسكره
لاكراههم اياه على مفارقة جرجان ومعاودة خراسان وانه
لو وجد الى مراده سبيلا اوفي ذی اختياره وهواه مقيلا لما

التفت لفت خراسان ما عاش تفاديا عن وحشته وتحرّزا من
كراهته ويسأله ان يهب له ثاره ويستوهب الرضی خطاءه
وعثاره فلم تزده رسالته الا زيادة على التطميع فی اغتياله
والتنبيه على انخزاله والتغرية على اقتناصه والايمان من فوته
وخلاصه وبثّ الامير سبكتكين كتبه الى من
تفرّق عنه في ديار مملكته واطراف ولايته من قوّاده
واجناده في استنهاضهم الى مخيمه واستعجالهم الى مضربه
وانهض الوزير ابا نصر بن ابی زيد الى الامير خلف بن احمد
والى سجستان يحشمه اللحاق به وكتب الى والی جوزجان
ابی الحارث الفريغونی بمثله وطالع حضرة الرضی باستعداده
وانتظار ما يرد عليه من مثاله فكتب الى القوّاد بنواحی
خراسان بالبدار اليه وانثالت الامداد من كل جانب
عليه فصار الامير سبكتكين في جيوش لو رام الجوّ
لاستنزل طيارته او ورد البحر لابدى قرارته وسار
للانتقام مسير الليل غابت كواكبه والسيل ضاق به مذانبه

وقد كان فايق قد دلّ الى طوس يكاتب الامير سبكتكين
مداهنا ويطمعه في الانحياز اليه مهادنا فتلقى وجهه
بمثاله وتكيل عليه من مكياله وتكفا اميرك الطوسي
احد الامراء التازودية لابي علي بين الطاعة والمناعة
والموافقة والمنافقة يقدم رجلا للورود ويؤخر اخرى
للقعود فارسل ابو علي ابا القسم الفقيه اليهما للاستمالة
وتحذيرهما قدم الضلالة فنهض اليهما واخذ له الميثاق
عليهما وكتب اليه يستعجله اللحاق بهما فسار ابو علي وتلقاه
فايق واميرك الطوسي بناحية طابران فاتفقت كلمتهم
على التظاهر والتضافر وخلصت نياتهم في التساعد والترافد
واختاروا معسكرا بقرب اندرخ فخيموا به وقد كان
ابو القسم اخو ابي علي قد عتب عليه لعدوله بولاية هراة
وثمرات اعمالها عنه الى ايلمنكو غلامه وتقصيره به فيما
كان يخطبه ويقترحه عليه من امثالها فلم يفانه (؟) ولايته
اياه والتزامه حكم المشاركة له في كل ما نابه وعراه

فتقاعس عنه عند نهضته من نيسابور اغتلالا عليه ببقية من
اشتغاله حتى اذا انفسحت مدة ارتحاله آيسه من وصوله ووصاله
احوج ما كان الى عونه ونضاله فزاد ذلك في انخزاله وكسوف باله
وحث الامير سبكتكين تلك الخيول في قصد ابي علي حتى اناخ
بطوس مقابلا لمعسكره وذلك لعشر بقين من جمادى الآخرة
سنة خمس وثمانين وثلثمائة فتدانيا ن الخيول وشبان الجنود
الى التطارد والتجالد فبقوا على ذلك تمامة يومهم فلما قبض
الليل مسافة ابصارهم عادوا الى مضاربهم وشاور ابو علي وجوه
قواده في معاداة الحرب فاشار عليه اميرك الطوسي وذووا
الحصافة منهم بالتلجي شعب الجبل والاستظهار على الامير
سبكتكين بمناعة ارجائه وغزارة مائه وسعة العلوفة
من وراءه ومماذته الحرب على اغراء الرجالة الطوسية
باطراف عسكره مبيتين وخاربين ومغيرين وعائثين
الى ان يدركه الملل ويلحقه الفشل فيتفرق عنه الجيش
فعند ها يناجزونه على بصيرة وقوة مريرة واستماحة خيرة

فتشعب من سمع هذا الراي من احداث العسكر وقالوا ما للنا
نطاول القوم ونداقع الوقت لا يعرف الناس انا نميل عن
المصاولة الى المطاولة وعن المساورة الى المصابرة فها نحن
نساقيهم المنية ونصبحهم منها كاسا دوية فانتقض عليهم
التدبير وصار المامور هو الامير وتبكلا العسكرين
عند انفلاق الصبح الى الاستعداد للقاء والاحتشاد
لحرة الهيجاء واقبلوا على تسوية الصفوف مشحونة بالالوف
كآجام الليوث من ذبل القنا والسيوف وحصن الامير
سبكتكين مواقف عسكره بنخب فيلته فحكت تحت
التجافيف اطوادا فارعة وامواجا متدافعة ودنا الفريقان
بعضهم من بعض فلم يرع ميسرة ابي علي الا رهج ثار عليهم
من وراء قرية قرصتهم ذات اليمين فاذاهم بالامير سيف
الدولة في الطم والرم والليل المدلهم فتزلزلت اقدامهم
وضلت احلامهم وافهامهم ودار الى قلب ابي علي قد حمل على
قلب الامير سبكتكين فساعدوهم على حملتهم تفاديا عن

ايقاع الامير سيف الدولة بهم فمزقوا مصفه ونقضوا عن الزحام
موقفه فوقف لهم الامير سبكتكين فيمن احتف به والتف عليه
من خواص غلمانه وردّ حملتهم في وجوههم فارتدوا على ادبارهم
وقد اطل سيف الدولة عليهم من ورائهم فبقوا محصورين بين
العسكرين واخذتهم السيوف من كلي الجانبين وتاد فتاهم
خلط البعض بالبعض فلم يسمع غير وقع البيض على بيض المفارق
وحطم الدبابيس ما بين الطلى والعواتق وظلت خراطيم الفيول
تسلب الفرسان من صهوات الخيول وتلحق القاتل بالمقتول
وبلغ سيف الدولة من الايقاع بهم والاثخان فيهم والانتقام
منهم وصبّ السيوف عليهم مبلغا لو سمع به رستم في
زمانه لزهته حذمة عنانه وهذبته آداب سيفه
وسنانه وفات المحصورون ببقايا المهج تحت غواشي
الرهج وبرذايا الارواح من بين مشتجر الرماح فانجلت
المعركة عن قتلى مضرجين في الدماء وجرحى مطرحين
على العراء واسرى آيسين من الفداء وركب سيف الدولة

اكناف الفلّ فاسر منهم من قصر عن اقتحام شعاب الجبل
وعمي عليه وجوه تلك المغارات والمداخل وكان من جملة
المأسورين ابو علي بن بغرا الحاجب وبكتكين الفرغاني
وارسلانك وابو علي بن نوشتكين واماشاذ بن سجان
زور الجيلي ولشكرستان بن ابي جعفر الديلمي وهولاء
اعيان عسكر ابي علي وذوات قواده ووجوه اركانه
واعضاده وسار ابو علي وفايق بين مهاوي تلك الجبال
ومصاعد تلك القلال الى ان اناخا بقلعة كلات
وهي التي تخفى الرياح بين نفانفها وتزل الابصار دون
ذرائبها وشعافها فاضافهما اميرك الطوسي الى ان طرّ
لهما عدد من سبق ومن لحق وجملة من اجتمع ممن
تفرق وكان ابو علي قد سرّب الفيلة التي قبض
عليها بباب نيسابور الى كلات في جملة ضبنته فكتب ابو علي
بن بغرا الحاجب وسائر الاسراء يذكرون ان الامير سبكتكين
استدعاهم ومنّاهم ووصلهم وحباهم ووعدهم الافراج

اقامات اهل عنهم متى ردّت تلك الفيلة الى مرابط امثالها
من مناخه وسالوه ان يفعل ذلك تنفيسا عنهم وتخليصا لهم
فتقدم ابو علي الى اميرك بردها والافراج عنها ففعل و
نهض هو وفايق على سمت ابيورد منصحرين عن تلك المضايق
فبعث اميرك الطوسي بتلك الفيول الى الامير سبكتكين وكتب
اليه يريه انه المتقرب بردها المتفرد بالخدمة فيها
فاستغمر بذلك رتبته و احبط على ابي علي قربته وفي ذكر
هذه الوقعة يقول ابو الفتح البستي الكاتب
الم تر ما اتاه ابو علي وكنت اراه ذا لب وكيس
عصى السلطان فابتدرت اليه رجال يقلعون ابا قبيس
وصيّر طوس معقله فانحى عليه طوس اشأم من طويس
وسار ابو علي وفايق لسواد ابيورد على ان يقصد الكورة نسا
فسنح لفايق ان يعدل الى سرخس لراي رآه فخذل ابا علي
المكان وسار بمن معه من الغلمان فلما سمع ابو علي بنبائه ارسل
اليه باني غير مفارقك على اية حال تصرفت بنا من اجداب واخصاب

واجزان واسهال وان ركوب هذا الطريق كان على ما سنح لنا
بادي الراي من الصواب واذ قد بدا لك في التدبير فاني تابع
لرايك وها انا من ورائك فوقف له الى ان لحق به وسار الى سرخس
ومنها الى مرو وحين تسامع الامير سبكتكين بخبر عدولهما عن
سمت ابيورد نهض على اثرهما واستخلف الامير سيف الدولة
على ما فوّض اليه من اعمال نيسابور ضامنا عنه كفاية امرهما
فقضيا اوطارهما بمرو ثم اخترقا مفازة آموية الى الشط
متحجرين بجدوبة المفازة وصعوبة المسافة وانسداد
المسالك وانهدام المناهل والقيا بها عصا القرار و
ارسل ابو علي ابا الحسين محمد بن كثير وفايق عبد الرحمن
بن احمد الفقيه وزيريهما الى بخارا في استعتاب الرضى
واسترضائه واستفايته الى رعاية حقوق مواليه و
اوليائه فاما ابو الحسين محمد بن كثير فانه صرف وراءه
على وجه جميل وكتب الى ابي علي في تمنيته وتاميل ودهم
له الى ان يتحرف الى الجرجانية فيقيم بها الى ان يستانف

تدبير امره بواجبه واما عبد الرحمن بن احمد فانه
امر باعتقاله ووضع في الحبس على رسم امثاله وندب
من بخارا بعض المسوّدة بكتاب الى مامون بن محمد والي
الجرجانية ليقدمه بتقرير حاله وذكر ما انشئ من
الراي في بابه فامتعض فايق لما قوبل به رسوله وعمد
على ان يعبر النهر الى ما وراءه ملتجيا الى ايلك ومستصرخا
اياه ومستعينا به على ما دهاه واشار على ابي علي بان
يساعده ويجمع اليه يده ويساعده فان الغرض
المقصود في طرحه الى الجرجانية تفريق ذات بينهما
في المساعدة والمرافدة والاجتماع على الحادثات باليد
الواحدة وان الذي غمسا فيه ايديهما من الخلاف
على تلك الدولة اضطرارا كان او اختيارا لا يوجب
الاغضاء عن تبعاته والذهول عن نفثات انيابه وحماته
فاختار ابو علي مباعدته على مساعدته ومجانبته على
مقاربته سترا لله تعالى فيما حكم به من صدع شمله وقطع



قال فردّيتها له وذلك قبل استيحاش خوارزمشاه منه فقبلها
منه بمنّة ثم ذهل عنها كأن لم يقرع بها سمعه ولم يستودعها
يوما من الدهر ذرعه ولم يعلم أنها كانت رمزا من الأيام له
بارتقاب النوائب واتقاء العواقب ولم يدر أن للأفعال والأعمال
جزاء يجيء بأربابها وحيّا أو بطيئا ومحسنا أو مسيئا
وغفل ليلته تلك من الاحتراس واقتدى بغفلته سائر
الناس حتى إذا أثقل العيون كراها ونفّه النجوم سراها
ضجّت الآفاق بخفق الطبول وعطعطة الخيول وأحيط بالقصر
الذي نزله أبو علي على قتاله أو نيل المراد من استنزاله فثار
من حفّ به من غلمانه للدفاع وثارت جمرات المصاع وخفّ
بنفسه إلى زعيم القوم يسأله ما خطبك ولماذا أخرجك فقال
له إن خوارزمشاه أمرك فتقرّب إليه بلطف الإذعان
دون عنف الضراب والطعان فهو للفتنة أطفأ وللإحنة
أنفى ولباع الانتقام أقصر ثم أنت بالرأي أبصر فبادر
أبو علي إلى النزول فاستردفه الزعيم حتى عبر به النهر

نحو صاحبه وذلك قبل الفجر من ليلة السبت غرّة شهر
رمضان سنة ست وثمانين وثلثمائة فأمر به إلى بعض
القصور معتقلا فيه وشدّ الطلب على أصحابه وقوّاده فأسر
منهم الأعيان والأركان وأفلت ايلمنكو صاحب جيشه
بمن اتّبعه نحو الجرجانية ونودي بين الأفراد وخدم القوّاد
من أقام يومه بهزارسف أبيح دمه فتفرّقوا أيدي سبا
في الأقطار كشوارد الأمثال والأشعار واعتقل الباقون
على صغار وخسار إلى أن أذن الله في خلاصهم بوالي الجرجانية
مأمون بن محمد وذلك أنه لما سمع بنبأ أبي علي وما ارتكب منه
خوارزمشاه اضطرب قلقا واضطرم حنقا وبات يرعى
النجوم أرقا إلى أن استتبّ له التدبير عليه فرماه بعسكر
جرّار يستخفّون مثاقل الأعمال ويخوضون مشارع
الأهوال وينفذون رواسي الجبال ويستنزلون العصم
من شعف القلال وسار فيهم ايلمنكو في خواصّ له على رجال
قد أوغرتهم الحفائظ والإحن وأحرجتهم النوائب والمحن

فهم يسعون لما النار لنفي العار ودرك الاوتار فعبروا الى الكات
مدينة خوارزمشاه واحاطوا بها احاطة الاطواق بالاعناق
وناوشوه الحرب من كل اوب ودرب فظلت تلفح وجوه
رجاله بجمراتها حتى اجلتهم عنها مدحورين وجعلتهم في
ربقة الاسار مقهورين ودمروا على خوارزمشاه في قرارة
بيته فاعطاهم بيديه ووصل الى ابي علي فحمل ثقل قيده على
رجليه وتبادلت حالاهما في دفعة من اديم النهار فصار
الاسير منهما اميرا والامير اسيرا وكان ذلك على الله
يسيرا وتحمل ابو علي نحو الجرجانية في احسن حال وانعم شعار
وحمل ابو عبد الله خوارزمشاه على قتب عار بين خزي وعار
فاستقبلهما مامون بن محمد فقابل ابا علي بالاعظام
والاجلال وعومل ابو عبد الله خوارزمشاه من ضروب
الاذلال بما يجل عن المقال وانسلخ مامون بن محمد عن
جنوده في اكبار ابي علي واجلاله ونشر عليه صنوف امواله
واقام العطايا لعامة رجاله حتى انتظمت احوالهم وانحلت هم

اختلالهم وقراه ذات يوم وكان قد اتخذ مجلسا كانما
عمل عليه صناع صنعاء تزيينا وتحسينا وتنضيدا
وتجيدا فاحتفى عليه في الشرب احتفاء لطف ومسئلة
اذ كان قد هجر الشراب وودعه منذ زمان فلما
اخذت الكؤوس منهما ماخذها اقترح اخضار خوارزم
شاه فاحضر يحجل في قيده ولم يزد في جواب ما سئل
عنه وعير به على الاطراق وسمر الارض بالحداق
وجملة امره انه امر به فاذريت هامته عن منكبيه
فتدحرجت الى الارض شيبته البيضاء كذلك يفعل
الله ما يشاء وصفت خوارزم لمامون بن محمد فرتب
بها من اقام الخطبة برسمه وجبى اموالها على حكمه
وتابع كتبه الى الرضي متشفعا في امر ابي علي وسائلا
تدبر امره بما يونس وحشته ويجبر خلته فخوطب
هو وابو علي في الملتمس بصحيفة المتلمس رضا بما
ينطوي على حقد دفين وداء في الصدر دوي وامر

ابو علي بالمسير الى حضرة السرير فلاحت له اماني قعد
بها جده واصلد عليها زنده فشخص نحو بخارا سائرا الى
دمه بقدمه وقد اغفلت الايام قلبه عن ذكر
فعلاته وزلاته ليلقى قدرا مقدورا وليقضي الله
امرا كان مفعولا ولما شارف بخارا استقبله
الوزير عبد الله بن عزير والقواد على طبقاتهم مهنئين
ومبركين ومضى فيهم الى السهلة ونزل بها واخذ يلثم
الارض الى ان بلغ السدة فرفع له الحجاب وسار امامه
الحجاب الى ان وصل الرضي فاستوفى ادب الخدمة
ولبس ذل كفران النعمة واستنزل بعقبه
في كبار اخوته وقواده حتى اذا نودي بدابته للخروج من
الدار عدل بهم الى بعض الحجر وسلك هو والاخرون في
القيود والاصفاد واطلق على الوقوف بالباب ايدي
الاولياء والحشم فطبقوهم بالسلب والنهب وسلخوهم
من كل مضيق ودرب وختمت حال ابي علي بيومه

ذلك يوم تطامن فيه صورة واستقام صعره ونفخ
له ثمره واعيا على ورده صدره كذلك كفران النعمة
لا يرضى الا بسخط صاحبه وايساد الزمان عليه بانيابه
ونوائبه ورحم الله من قال فلقد احسن المقال

إذا المرء لم يرض ما امكنه ولم يات من امره ازينه
واعجبه العجب فاقتاده وتاه به التيه فاستحسنه
فدعه فقد ساء تدبيره سيضحك يوما ويبكي سنه

وقد كان الامير سبكتكين منيخا بمرو فلما بلغه ايقاع
خوارزمشاه بابي علي عدل الى بلخ فغنى بها على جملته في
الطاعة وارتياد مصلحة الكافة الى ان ورد ابو علي بخارا
واوعز في بابه بما تقدم ذكره وطلع اثناء ذلك كتاب
الرضي عليه بما يهمه به اي لكف من الانحدار عن الاعالي وحيازة
ما في ايدي عماله من عمال تلك النواحي يساله تحشم الحفوف
في وجهه والعبور لكفاية شغله متمما لصنيعه عنده
في استحياء دولته واستبقاء ملكه وحوزته فاستشار

في ذلك وجوه نصحائه ووزرائه فترجحت الاجوبة
بين تبعيد وتقريب وتخطئة وتصويب فاخذته العزة
بالوفاء وهزته الحفيظة للنداء فعدل عن مشورة
النصحاء الى صريمة العزيمة والراي واقبل على الاستعداد
والاحتشاد وبث كتبه الى ولاة الاطراف وزعماء البلاد
بتعجيل الورود وتقديم الوفود وعجل هو الى العبور قبل
تلاحق الجمهور ومضى الى ما بين كش ونسف فخيم بقرية
تدعى نيازي الى ان وصل اليه ولاة الجوزجان والختل
والصغانيان وساير اطراف خراسان وورد عليه الامير
سيف الدولة من نيسابور في هيئة راقت العيون
وهيبة راعت القلوب ورجال قد ربتهم الحروب
في حجورها وارضعتهم التجارب من شطورها فلم يسمع
بمعسكر بما وراء النهر جمع من كبار الملوك واعيان
القروم وطبقات الجنود بما جمعه ذلك المناخ وبلغ
ايلك عبورهم للقائه فارسل الى الامير سبكتكين

عدة من شيوخ بابه يذكر انهما اخوان في ذات الله لا
تفاقهما على نصرة الاسلام واقتسامهما ديار الترك والهند
بالغزو والانتقام وانهما بحكم مساعيهما في اظهار دين
الله وافلاج حجة الله احق باتفاقات خراسان وما وراء
النهر من مستخلص نيته على ما رب نفسه وشهوات
بدنه لا يشهد مقاما محمودا ولا يشهر حساما مغمودا
وان اجتماعهما على حظيهما اعود عليهما من ركوب الخطر
واجتلاب الضرر لخط يخلص لا غيرهما وانه لا يستحل
في دينه ان يعدل بالسيف عن اعداء الله الى وجهه
الا اذا اضطر اليه ابتداء وسامه الدفاع عن نفسه
اعتداء فليختر ايما الامرين راه من وفاق وافتراق
وايتلاف واختلاف فهو يسم بناره ويجذ وعلى غيراره
فرجع اليه ان اعتماد الرضي اياه بتاميله حين خذله
ابناء دولته وكفر انشاء نعمته يذمم اليه الاعمال
دون حيف يجري عليه وملك يراد انتزاعه من يديه

وان تغريره بجميع ما يحويه على استغراقه ايام العمر فيه
احب اليه من سمة الخذلان واختيار الاساءة على
الاحسان فليقطع طمعه عن الرتائع حول تلك الربائع
او فلياذن بحرب يتحطم فيها متون الصفاح و
تتقصد معها عوالي الرماح وترخص عندها غوالي
المهجات والارواح فلما علم ايلك جده وذاق بلسان
الاختبار ما عنده قرع للامير ظنبوبه وشد للحرب
حيزومه ورمى احياء الترك بقداح هي فيما بينهم
علامات الاستنفار فثار اليه الطم والرم
جيوش تضل البلق في حجراتها ترى الاكم فيها سجدا للحوافر
وكتب الامير سبكتكين الى الرضي يستعجله اللحاق به
ليستقدمهم هيبته في مناهضة الخصم وفل حده وزجرته
عن صدد الملك الى ما وراء حده واشفق ابن عزيز على
نفسه من حركته للهنات التي كانت الجاته الى
الهرب واللياذ به من حر الطلب وتنصح الرضي بان

الامير سبكتكين وعامة ولاة الاطراف عبروا النهر
في احسن عدة وعتاد وابلغ استظهار واحتشاد وان
المحن التي استمرت بك قد نغصتك عن تحمل مثلك وحلت
بزينة الملك عن دخلك فقبيح بك ان تجاور من حاله احلى
من حالك ودجالته اتم استظهارا من فرسان رجالك
والراي لك ان تستعفيه عن شهادتك بنفسك على ان
تحشر اليه وجوه القواد في جماهير الاجناد من اطراف
البلاد وتحكمه فيما يراه من مسالمة او محاكمة ومكالحة
او مصالحة ليكون فيصل الامر بيديه على الوجه الذي
هو اخف عليه فكتب الرضي اليه فعلم ان ذلك من تسويل
ابن عزيز وافتعاله وتمويهه واحتياله وقصده ان يحبط
عليه سعيه الذي سعاه في العبور واستجاشة الجمهور
وتحمل الاثقال واستنفاق الاموال فسرب الامير سيف
الدولة واخاه بغراجق في قرابة عشرين الف رجل
الى بخارا لازعاجه عن مكانه وسير معهما ابا نصر احمد بن محمد بن

بذلك

أبي زيد لتدارك أمر الديوان الذي كان برسمه فلما
أحس ابن عزير باقبالهم رأى ليث الموت كاشرا عن نابيه
وعقاب العقاب ناشرا أجنحته للانقضاض عليه
فابتغى نفقا في الأرض أو سلما في السماء حتى إذا أعياه
ما توخاه فزع إلى الانجحار ولاذ بالاستتار فولى الرضي
أبا نصر بن أبي زيد ما كان يليه وهو الشهاب الثاقب
والنقاب الذي هذبته المناقب وأقام بكفايته عماده
وقوم منآده وحذف عنه ما كان قد آده ووصفه
أبو الفتح البستي بأبيات وفى الصدق بها حقه وهي

فديت أبا نصر المرتجى ... لتفريج كل ظلام يطل
له قلم جذم لا يكل ... إذا كان في الحرب سيف كل
فموجز لكنه لا يخل ... ويطنب لكنه لا يمل
وكيف يمل وتوفيق من ... أفاد العقول عليه يمل
تجود قريحته بالبديع ... عفوا كجود القراح المغل
مدق مجل وأولى الكفاة ... بأعلى الصفات مدق مجل

وكتب

وكتب إليه عند استقرار الوزارة عليه

أبلغ مقالي كل عاف مجتدي ... ومؤمل في قصده أن يهتدي
عرج على الشيخ الجليل المرتجى ... وزر الوزارة أحمد بن محمد
فرواه ملء العيون وحبه ... ملء القلوب وسيبه ملء اليد
يفري أمور الملك رأيا فيصلا ... وعزيمة تزري بكل مهند
ويفيض نائله بسيل راعب ... فيقول سائله غرقت قدي قدي
فاثن الرجاء إلى علاه فإنه ... غوث الردي غيث الصدي بدر الندي
لا زال في يوم أغر مبشر ... بسعادة غراء تطلع في غد
ليقيم كل مائد ويتيم كل ... مسهد ويضم كل مبدد

وقد كان الأمير سبكتكين أحس بإبقاء ابن عزير
على أبي علي وجده في النضال عنه لما يقدره في الأيام
من التسلح به عليه فلوح الرضي بميله إلى ما يقع من
نقله إلى جنابه فأوجب قبل وصول سيف الدولة
إليه إسعافه به وحمل هو والمملوك في عمادية كانت
خاتمة لعمره قاطعة لظهره وأمر الأمير سبكتكين

به فنقل إلى جرجير في محمل لو رأى من قبل مثله في منامه
لعاف برد الماء على زرقة جمامه واستعفى عن طيب الحياة
باقي أيامه نعم وانحدر فيما بين نهوض سيف الدولة
إلى بخارا إيلك في قبائل الترك واستئناف مسألة الصلح
فأوجب الأمير سبكتكين إجابته إلى ملتمسه لقعود
الرضي عن مشاهدته وفتوره في أمر نهضته واشترط
عليه أن يترجرج عما دون قطوان ولا يطلق عليه
عنانه ولا يسرح إليه عماله وأعوانه على أن يقر سمرقند
على فائق إيجابا لشفاعته ورعاية لما سلف في يمنا الرضي
من حق طاعته وعقدت وثيقة الصلح على هذه الجملة
بمشهد الفقهاء والأعيان من الجانبين وانصرف
كل منهما عن وجه صاحبه وعاد الأمير سبكتكين إلى
بلخ وسار سيف الدولة نحو نيسابور وهدأ على الرضي ما
كان متموجا من أمور الأعالي وأقبل أبو نصر على مهمات الوزارة
وأكثرها شغل الإثارة لتقلص الولايات وقصور

الارتفاعات

الارتفاعات عن الوفاء بما كان مثبتا في القديم من وجوه
الأطماع والإقامات وجعل يزجي فيها يوما بيوم ويغسل
درنا بدم إلى أن ثار به بعض غلمانه فقتلوه وذلك على
رأس خمسة أشهر من وزارته فضاق الرضي ذرعا بما
دهاه لإشفاقه من ظن الأمير سبكتكين أن هناك قصدا
في أمره أو رضا بالحادثة به وأظهر الاكتئاب واستعظم
المصاب وبرز من الدار فصلى على جنازته وأمر بإقامة
التنكيل والتمثيل على الفتكة به وأنشدني المضراب البوشنجي يرثيه

قلوب الناس آلمة سقاما ... ونفس المجد والهة سقيمه
وما فجعت بك الدنيا ولكن ... تركت بفقدك الدنيا يتيمه

وفيه لبعض أهل العصر يرثيه

لما ثوى صدر الوزارة أحمد ... وخوت نجوم المجد في ملحوده
أذريت من فرط المصاب مدامعا ... كالغيث بعد بروقه ورعوده
قال العذول وقد رأى فرط الجوى ... والطرف يمزج دمعه بصديده
خفض عليك فقلت قولا زاجرا ... دعني أبكيه بنسخة جوده

والله ولي التوفيق للاعتبار بانتقاص الاعمار وتغير الاحوال

ذكر ابي القسم بن سيمجور اخي ابي علي وما افضى اليه امره بعد تقاعده عنه

ولما انحاز ابو القسم عن اخيه اقام بجرجة الى ان ورد الامير سبكتكين خاستر من نيسابور فنهض اليه متعرضا للقائه في تمهيد حاله في ثمالاته وولائه فرعى حقه ودفع قدره وقوى اسره وضمن له ما سره وخطب له الى الرضي ولاية قهستان فاجابه اليها وامر له بالمنشور عليها وجبي الى ذلك بخلع عرفته يمنة الطاعة وكسته يمنة العز في الاختلاط بالجماعة فاوى الى قهستان ساكن الجاش طاهر الرياش اثيث الجناح مريع المسرح والمراح الى ان سنح للامير سبكتكين عبور النهر لتدبر امر الترك فكتب اليه يستنهضه الى مجمع اركان الدولة واعيانها ليضرب معهم بسهم الغناء في كفاية الامر الحازب ومنابذة الخصم المغالب فحملته تقوي العواقب واساءة الظن

بالنوائب وطواءة عهده بخبر اخيه فيما ذرع من لباس الهوان وجرع من كاس الذل والامتهان على ترك المسير والادلاء ببعض المعاذير وعلم ان تقاعده عن اجابته سيورثه عند فراغه له داء عضالا ويكسبه خطبا لا يطيق به استقلالا فبادر الى نيسابور مغتنما خلو خراسان عن حماتها وطابقه ابو نصر بن محمود الحاجب على فعله ورايه فتظاهرا على الاستظهار بجمع المال واثبات اصناف الرجال وحين سمع الامير سبكتكين بخبرهما بادر بالكتاب الى سيف الدولة في الانحدار الى نيسابور وامده باخيه بغراجق والى هراة لنقض ما ابرم من امرهما وحصد ما نجم من شرهما فسار اليهما ولم يرض لهما حتى انحط على اثرهما من بلخ كالشهاب في اثر العفاريت فلم يدع ابا القسم وابن محمود غير اظلال الجيوش عليهما فادرعا مطايا الهرب وسارا الى استوا متقيين حد القضب وركب الامير ان اكتافهما يشلانهما شل النعم حتى لفظتهما حدود خراسان الى تخوم جرجان وامتد الامير سبكتكين الى طوس فاناخ بها الى

ان تطاير اليهما خبر اقباله فزاد في حفزهما للانهزام واعجالهما دون المقام وعطف اليه سيف الدولة وبغراجق بعد فراغهما من تفريغ خراسان عنهما بجدد بن العهد به وقد كان فخر الدولة علي بن بويه قد تقرب الى الامير سبكتكين عند مقامه ببلخ على سبيل الملاطفة بجملة من المبار ومال من العين والتجبر على سبيل النثار اقتناصا لمحبته واستخلاصا لرضاه وموافقته فقابله الامير سبكتكين باضعافه من الالطاف وزاده عليها ثلثة من الفيلة الخفاف وارسلها المعروف بعبد الله الكاتب احد ثقاته فنمي الى فخر الدولة تجسسه عليه عدد اجناده وعوامض الطرق المفضية الى بلاده فكتب الى الامير سبكتكين يشير الى ان رسول المرء لسانه وعنوان ضميره وترجمانه وان فلانا ورد فخالف باطن افعاله ظاهر مقاله وكان من بعض فصوله انه لو اراد لعلم ان سرير الملك لم يستقر في سرة الارض الا لغلب غلب واسود سود فجز هذا الكلام في صدره وخدش وجه الحال التي كان خطبها فخر الدولة

الى وده ثم اردف كتابه ذلك بابي القسم الرسول احد وجوه بابه واصحبه رسالة مشافهة مشتملة على ذكر الحال التي ترم عمارتها في مودته وتحصيل رضاه وموافقته وان الرضي تبرع له بالرعاية الوافرة وبل الحال ببلال المصاهرة لكنه يرى قوام ذلك ونظامه بما يوجبه من مواصلته وعمارة حاله من ذات مدره وساله ان يثق بالاخلاص له من قلبه والاسعاف بما تحت يدي ملكه وملكه وان ينطوي له على مثل ما بذله من نفسه ليستحصد المرائر ويتاكد الاواصر ويستمر به التحالف والتآلف ويرتفع التخالف والتجانف فاحسن الامير سبكتكين اجابته الى ما طلبه والحه من سره ما خاطبه وصفت الحال بينهما عن الشوائب وانتفت عن وجوه المقادح والمعايب واستامن ابو القاسم بن سيمجور الى فخر الدولة عند الياس من خراسان فاستدناه الى الدامغان وقومس وجرجان وفرض له ولمن اشتملت جريدته عليهم من حاشيته ورجاله ما لا يدر عليهم وسناتي على بقية ذكره في موضعه وورد على الامير

سبكتكين موتس الخادم رسولا عن الرضي يستشيره فيمن يرشح
للوزارة لخلو مكانها بعد ابي نصر بن ابي زيد عمن يراعيها ويستقل
باعباء الكفاية فيها فوكل الاختيار الى رايه واظهر مظاهرة
من كان من وزرايه فاختير ابو المظفر محمد بن ابراهيم البرغشي
لها وحبي بالخلعة والكرامة فيها فكفل بالامر كفالة المذرب الحرب
وقام بالتدبير قيام المنقح المتدرب الى ان اختطف الرضي اجله
وعثر بحياته امله وعطف الامير سبكتكين بعد ذلك الى
بلخ وقاد سيف الدولة الى نيسابور وقد كان ابو الحسن الحسين بن
ابي علي بن سيمجور مقيما بقاين عند الوقعة بناحية طوس فلما
سمع بانكشاف عسكر ابيه ركب المسافة نحو الري فآواه فخر الدولة
واكرمه وخلع عليه فضله وكرمه وامر له بخمسين الف درهم
مشاهرة تدر عليه عند ولاد كل شهر واضاف اليه من المبار
والصلات ووجوه الاحبية والكرامات ما تميز به عن اشكاله
رعاية لحق ابيه فيه وتبجحا بحصول مثله في جملة اوليائه وحملة
اياديه فاغراه سوء القضاء ودرك الشقاء بالهرب من مفترش

الراحة ومتوسد الدعة ومضطجع الرفاهية ومرتفق السلامة
والعافية حتى زج بنفسه في قحمة التبور من كورة نيسابور
مطاوعة لهوى له كان زعم بها فظن ان استتاره يطوي خبره
ويخفي عينه واثره الى ان يقضي من هواه وطره فلم يرعه الا
احاطة الطلب به من حوالي مستتره فاجترشوه كما يحترش الضب
من جحره وعجلوا به الى الحبس من فوره وحمل بعد ذلك الى
معتقل ابيه الى ان نفذ محتوم القضاء فيه فيا له من اسر هد اسره
وختم بطالع الشقاء عمره ورحم الله ام المؤمنين ام سلمة حيث
تقول

لو كان معتصما من زلة احد كانت لعايشة الرتبى على الناس
قد ينزع الله من قوم عقولهم حتى يتم الذي يقضى على الراس

وكان اميرك الطوسي قد اختلط بعسكر الامير سيف الدولة
فلما عزله عبور النهر لتدبير امر الترك راى الاحتياط في الاستيثاق
منه فالحق بابي علي ودويه الى ان حاق بهم القضاء وحق عليهم
الانقضاء كذلك يفعل الله ما يشاء ولما استقر الامير

سبكتكين ببلخ منصرفه من طوس ورد الخبر بنفوذ قضاء الله
في ابي علي ومن كان معه في حلق الوثاق واستتبع خبره موت
الملوك والعظماء باطراف خراسان والعراق في مدة اتصلت
كعوب ايامها وتناسقت فرائد نظامها فكانهم كانوا على ميعاد
وذلك انه تلا خبره خبر مامون بن محمد والي الجرجانية في
فتك طايفة من اصحابه به في مادبة صنعها صاحب جيشه له
واستحالت المادبة مندبة والدعوة مناحة والغناء عويلا
والسرور حزنا طويلا وورد فيه خبر الرضي في مرضة لم يمتد فيها
ايامه حتى الم به حمامه وانتقل الى تراب بماء شبابه وكانت
وفاته يوم الجمعة لثلاث عشرة ليلة خلت من شعبان سنة سبع
وثمانين وثلثماية ولقبه كتاب بابه بالرضي فرحمة الله عليه
رحمة تبرد ضريحه وتروح روحه فقد كان طود الملك زال
بزواله وزل عن مراسيه بزلزاله وتتابعت المصايب على الامير
سبكتكين بعده بشقيقة له كانت اعز اهله عليه واولاد صغار
وغلمان دار وهلم جرا الى ان سقط على الفراش وايس من الانتعاش

فناق الى غزنة استروحا الى طيب هوايها واستشفاء بنسيم ارضها
ومايها فاخذ المقدور عليه بالمرصد واخترمته يد المنون
دون المقصد فنقل في تابوته الى غزنة ومن العجب العجاب اني
حضرته ذات يوم وقد جرى حديث العلل في اقبالها وزوالها
فقال وهو يشير الى كاتبه ابي الفتح مثلنا ايها الشيخ في اختطاف
المنايا ارواحنا مثل القطيع يعمد الجزار الى الضانية فيطرحها
الى الارض ويوثق قوايمها للجزر فلا تزال تقلق بخلاف العادة
وتضطرب خوف الابادة الى ان يقضي الجزار منها وطره
فيحل وثاقها ويحسن اطلاقها فتراح لما يتاح لها من النجاة و
يعاد اليها من روح الحياة حتى اذا كانت من قابل عاد الجزار
لعادته فيها فطفقت لها بين امل وياس ونفرة واستيناس تظن
الامر كما عهدت تارة وتخشى خلاف العادة اخرى الى ان يقع
الافراج عنها فيتطير وتجي بالنجاة وتعود مرجى في النبات فما هي
الا الثالثة حتى يسلمها الجزار الى الجزار فيمر الشفرة على ودجها
اوثق ما كانت بالعادة وابعدها من المخافة وآمنها من الآفة

كذلك نحن فيما يتعاقب علينا من الأمراض ويستمر بنا من الأوصاب
بينا نحن نحسن الظن بما يطرق منها إذ قامت الواعية وسادت
بها الناعية فكان بين هذا التمثيل وبين أن قضى نحبه قدر
عقاد النخل أياما سواء فقضينا العجب بعده لما أملاه المقدور
في شأنه على لسانه وقد كان قبل وفاته استجد عمارة الدار
المعروفة بسهلاباذ وأنفق عليها مالا عظيما فلم يتمتع بسكناها
حتى خذله الرجاء وحق له القضاء وأعتامها ولده من بعده
فأهملوا أمرها حتى تداعت بالخراب وسمعت بعض الأفاضل
ينشد وقد اجتاز عليها بعده في مدة يسيرة
عليك سلام الله من منزل قفر فقد هجت لي شوقا قديما وما تدري
عهدتك مذ شهر جديدا ولم أخل صروف الردى تبلى مغانيك في شهر
فلله دنيانا من ضبة تأكل أولادها عقوقا وجافية لا ترعى
لأضيافها أذمة وحقوقا وإلى الله المشتكى من صرف الزمان وريب
الحدثان ورثاه أبو الفتح البستي كاتبه بقوله
قلت إذ مات ناصر الدين والدولة حياه ربه بالكرامة
وتداعت جموعه بافتراق هكذا هكذا تقوم القيامة وقوله
توكل على الله في كل ما تحاوله واتخذه وكيلا
ولا يخدعنك شرب صفا فأنمى قليلا وأروى غليلا
فإن الزمان يذل العزيز ويجعل كل جليل ضئيلا
ألم تر ناصر دين الإله وكان المهيب العظيم الجليلا
أعد الفيول وقاد الخيول وصير كل عزيز ذليلا
وحف الملوك به خاضعين وزفوا إليه رعيلا رعيلا
ولما تمكن من أمره وصار له الشرق إلا قليلا
وأوهمه العز أن الزمان إذا رامه ارتد عنه كليلا
أتته المنية مغتاظة وسلت عليه حساما صقيلا
فلم تغن عنه حماة الرجال ولم يجد فيل عليه فتيلا
كذلك يفعل بالشامتين ويفنيهم الدهر جيلا فجيلا
ولبعض كتاب أهل العصر
مضى الأمير نصير الدين منتحبا في قبره بمساعي أشبهت علما
قد كان مدة ما قد عاش منتصبا لله والدين والإسلام منتقما
كالليث والغيث طبعا إن حمي وهمى والنجم والرجم شكلا إن سما ودهى
يا من أسال رقاب الكاشحين دما من فقدك الآن أبكيت العيون دما
لئن أناخ صروف الدهر ساحته فانظر إلى الملك والإسلام لا جرما
فالدين منثلم والملك منهدم وطل حبل العلى والمجد منصرما
وردف الحادثة به النعي لفخر الدولة علي بن بويه وكانت
وفاتها في شعبان سنة سبع وثمانين وثلثمائة وكان سبب
انقراضه أنه فرع القلعة التي استجدها على جبل طبرك
متأنسا للأنس فاشتهى طوائح من لحم البقر فنحرت بين
يديه واحدة وطفق أصحابه يقضبون له من أطايبها
هونا لا منها وأتبعها بعنا قيد كرم ودارت عليه الكؤوس
بينها ملاء وولاء فلم يلبث أن لوى عليه جوفه واتصل على
الألم صوته إلى أن جثم عليه موته ورثاه أبو الفرج الساوي
هي الدنيا تقول بملء فيها حذار حذار من بطشي وفتكي
فلا يغرركم حسن ابتسامي فقولي مضحك والفعل مبكي
بفخر الدولة اعتبروا فإني أخذت الملك منه بسيف هلك
وقد كان استطال على البرايا ونظم جمعهم في سلك ملك
فلو شمس الضحى جاءته يوما لقال لها عتوا أف منك
ولو زهر النجوم أتت رضاه تأبى أن يقول رضيت عنك
فأمسى بعد ما فرع البرايا أسير القبر في ضيق وضنك
أقدر أنه لو عاد يوما إلى الدنيا تسربل ثوب نسك
دعي يا نفس فكرك في ملوك مضوا بل لانقراضك وابكي فإنك
فلا يغني هلاك الليث شيئا عن الظبي السليب قميص مسك
هي الدنيا أشبهها بشهد يسم وجيفة طليت بمسك
هي الدنيا كمثل الطفل بينا يقهقهه إذ بكى من بعد ضحك
ألا يا قومنا انتبهوا فإنا نحاسب في القيامة غير شك
وأما مأمون بن محمد والي خوارزم فإن ابنه عليا ولي الأمر من
بعده وتسارع الناس إلى بيعته وعاد الملك به إلى بهائه ورونقه
وأما الرضي فقد كان عهد بملكه إلى ابنه الأمير أبي الحارث
منصور بن نوح فلما استقر به ومضى لسبيله تناصر على بيعته
الأولياء والحشم وفرق بقايا الأموال وخبايا الذخائر والأعلاق

في عطياتهم وتحقيق أطماعهم حتى استوسقت أمور الجماعة
واتسقت الكلمة في الطاعة وبقي أبو المظفر محمد بن إبراهيم
البرغشي على الوزارة وأما الأمير ناصر الدين سبكتكين فقد
كان عهد إلى ولده إسمعيل واستخلفه على عماله وأوصى إليه
بأمور أولاده وعياله وجمع وجوه حجابه وقواده على طاعته
ومبايعته والرضا بولايته وإيالته فلما طرق الناعي به تبادروا
إلى عقد البيعة له وإمضاء الوصية فيه واستقر إسمعيل
بعد قضاء المأتم على سرير الإمارة وأمر بفض الختوم عن
بدر الخزانة وصب الأموال حتى أرضى الرجال وأما فخر
الدولة فإن عسكر الديلم اجتمعوا على ولده الأمير
مجد الدولة أبي طالب رستم بن أبي علي ففوضوا الأمر
إليه وحفظوا نظام الملك عليه ولقبه السلطان بمجد
الدولة وكهف الملة وسيأتي بيان حال كل واحد منهم
في موضعه على الأثر وأنشدني أبو منصور الثعالبي لنفسه
في عجائب هذه السنة وتبدل أحوالها وتفاني أمرائها قصيدة

ألم تر مذ عامان أملاك عصرنا … يصيح بهم للموت والقتل صائح
فنوح بن منصور طوته يد الردى … على حسرات ضمنتها الجوانح
ويا بوس منصور وفي يوم سرخس … تمزق عنه ملكه وهو طامح
وفرق عنه الشمل بالسمل فاغتدى … أسيرا ضريرا تنتحيه الجوائح
وصاحب مصر قد مضى لسبيله … ووالي الجبال غدلته الصفائح
وصاحب جرجانية في ندامه … ترصده طرف من الحين طامح
تساقوا كؤوس الراح ثم تشاربوا … كؤوس المنايا والدماء سوافح
وخوارزم شاه شاه وجه نعيمه … وعن له يوم من النحس كالح
وكان علا في الأرض يخبطها أبو … علي إلى أن طوحته المطاوح
فعارضه ناب من الشر أعصل … وعن له طير من الشؤم بارح
وصاحب بست ذلك الضيغم الذي … براثنه للمشرقين مفاتح
أناخ به من صدمة الدهر كلكل … فلم يغن عنه والمقدر سانح
خيول كأمثال السيول سوابح … فيول كأمثال الجبال سوارح
جيوش إذا أربت على عدد الحصى … يغص بها قيعانها والصحاصح
ودارت على صمصام دولة بويه … دوائر سوء بلهن فوادح

وقد جاز والي الجوزجان قناطر الحيوة … فوافته المنايا الطوائح
وفايق المجبوب قد حث عمره … ففاظ ولم يندبه في الأرض نائح
مضوا في مدى عامين واختطفتهم … عقاب إذا طارت تخر الجوارح
وكان بنو سامان أطواد عزة … فأضحت لصرف الدهر وهي أباطح
أما لكم فيهم عبرة مستفادة … بلى إن نهج الاعتبار لواضح
تسل عن الدنيا ولا تخطبنها … ولا تخطبن قتالة من يناكح
فليس يفي مرجوها بمخوفها … ومكروهها إما تدبرت راجح
لقد قال فيها الواصفون فأكثروا … وعندي لها وصف لعمري صالح
سلاف قصاراها ذعاف ومركب … شهي إذا استلذذته فهو جامح
وشخص جميل يؤنس الناس حسنه … ولكن له أسرار سوء قبائح

ولما أفضى أمر الإمارة إلى الأمير أبي الحارث منصور بن نوح وهو
في حدثة البلوغ ويفع الشباب وعند مشتغل الحركة ومستنبح
النجابة ومستوضح الأصالة والإصابة أقام أبا المظفر محمد بن
إبراهيم وزيرا وفوض الملك إلى فايق كفالة وتدبيرا وكان
عبد الله بن عزيز اتقى شوكة الأمير سيف الدولة عند قصده
إلى بخارا بالإصعاد إلى الأعالي فلما انقرضت حيوة الرضي
أطمع أبا منصور محمد بن الحسين الإسبيجابي في صحابة
الجيش بخراسان وحمله على الانحدار به إلى بخارا مستعينا
بايلك الخان على نيل الأرب المنشود وإصابة الغرض المقصود
فنهض ايلك بمصاحبتهما وسار إلى باب سمرقند بهما حتى إذا
أناخ بمرج على ظاهرها أتاه أبو منصور في خف من غلمانه
زائرا فاحتبسه بعلة الطعام وأصحابه بين التخييم والاستجمام
فأمر به وبابن عزيز فشدا في حلق الوثاق وقرنا في قرن الاعتقال
وأرسل إلى فايق فلما أتاه أجله ورفع محله وخف عن مكانه
إجلالا وضم إليه ثلاثة آلاف رجل وأمره بالمسير إلى بخارا
على مقدمته فسار على ما رسمه له فلما بلغ أبا الحارث خبر
إقدامه أزيح عليه وجه الصواب ومر عليه رجل الغراب و
العجلة وطاعة الخبر عن التدبير فبادر إلى العبور بمن معه من
صغير وكبير ودخل فايق بخارا فبادر إلى التراب ولثم خد
الأرض وجلس مجلس الحجاب وأظهر القلق والالتياع لإخلال

الى الحرث بدار عزه وشرفه ومقر الماضين من سلفه وجشم
مشايخ بخارا اليه في مسألته تقديم الاياب وتعجيل الانقلاب
فوثق اذ ذاك به وامر بالكتاب اليه في احماده على طاعته وتقريبه
وكان مفتتح ما خوطب به من جعل المخالصة ولبك الله زماما
يمده والمناصحة اماما يهديه ويرشده فمسعود حيث وقفته
هذه ومحمود تصرفه حيث صرفته تلك وارتاح ابو الحارث
للانصراف جبن امن جانب الخلاف ومير قبل صريمة الراي
بكتوزون وهو الموسوم بالحجبة الكبيرة على بابه الى نيسابور على قيادة
الجيوش ولقبه بسنان الدولة ثم عبر النهر عائدا وراءه فتلقاه
فايق مقيما رسم العبودة ومؤديا فرض الطاعة المحمودة و
انكفأ به الى بخارا فاستقام له الامر وحمد ذلك الحجر وقد
كان بين فايق وبكتوزون سخيمة واحنة في صدر كل واحد
منهما قديمة فاستحلفه ابو الحارث على الاغماض له فيها و
الاغضاء عنها والعفو عما جرى في مدة منها اثباتا لاقدامهما
في الطاعة واستجماعا لاهوائهما في المتابعة فاظهر الانقياد وحلف

فايق

واستقرت امور السامانية على بكتوزون فجبى اموال خراسان
لابي الحارث من غير منازع ولا مدافع الى ان طارت النعرة في
راسه فارتقى من قصد سلطانه وولي نعمته الى ما عرض به
الملك للهلك والدولة للعولة واترك الدهر بعار لا يرحض
عنه وضر لا يذهب عن وجهه قتره

ذكر ما جرى بين الامير سيف الدولة والامير اسمعيل اخيه بعد انتصابه في الامارة منصب ابيه

ولما اخترم الامير سبكتكين واستقر الامر على اسمعيل طمح اهل
العسكر الى مال البيعة فامر به فاطلق لهم استحقاقهم المغتن استصلاحا
لذات البين ثم احس القوم خورا في عوده ورخاوة في عنان
تدبيره لحداثة سنه وطراءة شبابه ولاشفاقه على نفسه من
جانب اخيه وقصده وانتزاعه الامر من يده فاستوطأوا
مركب الطمع واستسهلوا جانب التحكم وتحزبوا للمطالبة بزيادات
على الراتب لهم حتى استغرق ذلك ما خلفه الامير سبكتكين وخلت

الخزانة عما يسع الاستظهار به فاضطر اسمعيل الى ان يفزع
فيما ينوبه آنفا من مؤن اطماعهم الى العدة التي كانت
مذخورة له بغزنة فلو بقوا على جملتهم في التسحب عليه لاسرع
تمزق شمل الاموال وتفرق جمع الاولياء والرجال فلما ورد
على الامير سيف الدولة نعي ابيه وقضى ايام المصيبة فيه
بادر بالكتاب الى اخيه اسمعيل في التعزية على عارض الرزية
واتبعه بابي الحسين الجموي في اذكاره بحق الكبر وما يجب له
بحكم الزعامة على اهل البيت وتعريفه انه منه بمنزلة العين
الباصرة او اعز واليد الباطشة او امر وانه سيبلغ في امره
كل ما يرضاه ويهواه ويتعلق به مناه وان الامير سبكتكين انما
افرده بالوصية لانجال المنية اياه عن وضعها منه موضع
الاستحقاق للضرورة العارضة من بعد المسافة وتقاذف
الشقة وان الراي فيما يهزه له من توفيته حكم الرياسة ومشاطرة
الارث من ذخاير الامارة وافراده بغزنة التي هي وكر عشيرته
وجامته ومعشش خاصته وعامته على ان يحفظ عليه مكانه

من بلخ

من بلخ وما يليها او ينقله الى نيسابور على ما كان يدبره من اعمالها ونواحيها
فاستشعر اسمعيل ما كتب الله عليه من النكبة في ايامه حتى كانه يراه
رأي العين ويدرس عليه كتاب البرهان فلم يذعن الا على الاباء
والالتواء وتعريض تلك الاموال للالتواء وتوسط والي الجوزجان
ابو الحارث الفريغوني بينهما على ان يسكن نايرة الخلاف ويقف
بهما على نقطة العدل والانصاف واراد كلا منهما على التلاقي
قبله ليشافه كل منهما اخاه بما يقترحه من مراد ويستقدحه
من زناد اذ كانت لوجوه المشافهة حرمة يعز مثلها على ظهر
البعاد وفي حال التحيز والانفراد فاما الامير سيف الدولة
فانه راى ذلك صوابا واوجب من نفسه اسعافا واما اسمعيل
فانه ند عن الاجابة ولحظ الامر بعين الاسترابة وراى التسحب
بما يقترح عليه من مال الارث وان كان فادحا كله اهون
عليه من ذلك مراما وايسر احتمالا والتزاما ذعرا تمكن من
نفسه ورعبا سرى في صميم قلبه وخيفة سالت به في اودية
الظنون ونفرته عن ضم القوادم للسكون وانشدته ذات

يوم ابياتا لسيف الدولة في اخيه ناصر الدولة الحمداني معرضا بالالفة
التي هي أوطا مهادا وأخصب مرتعا ومرادا وهي

رضيت لك العليا وقد كنت اهلها ... وقلت لهم بيني وبين اخي فرق
ولم يك بي عنها نكول وانما ... تجافيت عن حقي فتم لك الحق
ولا بد لي من أن اكون مصليا ... اذا كنت ارضى ان يكون لك السبق

فرجعت عن مقاصدها من ذرعه وطاشت سهامها دون الغرض
لها من سمعه وتعلل الامير سيف الدولة بتدبير ما عراه لاستحبابه
الرفق على الخرق وإيثاره الرفو على الخرق وميله للمداراة على الملاحاة
والمواتاة على المناواة واختياره البر على الجفاء وادخاره الكي لآخر
الدواء حتى اذا غار نجم الموادعة ودق جلباب الحشمة استعد لاتيان
الامر من بابه ورد المنتزع منه الى نصابه وخاطب الامير ابا الحارث
بما عن له من المهم الذي لا يسعه غير تلافيه وتل كنانة الوسع و
الطاقة فيه وسار في خواص غلمانه ورجاله وقواده المندوبين
لاتباع مثاله الى هراة واستأنف بها اسمعيل بين وعد ووعيد
وتمنية وتهديد وترجيح بين الياس والامل وتنبيه على موقف

الندامة والخجل فلم يغن ذلك عنه فتيلا ولم ينقض من قوى عقده
سحيلا وتراجعت المكاتبات بينهما حتى جد مزاح الكلام واشتد
لفح الخصام وأعيى فصل الامر إلا بحد الحسام ودعا الامير
سيف الدولة عمه بغراجق الى مساعدته ومرافقته
واتباع مصلحة البيت بمتابعته فتسارع الى طاعته واقر
بالحق عليه في مشايعته واتباع رايته وخف معه الى بست
وبها الامير ابو المظفر نصر بن ناصر الدين سبكتكين فصادف
الامير سيف الدولة منه وليا مطيعا ومصغيا الى الانقياد
سريعا هوى منه لم يرض بزمامه وخطامه ومحبة لم
يذلل باسراج والجام فتبرع بالانقياد وتسرع الى المراد
وجرى في حلبة الطاعة طلق الجواد ولما سمع اسمعيل برحيل
الامير سيف الدولة على جانب غزنة سبقه اليها من جانب
بلخ متجردا للممانعة محتشدا للمقارعة والمدافعة وسار
الامير سيف الدولة في عمه واخيه وسائر اوليائه ومواليه
حتى اناخ بظاهر غزنة وقد تطاير اليه من قبل كتب الاعيان

من قواد اسمعيل في ممالاته عليه لما عرفوه من وهي أمره في
الرياسة وضعف يده عن حق السياسة وتردد السفراء بينهما
في الاستصلاح وكف مادية الكفاح فأبى الله الا ما كان
مقدورا وجعل الحق مشهورا والمحق منصورا وانتدب الامير
سيف الدولة للحرب يعبي المواكب ويرتب الجيوش كواكب
ودلف الى القتال في رجال كالرماح او كالنهال القماح
يهشون للقراع هشاشة الاطفال للرضاع ويرتاحون
للكفاح ارتياح الهيم للماء القراح

سفع الدروع وجوههم فكأنهم ... وأبوهم سام ابو حام
تخذوا الحديد من الحديد معاقلا ... سكانها الارواح والاجسام
آساد موت مخدرات ما لها ... الا الصوارم والقنا آجام

وبرز اسمعيل بمن شايعه من مواليه وتابعه من رجال ابيه وقد
حصن الصفوف بفيلته العظام كانها اركان يذبل او هضاب شمام
ودنا الفريقان بعض من بعض ضربا بالسيوف البواتك وطعنا
بالرماح الفواتك ودقا للهام من تحت الترائك وظلت رحا الحرب

تفركهم بثفالها وتدور عليهم باثقالها الى ان رمت الشمس بجمرات
الظهيرة وقد لاذ بالامان من سبق وعده وطلع بالاقبال
سعده وعندها حمل الامير سيف الدولة بنفسه فتداعت
الزحوف وتخالطت الصفوف وخطبت على منابر الرقاب
السيوف وثارت عجاجة اخذت العيون عن الاشباح واذهلت
النفوس عن الارواح ونثرت الاعناق بايدي الصفاح
واقعصت الكماة من وقع السلاح وظلت سنابك الخيول تردي
على جثث القتلى وتلعب باكر الرؤوس

تجري الجياد من القتلى على جبل ... ومن دمائهم يدحضن في وحل
ومن جماجمهم يصعدن في نشز ... ومن ذوائبهم يقمصن في شكل

فلم ينشب ان اسفرقتا منها عن مساقط ابدان تحت ابدان واجسام
فوق هام وهام الآخرون على وجوههم يمسحون طول الارض خوفا
من حر العقاب ومر الحساب وانحاز اسمعيل الى قلعة غزنة
متحصنا بها في العاجل من مس الطلب الى ان تلطف له الامير سيف
الدولة فاستنزله على امان وحسن ضمان وجاوزه بمعروف واحسان



ذكر ما جرى بين ابى القسم السيمجورى وبكتوزون بعد ذلك

وقد كان ابو القسم بن سيمجور انتقل الى جرجان بعد انقراض
فخر الدولة على طاعة ولى مجد الدولة فضوى اليه من
شذ عنه من عسكر اخيه وموالى ابيه واتصل به طوايف من
ابطال الاعراب والاكراد فاشتدت بهم مناكبه
واحتدت انيابه ومخالبه وكانت الحسيكة التى تنطوى
عليها فايق لبكتوزون ترمده بالحبايل وترميه باغوال
الغوايل فارسل الى ابى القسم يحرشه عليه ويغريه به ويعده
ما يليه من قيادة الجيوش متى اجلاه عن مكانه وجلاه فى معرض
العجز على سلطانه حتى اجهضه عن جرجان تاركا للعين بالعيان
وعارضا للملك على خطر القمار فكان مثله كما قيل

وانى وتركى ندى الاكرمين وقدحى بكفى زندا شحاحا
كتاركة بيضها بالعراء وملبسة بيض اخرى جناحا

ففصل عنها قاصدا قصد نيسابور فى جماهير اصحابه ممن ضرستهم
وقايع الحروب ونجدتهم قوارع الخطوب وكوتهم صروف الايام
بمياسمها ووداستهم احداث الليالى بمناسمها وافرط ابا على بن
ابى القسم المعروف بالفقيه على مقدمته الى الاسفراين وبها
بعض قواد بكتوزون فالتقيا هناك على حومة الحرب وتساقيا
كؤوس الطعن والضرب وتدارك الامداد على ابى على للقرب
للخلى بينه وبين صاحبه فجفل عنه اصحاب بكتوزون منهزمين
الى نيسابور وقد اقتسموا بين جرح وكسر وقتل واسر وسار
ابو القسم سير السحاب يحثه ريح الجنوب حتى اناخ بظاهر
نيسابور مستطيلا بشوكة رجاله وشكة ابطاله فارسل اليه
بكتوزون يعلمه ان الحروب سجال وجنس الظن بعواقبها ضلال
وانه قرع باب البغى تعرضا للبلاء واستيذانا على سوء القضاء
وانما يصبر على الكفاح من لم يجد وجها على الصلح والصلاح فاما
من كان فى فسحة من الراى ونُدحة من الاختيار فانه ينفس
بنفسه عن التغرير بها فى مباشرة القتال ومساورة الابطال

ومغامسة الاهوال وان الراى له ان يعدل الى قهستان
ليتنجز له من الامير ابى الحارث ولاية هراة مجازاة لحق
خدمته وقدمته وسابق حرماته واذمته فضربه ابو القسم باذن
مستكة عن الانتصاح منسدة عن الصلاح وحمله الادلال
بجاله ورجاله على التحكم والتسحب والتمنع والتعقب
واهاب بعسكره الى الحرب فاصطبحوا على مساقاة الطعان
والضراب ومعاناة الحرب ببيض الصفاح وزرق الحراب
ذاهلين عن مصرع الغرور واثقين بمطلع النجح والظفر
وعبا بكتوزون رجاله الفتاك واشباله الاتراك فى ساير
من اظلتهم رايته من قواد الامير ابى الحارث وانصاره و
المعتصمين بذمة شعاره فالتقوا قبالة قرية تدعى لشجة
بظاهر نيسابور واجتلى ابو القسم منهم رجوما ونجوما ولاقت
بكار تمج الحقاق قروما واشتبكت الحرب بينهم نفحا بالمناصل
وضربا بالغوامل ووخزا باطراف العوامل واشتغل اصحاب
ابى القسم فيهم كالنار فى دقاق العرفج او يبيس العرفج ضربا

هبرا وطعنا نترا ورميا سعرا وطرحوا ميمنتهم على ميسرتهم طردا
ودحرا وقهرا وقسرا حتى اذا ظنوا ان قوادم الهزيمة قد افرجت
لهم عن خوافى الغنيمة مكر بكتوزون قلب ابى القسم بجملة ازلقتهم
عن المقام واعجلتهم للانهزام فانصاعوا مخذولين مفلولين يقودهم
الخجل ويسوقهم الخوف والوجل وقبض فى منهزميهم على على بن ابى
القسم الفقيه وهو احد اركان ابى على بن ايامه بمشهود رايه
ودهائه ومذكور غنائه ومضائه وعلى عدة من قواده ووجوه
سواده وفر ابو القسم فى شذاذ عسكره هائما على وجهه حتى
امتد به الوجيف الى قهستان وذلك فى ربيع الاخر سنة ثمانين
وثلثمائة وكتب بكتوزون الى بخارا بذكر الفتح وما يسره الله من
عسير النجح فسر الجمهور وانثلج الصدور ما خلا فايقا فانه اغتم
واهتم وكاد ان يعقد الماتم للمأتم وسار ابو القسم بعد ارتياشه
وانتعاشه الى بوشنج متحكما فى اعمالها واموالها وناهضه بكتوزون
لانتزاعها من يده وتوسط السفراء بينهم على وصلة انعقدت
بينها ورهنه ابو القسم ابنه المعروف بابى سهل فارتفع من بينهما

الخلاف وحصل الاتفاق والايتلاف وعاد ابو القسم الى
قهستان وكر بكتوزون الى نيسابور في رجب هذه السنة وجرت
بين فايق وابي المظفر محمد بن ابرهيم البرغشي ملاحاة في تدبير
الاعمال والاموال فاذ مدّ لها بالسوء وقصده بالمكروه
من اكثر الوجوه فلاذ بابي الحارث من قصده واستأمنه على
نفسه فآواه داره وادرّ عليه مباره واتاه فايق يسأله
تسليمه منه وايثاره عليه فجبهه بالرد واغلظ له في القول
فخرج من مجلسه على حدّ منكب يتحدث بالانقطاع الى الترك
والاخلال بكفاية الملك حتى سفر بينهما مشايخ بخارا فعنفّوا
فايقا عن رايه واستماحوا الامير ابا الحارث حسن عفوه واغضائه
وسيّر ابو المظفر الى ناحية الجوزجان وسدّ مكانه بابي القسم البرمكي فصدقت
فيه فراسة المعروف بالمضراب البوسنجي حيث يقول
وكنا زمانا نذم الزمان ونزري الوزارة بالبلعمي
فاخّرنا العمر حتى انتهت من البلعمي الى البرغشي
وسوف نؤول على ما اراه منه قريبا الى البرمكي

وكان ابو القسم هذا موسوما بالفضل الا ان اغلب الصفات
عليه صفة البخل وحين ولي الوزارة ناقش اولياء ذلك الباب
في اعطياتهم الواجبة وجراياتهم الراتبة وعارض اطماعهم في خاصّتهم
بزند شحاح ووجه على الرد وقاح فلم تزعه الآداب بين الاتراك
تهشم قذاله وترضّ عظامه واوصاله ولقد احسن من قال
يقول لدعبل في ثوبه خبل ولو ترى ثيابي دعبلا خبلا
لا والذي سبكا لعينهاء من ذهب والكأس ياقوتة ما سادمن بخلا
واستنزل الامير سيف الدولة اخاه اسمعيل من قلعة غزنة
على امان بذله وضمان اجمله وتسلم منه مفاتيح الخزائن واحاط
بزوايا الاعلاق والدفاين وجبر له كسر حاله واعاد اليه ذوي
ثاته وجماله وشحن غزنة بثقاته والكفاة من حماته وانحدر
الى بلخ في عامة اوليائه وانصاره وقد انتظم له ما انتشر بعد ابيه و
استقر عليه ما سعى في تلافيه فغصّت شعاب بلخ وضواحيها بطبقات
رجاله وعلامات الاعلام من اقياله وكتب الى الامير ابي الحارث
بذكر اقباله وحذفه فضل الشغل كان باخيه عن باله وانه قائم

مقام ابيه في المحاماة على الدولة والنضال عن الجملة والاقبال على حقوق
ما يعرفه من بركة اصطناع الرضي واصطفائه وتقديمه على عماء
جيشه واوليائه فارسل ابو الحسن العلوي الهمذاني في تهنيته
بمقدمه واظهار تيمّنه بموطئ قدمه وعقد له على بلخ والترمذ
وما والاهما وديار بست وهراة وما تاخمها ودانا هما وتلطّف في
الاعتذار اليه من امر نيسابور حرصا على ترضيته وكراهة لصرف
بكتوزون الى بعله تقتضيه فعلم الامير سيف الدولة ان تلك
المناقشة صادرة عن تمويه الحسّاد وتلبيس المناوين والاضداد
وان داء الحقد ليس له علاج وان علاة النجح بغير فاتحة البر
خداج فارسل الى الامير ابي الحارث ثقته ابا الحسين الحموي بهدايا
تضن بمثلها شحّ النفوس وتضيق عن قدرها رحب الصدور
ورسم له ان يحجب سمعه عن تضريب المضرّبين وتريب المتربّين
ويتلطف لاستخلاص سرّه له واستصفاء محلّه قبله ليرتفع الحشمة
وتتاكّد العصمة ويستحكم الثقة ويعرّفه بان تحيّمه بعرصات
خراسان انما هو من اجل موالاته وحراسة اقطاره ولاياته فلما ورد

بخارا اعرض عما وجّه فيه وعرضت الوزارة عليه لموافقة مورده
خلوّ صدرها عمن يستقل بامرها فكان مثله كما قيل
خلت الديار فسدت غير مسوّد ومن الشقاء تفرّدي بالسودد
فاشتغل بالوزارة عن السفارة واقبل على الامر بوجه الجد المستبد
يريد سكر ما انبثق عليه النهر وكتمان ما نمّ عليه الجهد
ولن يصلح العطار ما افسد الدهر وانشدني المضراب لنفسه فيه
وكنا نذم الدهر من غير حنكة بيوسفه والبلعمي وغيره
الى ان رمانا بالغفاري بعدهم وجاذنا في عبدة وعزيره
وما قدرها با ابن عيسى وجوره وفي ابن ابي زيد السفيه وسيره
فلم يرض المقدور فيهم فانما بجلّ كسير في الورى وعويره
فلما احسّ الامير سيف الدولة بصورة الحال في تناقض الآراء وتخاذل
التدابير والاهواء واشراف الملك على الضياع بمداهنة النصحاء
واغتنامهم صلاح انفسهم في وجوه المقاصد والانحاء عدل الى نيسابور
على ما كان يليه من جماهير اوليائه ومواليه وحين سمع بكتوزون
باقباله تزحزح عن نيسابور قصيا ابقاء على عدّته وعتاده واشفاقا



فى مَدْرِه ومُضاعفةً لِثقل المحنة على ظهره فعل الموتور بما لا
شوي له ولا بقيا معه وعمد هو وفايق الى اخيه عبد الملك
بن نوح وهو اصغر منه سنا واضعف ركنا فاقاماه مقامه وسدا
به مكانه وماج الناس بعضهم فى بعض بفتنة الشاغرة والاحوال
المتنافرة ونذر الناس الامير سيف الدولة انه يخيم بقنطرة
زاغول فكر واعلى ادراجهم كاليعافير الراعية راعتها الفوارس
واحاطت بها الكلاب النواحس حتى اخذوا اقرانهم بمرو وال
الامير سيف الدولة الى الكافلين لتدبير نحن اليهما ما ارتكباه
فى ولى النعمة من اذالة الحشمة واضاعة الحق والحرمة غير
ناظرين للدين ولا متحرجين للاسلام والمسلمين ولا متهيبين
للاحدوثة الشنعاء على السنة الذاكرين مدى دهر الداهرين
وامتدت المراجعة بينهم فى الحادث الكارث وهما يحاولانه عن
انتهاز الفرصة فيها واهتبال الغرة منها تطميعا له عن صاحبها
فى جديد الرعاية ومزيد الولاية وكلاهما بالاحجام على وجه
الاحترام طالبته سعادة الجد بالاقدام وحرضته على

الانتقام للدين والاسلام ثم راى ان يزحف عن مناخه الى ظاهر
مرو ليكون لطافة الصلح وجاها او سفاهة السيف شفاها ولما
تسامع القوم باقباله دب الفشل فى تضاعيف احشائهم وسرى
الوهل فى تفاريق اعضائهم واستطار الخوف فى مزاج دمائهم
ولما سقط فى ايديهم وراوا انهم قد ضلوا قالوا لئن لم يرحمنا
ربنا ويغفر لنا لنكونن من الخاسرين فابى الله الا ان ينتقم
منهم بسيف سيف الدولة جزاء عن فعلهم الفظيع وخطبهم
الشنيع وسعيهم المذموم عند الجميع فصبه عليهم صب
القطر الى الغيث بنوء المرزمين غيابة غيث قطره عيث وغيم
حشوه ضيم وسحاب حمله عذاب وكذلك اخذ ربك اذا
اخذ القرى وهى ظالمة ان اخذه اليم شديد وبرز فايق
وبكتوزون وابو القسم بن سيمجور بملو احهم عبد الملك بن
نوح وساير اهل العسكر الى ظاهر مرو مقابلين لعسكر الامير
سيف الدولة يعلنان جلادا ويسران بلادا ويقدمان
طاهر العيون ويحجمان خيفة للحرب الزبون قد ضاقت عليهم



الارض بما رحبت فجيوب الاقطار عليهم مزرورة وذيول الحذر
عليهم مجرورة وبوارح الادبار وجوائح الدمار من كل اوب
اليهم محشورة وظل القوم على علم بانهم يدمرون على الدمار
ويتهافتون تهافت الفراش فى النار ويقتلون الانصار
بسيوف الانصار كما قال الله تعالى يخربون بيوتهم بايديهم
وايدي المؤمنين فاعتبروا يا اولى الابصار وتردد السفراء
بينهم وبين الامير سيف الدولة فى مواضعته على سلم يسلمون
معها فى العاجل من شدة باسه ويفتدون بها من مرارة كاسه
فاحسن الامير سيف الدولة اجابتهم الى مواضعتهم على علمه
باستبطانها الختل والحيلة واستشعارهما للغدر والخديعة
الزاما للحجة وطمسا على الشبهة واعذارا الى الكافة وبراءة
من خطة البغي فى دفع المكافة فما كان الا ان قوضت للرحيل
خيامه ونشرت للقفول اعلامه حتى ثاروا اوباش القوم على اثره
لانتهاب عسكره يظنون بانفسهم الظنون وانما يتحلون
المنون ويدوسون اذناب الاراقم لو كانوا يشعرون

وما

ولما رأى الامير سيف الدولة ركوبهم مقطعة الضلالة واقتحامهم
مسبعة الاجال معلقين خيوط الرقاب بالحرص الغالب والطمع
اللاذب لا يثنيهم حلماؤهم عن التسفه والتخبط ولا يحجبهم
كبراؤهم عن التهور والتورط علم ان ذلك امر يراد وداء خلطه
البغي والعناد وايقن ان سرهم بالفساد مغمور وان السفيه
اذا امر يته مامور وامر بالثائرين فجاش اليهم من حواشي
الجيوش من طبقوهم بالهض والدض واضجعوهم الامن شاء
الله على صعيد من الارض واستخار الله وحده فى الكر على
بغاة السوء بجاكما اياهم فى البيض القواطع ومذليا بينات
الرماح الشوارع ومستجلا على الانتصاف منهم بشهادات
النسور والخوامع واقبل فرتب الجيوش قلبا كثهلان وميمنة
كرضوى وميسرة كابان وحصن المصاف بزهاء ما ئتين من
فيلته كرعن الجبال او ذلل السحاب الثقال مغشاة بتجافيف
لم يعور منها غير حدق النواظر وجلائد الانياب الفواقر
يهول سائسها عليها بمرهفات كالبروق الخواطف وصفارات

كالرعود القواصف وقد نشرت عليها التماثيل السود كانها
الاساود والاسود تخيل اضطراب الرياح فيها انها تزحف
للالتهام او تنقض للاختطاف الهام وتمايلت عليها اطراف
العوامل فكانها آجام السواحل تاويها شياطين الانس فرسانا
وعفاريت الترك والهند مردا وشبانا تبص عليهم سابغات
داود كصفائح الماء يجلوها الشمس سافرة وتزهاها الشمال
سائرة قد جعلوا الدروع وقاية للاجسام فظاهروا عليها
بالقلوب حرصا على الانتقام ثم يانسون بمباشرة القتال
ومناوبة الاهوال واستنارة المنايا عن رابض الآجال انس
العيون بانا سيها الباصرة والقلوب باماينها الحاضرة ووقف
الامير سيف الدولة فى القلب بنفسه واخويه نصر واسمعيل
ابنى ناصر الدين سبكتكين وعمه بغراجق فكانما عناه ابو فراس
علونا دوشنا باشد منه واثبت عند مشتجر الرماح
بجيش جاش بالفرسان حتى ظننت البر بحرا من سلاح
والسنة من العذبات حمر تخاطبنا بافواه الرياح

اروع

وازوج جيشه لبل بهيم وغرته عمود للصباح
صفوح عند قدرته ولكن قليل الصفح ما بين الصفاح
فكان ثباته للقلب قلبا وهيبته جناحا للجناح
وزحف بهم نحو الخصوم على هبة وافرة وهيبة حاضرة فكادت
الارض تمور والجبال تثور والنهار الباهر يحول والفلك الدائر يزل
او يزول ونذر القوم باقدامه واقبال الويته واعلامه فقامت
عليهم القيامة واستقامت فيهم الحسرة والندامة واقبل بعضهم
على بعض يتلاومون علما بما ارتكبوه من الامر الامر واجتلبوه
من الصيلم الاد وحفزهم حافز الضرورة عن المشورة ففزعوا
الى الاحتشاد وبعثوا بالركوب الى القواد والافراد وبرزوا من
جدران المدينة فى افواف واصباغ يوم الزينة وهم الكرما
كانوا قط فى معركة لحشرهم من اطراف خراسان وما وراء النهر
كل فارس وراجل وحامل عضب او عاسل سوى من استبقتهم
تلك الدولة من كل فحل بازل وبطل باسل وشجاع مقاتل و
اقاموا الصفوف على الموازاة قلبا كمجتمع الليل وميمنة كمندفع



السيل وميسرة مشحونة بأشاهب الخيل وماج الفريقان بعضهم
في بعض كالجراد المنتشر تزايل الرؤوس عن العواتق وتباين الزنود
عن المرافق وطعنا يهتك ودائع الصدور ويرد مشارع الغموم
والسرور وتستقل بصيب سواكب الابصار ويطلب وراء الفقار
مضجع القرار واشتدت الحرب حتى تقلصت الشفاه وتغضنت
الجباه وتقطعت الانفاس وتحسرت الفرسان والافراس
واغبرت الآفاق واحمرت الحماليق والاحداق وخاض
الامير سيف الدولة غمرة الحرب يجتذب بالاوهاق مطالع
الاعناق ويختطف بالارماح ودائع الارواح ويفض بالاسياف
مجامع الاكتاف حتى رويت الارض من زلال الحلوق وغرقت
الجوامي في نواعر العروق ودامت على حالها في الاحتدام والاصطلام
والافتراس بانياب الحمام من حين استقلت الشمس اكليلا
على الجبل الى ان نفضت ورسا على الاصيل فاضطرب القوم فجة
من جز المناصل وضيقا بوخز العوالي والعوامل وتداعوا
الحملة تكشف عنهم غمة القتال بفيصل الادبار والاقبال

فطرحوا الميمنة على الميسرة وهم يظنون وراء ذلك ظنونا ويخطبون
من بنات الاماني ابكارا وعونا وابى الله الا ان يعكس عليهم ما ظنوه
ويحيق بهم وبال ما سنوه حين دبوا من ولي النعمة ما ركبوه
اخفارا لذمته وانكارا لحرمته واذالة لحشمته واضاعة لحق
نعمته والهم الامير سيف الدولة ان يزحف اليهم بسواد
موقفه فلم تكن الا صدمة واحدة حتى زلت الاقدام عن مقارها
وتهاوت الرقاب عن مزاردها وجعلت تساقط اشخاص الالوية
والمطارد وتبرد النفوس عن ضرب السيوف البوارد واستترت
الهزيمة بالظلمة عند اعتكار الظلام فطاروا اين الاقطار
كل مطار وسفت بهم سافية الدمار والادبار فلم يلتق منهم
بعدها اثنان عند تنازل الاقران وتناوب الضراب والطعان
ذلك ذكرى للذاكرين وكذلك يفعل الله بالظالمين وجفل عبد
الملك بن نوح الى بخارا ومعه فايق في اتباعه وانتبذ بكتوزون
الى نيسابور في اشياعه وابو القسم بن سيمجور الى قهستان وقد
صاروا احزاب مزق وعادوا اشتات بدد واصبح سيف

الدولة قد انجز الله له وعده ونصر جنده واسعد على رغم الاعادي
جده واعلى يده واورى زنده وساق اليه هدي الملك على غير
مهر سوى الشكر ولا صداق سوى الاستحقاق وورث دولة
آل سامان وملك ديار خراسان سنة تسع وثمانين وثلثمائة ورأى
ان يعجل بكتوزون وابا القسم السيمجوري عن التجمع ثانيا والتحدث
بالالتقاء آنفا فانحدر الى طوس في البحر الاخضر من رجاله
وافياله وطار بكتوزون بجناح الهرب الى حدود جرجان
وقفى سيف الدولة اثره بارسلان الجاذب فجعل يطرده طرد
الشهب اشخاص العفاريت حتى نفاه من تخوم جرجان وولاه السلطان
سيف الدولة ناحية طوس ورتبه فيمن ضمه اليه من قواده وسار
الى هراة مطالعا لاعمالها ومجددا للعهد باحوالها فلم ينشب بكتوزون
حين سمع بانثناء عنانه اليها ان كر الى نيسابور فملكها ثانيا يرى انه
يناضل عن دولة تدرجت حمامها وانقضت ايامها وناحت عليها اصداؤها
وهامها فلم يزد الى ان جشم السلطان كلفة الكر عليه قبل ان اطمأنت
به قعدته او جفت على طرفه لبدته فجفل بكتوزون عن نيسابور على

سمت

سمت ابيورد وشد السلطان عليه الطلب فركب المفازة الى مرو منقبا
بالوجاء على الحيوة ومستظهرا بالنجاء على النجاة وخلص الى مرو
فيمن اعانتهم فراهة المراكب وقوة الصبر على وعثاء تلك المهارب
ورام ان يتملكها ويتحجز بها فمانعه اهلها موالاة للسلطان وشكرا
لما وسعهم من العدل والاحسان فشن عليهم غارة شعواء وخبطهم
بالسيوف خبط عشواء وركب مفازة آموية حتى عبر النهر الى
بخارا ولما خلت خراسان من بكتوزون واصحابه سرب السلطان
ارسلان الجاذب والي طوس الى قهستان لنفضها عن ابي القسم
بن سيمجور اذ كان يظن الظنون في تدبيره ويطمع في الانتياش
عن تخسيره فواقعه بها وطرده الى نواحي طبس عنها وولى السلطان
اخاه الامير نصر بن ناصر الدين سبكتكين قيادة الجيوش بخراسان
ودسته نيسابور على ما كان يليه آل سيمجور على قديم الزمان وامتد
الى بلخ مستقر ابيه ناصر الدين فاتخذها حضرة الملك ودار
السلام ولما انتهى السلطان الى بعض حدود مرو الروذ عند
منصرفه اليها ركب على رسم التصيد في خف من العدد ومعه



أخوه اسمعيل بن ناصر الدين وقائد من قواد أبيه يعرف
بنوشتكين كاج وقد وتره إحباسه مال أمره على يده
لا غير إذ كان كأحد رفقائه في الإثبات والإطلاق و
الإحسان والإرفاق فبينا السلطان في حزة الامتناص إذ
جانت منه التفاتة فإذا به قابضا على قبيعة سيفه يروم
انتضاءه وقد دمي وجه أخيه اسمعيل بطرفه يطلب إيماءه
ولاح للسلطان إنكار اسمعيل عليه بدلائل رمزه وإيماضه
وشواهد ارتياعه وامتعاضه أن استشارته إياه فيما خاه
قد فرشت له بساط التهمة وجرحت منه جارحة الثقة وبادر
السلطان إلى مغفر به وقد أمر بالاحتياط عليه في وقته وحكم
فيه خواص غلمانه فأخذته السيوف حتى تطايرت أعضاؤه و
تناثرت عليه أوصاله وأجزاؤه ثم دعا باسمعيل فأدلى بعذره
وجحد العلم بما أبداه الخائن الجائن من خائنة سره وغدره
وجرت مفاوضات ومراسلات اقتضاه آخرها أن يستوثق
منه لنفسه وملكه إذ كان لا يلتقي سيفان في ولا يجتمع فحلان

في شول

في شول وبلغني أن السلطان بعد استنزاله إياه من القلعة
بغزنة بسط منه في بعض مجالس أنسه وباحثه بلسان
الاستدراج عند حث السقاة عما كان وراء عزمه من
معاملته إياه أن لو تمكن من أمره ما ملكه هو منه فحملته
سلامة صدره ونشوة خمره على أن قال كان رأيي فيك أن
أوعز بك إلى بعض القلاع موسعا عليك فيما تقترحه من دار
وغلمة وجوار ورزق على قدر الكفاية دار فلما أدت بالسلطان
عند الحادثة به عاملة بعين ما نواه وقابله بجنس ما أبداه
واستودعه والي الجوزجان أبا الحارث ممكنا مما يشتهيه
ممتعا بمثل ما كان ينويه فيه فلله هذا الفعال الذي طرز
ديباجة الكرم وغبر في وجه مساعي ملوك الأمم وقد
يستغرب هذا الإسجاح من وجه وإن كان لا يستبدع
من آخر لأن هناك عاطفة القربى والرحم ولكن الشأن
في الأجانب الذين تغلق رقابهم الأجرام الفادحة و
الجنايات الفاحشة كيف يسلط فيهم رأيه على هواه ويستبقي

الجاني بما جناه فلم يسمع بأعف منه في الجنايات سيفا
ولا أحسن على فورة الزلات صبرا واحتج لهذه الخصلة
الفاضلة بأن الملك الحازم من يسلب الجاني في حال سخطه
ما يمكنه الوفاء بعينه أو بمثله عند رضاه وجرح المال يؤسى
بالتعويض والإخلاف فأما النفوس فليس لإتلافها من تلاف

ذكر الخلع التي أفاضها القادر بالله أمير المؤمنين على السلطان

أوجب القادر بالله أمير المؤمنين خلعا لم يسمع بمثلها محمولة
من دار الخلافة ولقبه في كتابه بيمين الدولة وأمين الملة
ولي أمير المؤمنين لقبا كان مصونا في صدف الشرف لم تنله
قط أيدي الغاصة على كثرة الطلاب وتنافس الملوك في
الألقاب فتبوأ سرير الملك واجتاب خلعة المجد وأذاع
شعار الطاعة لأمير المؤمنين وخليفة رسول رب العالمين
وقام بين يديه أمراء خراسان سماطين مقيمين رسم الخدمة
وملتزمين حكم الهيبة وأجلسهم بعد الإذن العام على مجلس

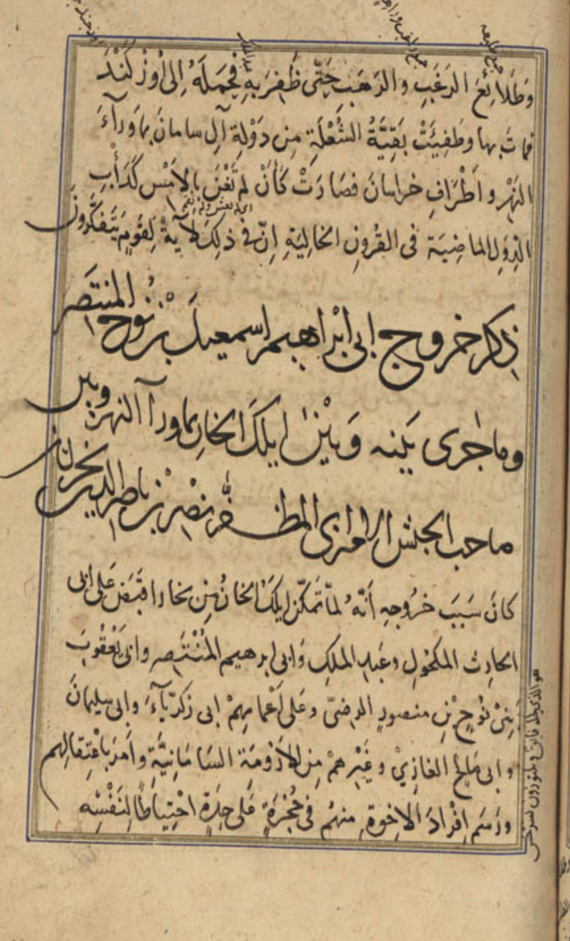
الأنس

الأنس وأمر لكل منهم ولسائر غلمانه وخاصته ووجوه أوليائه
وحاشيته سحابة يومه من روائع الخلع والصلات ونفائس
الأجبية والكرامات بما لم يتسع بمثله ملك ملك ولم يف
ببعضه ضمير أمير واستجابت خراسان لأمره وفرعت
منابرها بذكره واتسقت الأمور عن آخرها في كنف إيالته
واستوسقت الأعمال في ضمن كفالته وفرض على نفسه
في كل عام غزوة بالهند ينصر بها الدين ويقمع أعداء الله
الملحدين فكتب الله له أجره وأحسن نصره لذلك قال الله تعالى
في محكم كتابه يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم و
يثبت أقدامكم

ذكر انصراف عبد الملك بن نوح إلى بخارا

ولما وصل عبد الملك بن نوح إلى بخارا في الفل ومعه فائق وتلاحق
به بكتوزون في أصحابه وأولياء عبد الملك في مضامته طمعوا أنفا
في الاستقلال وتكهنوا لأنفسهم بطالع الإقبال وتحدثوا
بالاحتشاد لأنف القتال واخترم من بينهم فائق في شعبان

سنة تسع وثمانين وثلثمائة وهو وجه الرزمة وطراز الجملة
وعمدة الجملة والملقب بعميد الدولة فتمكن الانخزال
في مذودهم وسري الانحلال في امورهم وانجذ ايلك
الخان الى باب بخارا يظهر لعبد الملك وسائر اجناده وانجاده
موالاة خادع واحتيال وممالاة استدراج واغتيال وهم
يظنون استظهارا به على ما عراهم واحتياطا لما يستدعيهم
مغرورين عن واجب الاستبصار والاحتراس عن حبائل
الاوتار حتى انسهم بلطائف بره واقباله واطمعهم بزخارف
اقواله وافعاله وركب اليه بكتوزون وابن التلكين الفائق وسائر
قواد عبد الملك صباح يوم فلما اطمان بهم المجلس امر باعتقالهم
والقبض على اصحابهم ودوابهم واستلاب اسلحتهم واسبابهم
فلم ينج منهم الا الفارد الشارد والنادر المبادر وبلغ الخبر عبد
الملك فوجد عدته قليلة وقوته مستحيلة فلم يجد غير الاستخفاء
حيلة ودخل ايلك بخارا يوم الثلاثاء العاشر من ذي القعدة سنة
تسع وثمانين وثلثمائة ونزل دار الامارة وبث عليه عيون الطلب



وطلائع الرغب والرهب حتى ظفر به فحمله الى اوزكند
فمات بها وطفئت بقية الشعلة من دولة آل سامان بما وراء
النهر واطراف خراسان فصارت كأن لم تغن بالامس كدأب
الدول الماضية في القرون الخالية ان في ذلك لآية لقوم يتفكرون

ذكر خروج ابي ابراهيم اسمعيل بن نوح المنتصر وما جرى بينه وبين ايلك الخان بما وراء النهر وبين صاحب الجيش الامير ابي المظفر نصر بن ناصر الدين بخراسان

كان سبب خروجه انه لما تمكن ايلك الخان من بخارا وقبض على ابي
الحارث المكحول وعبد الملك وابي ابرهيم المنتصر وابي يعقوب
بني نوح بن منصور الرضي وعلى اعمامهم ابي زكرياء وابي سليمان
وابي صالح الغازي وغيرهم من الارومة السامانية وامر باعتقالهم
واسم افراد الاخوة منهم في حجرة على حدة احتياطا لنفسه

تفريق ذات بينهم عن تمكينهم من اقتضاب الحيل واختلاق
الاراجيف وارتقاب الفرص واحتال المنتصر ابو ابرهيم
للتملص من معتقله في زي جارية كانت تتناوبهم لمطالعة احوالهم
ومراعاة اوقات اقواتهم فكانت حاله في الخلاص من موافقة
لحال الكميت حين استشعر ثياب طلته وانسل عن غمد
الاعتقال بمهجته ثم انشا يقول

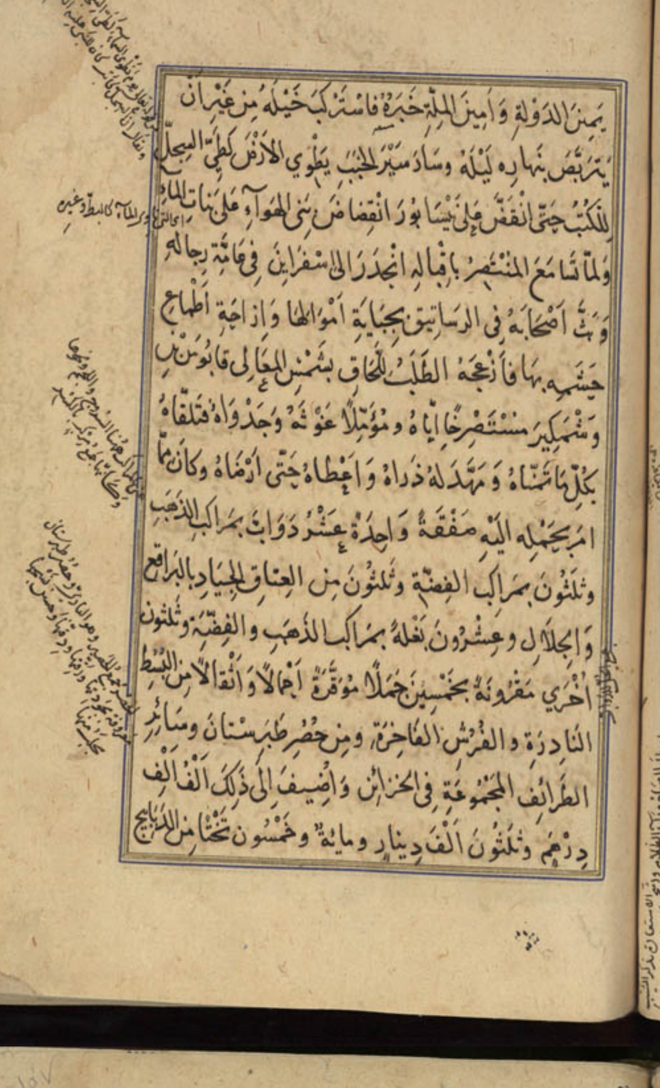
خرجت خروج القدح قدح ابن مقبل على الرغم من تلك النوابح والمشلي
على ثياب الغانيات وتحتها صريمة راي اشبهت سلة النصل

واستخفى المنتصر بعد خلاصه عند عجوز من اهل بخارا الى ان
يئس منه الطلب ثم سار الى خوارزم كالحسام القاضب بل
الشهاب الثاقب متجردا للانتصار مستعينا بالله تعالى
على درك الثار وتلاحق به من ند وعار وانجد وغار من بقايا
القواد السامانية واجنادها في اطراف خراسان حتى اجتمع
شمله وكثف خيله ورجله وركض ارسلان بالو الحاجب
الى بخارا فبيت الحامية بها تحت الملاحف والنمارق وشغلهم

بحقائق السيوف البوارق عن مجاز الاحلام الطوارق وقبض
على جعفر تكين وعلى سبعة عشر نفسا من اعيان القواد الخانية
وحملهم في وثاق الاسر الى الجرجانية وافلت الباقون بجريعة
الاذقان نحو ايلك الخان فركب ارسلان بالو اكتافهم يحثهم
حث الشمال قزع الخريف وطردهم الى سمرقند وما يليها
مقتفيا آثارهم وكاسعا ادبارهم وواقفه بعنطر توهك
تكين خان في عسكر جرار نائبا عن ايلك الخان في حراسة
سمرقند وما يليها فانتدب لمناجزته واستعان بالفل
وسائر اصحابه على منازلته فنصب ارسلان له وجها وقلبا
واضرم عليه الارض كفاحا فولاه ظهر الادبار واتقاه
بعوذة الفرار وغنم ارسلان ومن معه اموالهم وزموا
بتلك الانفال اجوالهم وعاد ابو ابرهيم المنتصر عند ذلك
الى بخارا فاستبشر اهلها بمعاده على مراده وبلغ ايلك
خبره فجمع اجاييش الترك وصمد صمده في العدد الدثر
فكر ارسلان بالو راجعا الى المنتصر واقتضاه الاحتياط

عند ذلك العنود الى ابل السلط فواها وجباها فضاقت به
وبعسكره فركب المفازة على سمت ابيورد فملكها وسار عنها
قاصدا قصد نيسابور وبها صاحب الجيش نصر بن ناصر الدين
والتقيا على فضاء بين نغاخي وبشبجة قريتين على اربع فراسخ
من نيسابور وذلك يوم الاربعاء لليلتين بقيتا من شهر ربيع
الاول سنة احدى وتسعين وثلثمائة ودارت عليهم رحا الحرب
يفصلون بالبيض البوارق ما بين الطلى والعواتق ويضربون
مفارق الهام ضرب القدار نقيعة القدام ولما اشتدت
وطأة الحرب على محجها ودرت كأسها على شربها وتكاثفت
جموع ابي ابرهيم المنتصر على اصحاب صاحب الجيش ابي المظفر
اقتضاهم الاحتياط ان تحيزوا الى جانب هراة انتظارا
للمدد واستشرافا لمأمول صنع الله في الغد فحثوا ظهور
الخيل بين ذيول الليل حتى شابت عليهم لمته بين حدود
البوزجان وتمكن المنتصر من نيسابور وانضم اليه من
شذاذ العسكر الجمع الكثير والجم الغفير وبلغ السلطان

يمين



يمين الدولة وامين الملة خبره فاستركب خيله من غزنان
يتربص بنهاره ليله وسار سير الجنب يطوي الارض كطي السجل
للكتب حتى انقض على نيسابور انقضاض بنى الهواء على بنات الماء
ولما تسامع المنتصر باقباله انحدر الى اسفراين في عامة رجاله
وبث اصحابه في الرساتيق بجباية اموالها وازاحة اطماع
حشمه بها فازعجه الطلب للحاق بشمس المعالي قابوس بن
وشمكير مستصرخا اياه ومؤملا غوثه وجدواه فتلقاه
بكل ما تمناه ومهد له ذراه واعطاه حتى ارضاه وكان مما
امر بحمله اليه مفقة واحدة عشر دواب بمراكب الذهب
وثلثون بمراكب الفضة وثلثون من العتاق الجياد بالبراقع
والجلال وعشرون بغلة بمراكب الذهب والفضة وثلثون
اخرى مقرونة بخمسين جملا موقرة اجمالا واثقالا من البسط
النادرة والفرش الفاخرة ومن خصر طبرستان وسائر
الطرائف المجموعة في الخزائن واضيف الى ذلك الف الف
درهم وثلثون الف دينار ومائة وخمسون تختا من الديابيج

التسترية والسقلاطونيات العضدية والحلل الفخرية
والخزوز الطاقية وسائر الثياب المصرية وامر لاهل عسكره
بعشرينيات تهم معونة لهم على عوارض حاجاتهم واشار على المنتصر
بقصد الري اذ كانت معرضة لقصادها بتخاذل اهوائها
وتواكل اوليائها واشتجار الفتن والاحن بين الرائدين عن
فنائها على ان يملك بولديه دارا ومنوجهر في جيوش
الجيل والديلم ووجوه الاكراد والعرب ليستظهر باستخلاص
تلك الولاية وليكون ما ينوبه من معاودة خراسان عن ظهر
الكفاية فقبل الاشارة وقدم الاستخارة وسار حتى خيم
بظاهر الري فاحتس اهلها منه بامه الدبيق على اربق وقاءت
الري افلاذ كبدها فانا خو اقبالة المنتصر ودس الكفلاء بتلك
الدولة الى ارسلان بالو وابي القسم بن سيمجور وغيرهما من
اولياء المنتصر من اطمعهم في مال يحمل اليهم سرا على ان يثنوا
عنهم عنان المنتصر بوجه من وجوه اللطائف والحيل فانخدعوا
لتسويلهم وطمعوا في تأميلهم وشجعوا المنتصر بان قدر ملك

من

يمن بجلة ملوك الشرق على جلالة اقدارهم ونفاسة

في جباية الاموال ومطالبة من ظفر من العمال واستنهض صاحب
الجيش السلطان يمين الدولة وامين الملة مرسم للحاجب الكبير
التونتاش الى هراة البدار اليه في معظم الجنود من شجعان



التسترية والسقلاطونيات العضدية والحلل الفخرية

اولياء المنتصر من اطمعهم فى مال يحمل اليهم سرا على ان يثنوا
عنهم عنان المنتصر بوجه من وجوه اللطائف والحيل فانخدعوا
لتسويلهم وطمعوا فى تأميلهم وشغبوا على المنتصر بان قدّر منك

بمن يجلّه ملوك الشرق على جلالة اقدارهم ونفاسة
اخطارهم ليجلّ عن مساواة قوم يدعون فهمك قرابة ويفترضون
لك طاعة ومهابة موالاة لمن يجرّ النار الى قرصه بالتعويل عليك
ومغزاه ان يحترش الافعى بيديك فله الغنم ان قدرت وعليك
الغرم ان عجزت فلفتوا المنتصر عن رايه وزيّنوا له المكث
بخراسان من ورائه فارتحل من باب الري يريد دامغان وانفرد
ولدا شمس المعالى عنه عائدين الى جرجان فخنس نجم ذلك التدبير
وانحلّ عقد ذلك التقدير واذا اراد الله بقوم سوءا فلا
مردّ له وما لهم من دونه من وال واشتدّ المنتصر طلقا الى
نيسابور وبها صاحب الجيش ابو المظفر فاشفق من زلة القدم
كالتي حدثت قبل فاحتاط بالانحياز الى بوزجان ودخل المنتصر
نيسابور فى اواخر شوال سنة احدى وتسعين وثلثمائة وبث عماله
فى جباية الاموال ومطالبة من ظفر من العمال واستمدّ صاحب
الجيش السلطان يمين الدولة وامين الملة فرسم للحاجب الكبير
التونتاش الى هراة البدار اليه فى معظم الجنود من شجعان



الترك وسرعان الهنود حتى إذا استظهر بذوي الغناء في
حرم الهيجاء كرّ عائداً إلى نيسابور وتلقاهم المنتصر بأرسلان
بالو وأبي نصر بن محمود وأبي القسم بن سيمجور فالتقوا
على حرب تحطمت فيها الصفاح المشهورة وتقصدت الرماح
المطرورة وعريت عندها الكواكب المستورة ثم شاعت الهزيمة
في السامانية فولّوا على أدبارهم نفوراً وكان أمر الله قدراً
مقدوراً ودخل صاحب الجيش أبو المظفر نصر بن ناصر الدين نيسابور
وقد زيّنت له كالهدي على زوجها الكفي وأقيمت له النثارات
كأنها أوى النجوم الثائرة وتهادي الثلوج المتطائرة وركب
المنتصر سمت أبيورد والطلب على أثره حتى وصل إلى جرجان
ولما تسامع الأمير شمس المعالي قابوس بن وشمكير بنبأه
أنماه بزهاء ألفين من أنجاد الأكراد فألجأوه إلى الارتحال
وآيسوه من طلب الجاه فكرّ على أدراجه تائها في الغي وأما
نزل الرأي بظاهر الري وقد كان المنتصر يحقد على أرسلان
بالو لتسحبه عليه واشتطاطه في المطالب بين يديه ومنازعته

الرأي

الرأي فيما يحوزه ومراجعته القول في كل ما يفوه به فوه و
وانضاف إلى ذلك اتهامه إياه بالتخاذل في الحرب التي انهزم
فيها عن وجه صاحب الجيش أبي المظفر لنفاسته على أبي القسم
السيمجوري مكانته من اختصاصه وإيثاره وغيرته على
الشركة الواقعة به في محله ومقداره فحمله ما احتشاه من حر
الكرم على التشفي بإراقة دمه والاسترواح إلى انتهاك حرمه
ففتك به فتكة أنست فتكات الإسلام وسقت نفسه من
الداء العقام وتجمع أهل عسكره لإنكار ما فعل وأنى لهم وقد
سبق السيف العذل وقام أبو القسم بن سيمجور مصانعاً
لهم عن المنتصر بلسان المعتذر حتى خمد التهابهم وسكن
هيجهم واضطرابهم وتوازروا بينهم على قصد سرخس للاستظهار
بزعيم أهلها المعروف كان أبو ع بالفقيه إذ كان قد رغب
المنتصر في إرفاده وإنجاده وإيثاره بعدّته وعتاده فركبوا
المسافة إليها على طريق أبيورد حتى وردوها وجبوا أموالها
وارتاشوا بما سمح لهم الزعيم بها وحين علم صاحب الجيش نصر

باجتماعهم على مضغ الأباطيل بينهم دلف إليهم في سراة الكماة
لطردهم عن شريعة الطمع وإزعاجهم عن حضانة الأمل
ووصل السير بالسرى حتى أشرف على سرخس في الهيئة
المنشورة والهيبة الموفورة وبرز المنتصر إلى ظاهرها
فخيّم بإزائه واستعدّ للقائه وتجاثيا للقتال فاستك
سمع الهواء من قرع الحديد بالحديد وارويت صدور
المواضي من موارد الوريد وبلغ كل من الفريقين غاية
الإمكان في منازلة الأقران ومناوشة الضراب والطعان
محاجسة عن خيوط الرقاب وتفاديا من سوء الذكر على
تناسخ الأحقاب غير أن قضاء الله أغلب وأمره أنفذ وله
الحكم في تبديل الأبدال وتصريف الأحوال ونقل الأملاك
من وال إلى وال وهبّت لصاحب الجيش أبي المظفر قبول الإقبال
فتمزق مصف المنتصر عن هزمى عوابس الوجوه وجرحى
بأنياب المكروه ولم ينشب صاحب الجيش أن أناخ بعض العرب
بأبي القسم علي بن محمد ... فلاذ من الوهق على بقية من

الرمق

الرمق وأردف بتوزتاش الحاجب وكان بزاء المنتصر حلة ما
بين العين والحاجب وانضمت حبالة الأسر على معظم ذلك العسكر
فحملوا إلى غزنة في الأصفاد مقرنين وسار المنتصر سنة المطر
لا يدري وزراً غير اعتساف المسالك وارتكاب المهالك على جملة
لا يتميز فيها المملوك من المالك وقفل صاحب الجيش أبو المظفر
وقد أعلى الله كعبه ودفع قدره وأطعمه نصره وأطاب بين الخافقين
ذكره وأنشدني أبو منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي
لنفسه فيه يذكر ما أتيح له في هذا الفتح الرائع منظره الشائع
في الآفاق خبره

تجلت الأيام عن غرة الدهر وحلّت بأهل البغي قاصمة الظهر
وولى بنو الإدبار أدبارهم وقد تحكم فيهم صاحب الجيش بالقهر
وقد جاء نصر الله والفتح مقبلاً إلى الملك المنصور سيدنا نصر
غياث الورى شمس الزمان وبدره ومن هو بالعلياء أولى أولى
فيا لك من فتح غدا زينة العلى وواسطة الدنيا وفائدة العصر
أبى الله إلا نصر نصر ورفعه على قمة العيوق أو هامة البدر



وملكه مذ ذا السرير كأنه لنا فلك بالخير أو ضده يجري
وخوله دون الملوك محاسنا تبر على الشمس المنيرة والقطر
إذا ذكرت فاح الندي بذكرها كما فاح أذكى الند في وهج الجمر
فتى السن كهل الحلم والرأي والحجى يعم بني الآمال بالنائل الغمر
له همة لما تسنمت علوها حسبت الثريا في الثرى أبدا تسري
غدا راعيا للمسلمين وناصرا له الله راع قد تكفل بالنصر
ألا أيها الملك الذي ترك العدى عباديد بين القتل والكسر والأسر
قدمت قدوم الغيث أيمن مقدم فجليت وجه الدهر بالحسن
ألست ترى كتب الربيع ورسله يقولون هذاك الربيع على الإثر
نسيم نسيب للحياة بلطفه يجر فويق الأرض أردية العطر
وترب بأنفاس الربيع معنبر فيا لك من طيب ويا لك من نشر
وغيم يحاكي راحتيك كأنه على المسك والكافور يهطل بالخمر
فروح بشرب الراح روحك إنها لفي تعب من وقعة البيض والسمر
ودم لاقتناء الملك في أكمل المنى وفي أرفع العليا وفي أطول العمر
وأنشدني أبو سعد بن دوست لنفسه فيه

للأمير المظفر العالم العادل فينا أبي المظفر نصر
كرم في شجاعة وسخاء في وفاء ودولة مع نصر
ومعال لو رامها بختنصر يوم فخر أعيت على بختنصر
فبه نقطع الخطوب ونفري وبه ندفع الكروب ونفري
وانبسط الكف بالمنتصر إلى محال الأتراك الخزرية وهم صغو إلى
الدولة السامانية فأخذتهم المذمة من خذلانه وحركتهم
الحمية لعونه على شأنه وتذاكروا بينهم شرف آل سامان وما
تعرفوه قديما من بركات ذلك البيت القديم والكرم العميم
وسار مصعدا حتى لحق بايلك الخان وذلك في شوال سنة ثلاث
وتسعين وثلاث مائة وعندها زلف ايلك للانتصار من المنتصر
في جيوش الترك يستعر في طلب الثار استعار النار حتى أناخ
بحدود سمرقند وتبادر الخزرية بأقدامه وتوامروا بينهم
على بياته فتجمعوا للركض عليه فحثوا الخيل تحت الليل حثا
كاد لا تنتقش الأرض بوطئ أقدامها ولا تشعر النجوم بانتحاص
ألويتها وأعلامها حتى أوقعوا به وانتهبوا جل سواده وقبضوا

على جلة قواده وانقلبوا بما غنموه إلى أوطانهم عند حصول البغية
فاستأثروا على المنتصر بالأسرى طمعا في الفدية ثم بلغ المنتصر
تنازعهم الأمر بينهم في موالاتهم ايلك عليه وإفراجهم عن الأسرى
تقربا إليه فرابه ذلك من أمرهم ريبة لم تأخذه الأرض معها
بقرار ولم تكتحل عينه بغرار فاختار من جريدته قرابة سبع
مائة رجل ركبانا ورجالا خفافا وثقالا وطاف على المعابر
فإذا النهر جامد وآمل الشط في البعد أمد ففرشوا النهر
بأتبان الأرز حتى أمكنهم العبور وتبعه الطلب فمنعهم خطر
المعبر من قصد المنتصر وأرسل هو عند مرانه بآمل رسولا
إلى السلطان يمين الدولة وأمين الملة يذكره بحقوق سلفه
عليه واستداد الأمر في إقبال العداة إليه وأنه لم يجب
ترتيبه فيه طاعة له وإخلاصا في هواه وأظهر الانقطاع إلى
كنف قبوله وإشباله والافتقار إلى معونته بماله ورجاله
وامتد من آمل الشط إلى سواد مرو احتراسا من معرة الترك
في العبور على الأطواف والفلك وأرسل إلى أبي جعفر المعروف

بخواهرزادة وكان أبوه رجلا من جملة الرعاع رفعه الزمان في
دولة آل سامان يستميحه المعونة بما يفضل عن سعة يد ومن
مال وسلاح فرد الرسول على غير وجه الحرية والارتياح بحكم
الإنسانية ولم يرض بالرد حتى خرج إليه مقاتلا وبالجفاء مقابلا
فحمل أصحاب المنتصر عليه حملة فرقت جمعه جملة وتدلى مسافة
أبيورد حتى وافاها في شهور سنة أربع وتسعين وثلاث مائة وأوجب
السلطان إكرام رسوله وتحقيق مأموله ووصله بصدر من المال
يجبر خلته وخاطب ابن خواهرزادة بخدمته وتقمص مرضاته وترك
الانحراف عن مراده فانطرح الأمر إلى طاعته حين شاعت سبة
التحمل عليه واستطارت شادخة اللوم بخديه وقد كان أبو نصر
نصر بن أحمد الحاجب لما تسامع بقدوم راية المنتصر مالأه على حاجبه
وأظهر الانقطاع إلى جانبه وأقام له الخطبة بنسا مظهرا طاعته و
مستنفدا في نصرته جهده واستطاعته ولما أحس أهل نسا برأي
أبي نصر في اتباع راية الخلاف أشفقوا على أنفسهم من عاقبة الاتهام
بموالاته والاشتراك في جناياته فكاتبوا خوارزمشاه مستمدين عليه



فانهض ابو الفضل الحاجب احد اعيان ذلك الباب الرفيع لازالة
شره وكفاية امره ومال ابن محمود الى المنتصر فتضافرت الحدة
وتوافرت العدة وصيد الى خبوشان من رستاق استوا وناهضهم
ابو الفضل في رجال خوارزمشاه فاتفق التقاؤهم في الحرب ليلا بمرأى
من النجوم السوابك حيث لا يدري الضارب مضروبه ولا يبصر الراكب
مركوبه واختلط الفارس بالراجل والنابل بالنابل وتصادموا مابين
التوي والمقاتل وتطاعنوا بسلكى ومخلوجة كرك لامين على نابل
وتصدع شمل الفريقين قبل ان نصلع الليل مباحه ونفض النجم على الغرب
وشاحه فلم يشعر احد بما جنته يد الظلام على كماة ذلك الجيش اللهام
حتى استشف ضوء النهار فاذا ابن محمود قتيل وابن حسام الدولة ابي
العباس تاش الى جنبه صريع وتفرق الباقون عباديد بين اقطار
المهامه والبيد ووقع المنتصر الى اسفراين فمانعه اهلها حذر
المحنة وخيفة الحرج والفتنة فانثنى على ادراجه في شرذمة من
اصحابه يقطع الارض طولا وعرضا حتى انتهى الى بعض حدود سرخس
فاقام هناك ريثما تلاحق به الفل وسار حتى عبر النهر من ساحل فطنان

وبرز شحنة بخارا في طلبه وسدوا عليه وجوه مهربه فركب عزيمة الرجال
في ثبات القوم وثبت بعضهم للبعض جلادا بالدبابيس والحراب والعماد
للسيوف في قراب الرقاب فجد المنتصر في الامر واشتد وتحاربوا
ولم يكد وصار القوم الى دبوسية من السغد مستنجدين من بها من
العمال وتفاريق الرجال ووقع المنتصر الى ثغر النور من بخارا وركض عليهم
منها ركضة اقتسمتهم بين اجتياح واجتناك واصطلام واجتثاث
ومالأه المعروف بابن علمدار رئيس الفتيان بسمرقند فاتاه في
ثلاثة آلاف رجل وتقرب اليه مشايخ اهلها بثلاثمائة غلام على
سبيل بر وخدمة وملؤوا اهله كرامات تضاهيها ونثارات تدل على
اخلاصهم فيها وتوافى اليه الغزية فاستعلت جذوته وتراجعت
قوته ولما سمع ايلك الخان باجتماع شوكته واشتداد وطأته زحف
اليه في اجلاس الذكور من ديارات الترك واشتبكت الحرب بينهم
بقرية بورنمد من حدود سمرقند حتى نفدت النبال وتكسرت
النصال وتحطمت السمر الطوال وخان الخان مقامه وانفض عنه
اقوامه فاستقفاه الغزية في طلاب الاسلاب حتى ردت اليهم بالسبايا

والنهاب والغنائم الرغائب وذلك في شعبان سنة اربع وتسعين وثلثمائة
وعاود الخان ارض الترك فضم النشر ونادي فحشر ثم كر على ثاره وبث
على المنتصر شرر ناره ووافق ايماله تراجع الغزية الى اوطانهم بما نهبوه
على عادتهم في كل ما غنموه واستأنف الحرب على فضاء بين قريتي درك
وخاوس من نواحي اسروشنة فاستأمن المعروف كان بابي الحسن بن طاق الى
الخانية في زهاء خمسة آلاف رجل من رفقائه عند اتقاد جمرة المصاع
واشتداد زفرات القراع فاضطر المنتصر الى الانهزام وحكم الخان
في اهل عسكره سيوف الانتقام حتى رويت الارض من دمائهم وشبعت
النسور من اشلائهم وسار المنتصر الى شط جيحون فعبر على الجمد لعدم
السفائن وخلو المعابر ومضى الى اندخود من ارض الجوزجان متحرسا
من ركضة الخان وامر باستياق الدواب الراعية بها وافتتاحها
بين اهل جملته وركب المفازة الى مظرو راغول ولما بلغ السلطان
يمين الدولة وامين الملة خبره اسرع الانحدار الى بلخ لاعجاله عن تفاقم
امره واستفحاله واتبعه بغرتغين بن محمد في اربعين قائدا من
قواده لطرد سواده وحصد فساده فاعجزهم المنتصر وسار الى

الجنابذ من قهستان مرورة اذ كانت جيوب الآفاق عليه مزرورة
فحيث ام شهرت عليه السيوف واني امّ احدقت به الحتوف وزلف
اليه صاحب الجيش ابو المظفر نصر بن ناصر الدين في طغانجق والى سرخس
وارسلان الجاذب والى طوس يحثون الظهور في الطلب وينسرون
علالتها بين الركض والخبب ففاتهم الى جومند ومنها الى بسطام ورماه
شمس المعالي قابوس بن وشمكير بزهاء الفين من الاكراد الشاهجانية
فازعجوه منها الى بيار راجعا بالكوم على من لقنه الانحدار ولما
ضاقت عليه المذاهب واحاطت به المعاطب بادر الى كورة نسا
بدار من لا يمكث بدار ولا يوطئ الارض جنب قرار وتلقاه ابن
سرخك الساماني بكتاب يزين له الانفتال اليه لمضامته على
ايلك الخان موادعة وموازاة ومطابقة للخان عليه وموافاة فنازعته
نفسه تقديم اجابته طمعا في وفائه وتأميلا لعونه على ذمائه
فركب الخطار وسار حتى اذا بلغ بئر جماد من مفازة امل سبقه خيله
الى الشط فوافق ذلك جمود جيحون فاغتنموا مفارقة خلاص مما
منوا به من مكابدة الاسفار وعدم الاستقرار ومثل سهر

الليل بدأب النهار وتشاوروا في العبور الى سليمان الحاجب و
ما في حاجبي ايلك الخان فعبروا اليهما وعرفوهما ان الساماني بالقرب
وان المحن قد طحطحته والحوادث قد طحنته فهو حلسة الطامع
ونهزة الطالب وطعمة الانياب والمخالب فلم يشعر ابو ابراهيم
المنتصر الا بالخيل مطلة عليهم فطاردهم ساعة ثم ولاهم ظهر
الفرار وقبض على اخويه وخاصتهما بوباط بشري وحملوا الى
اوزكند اسرى واحل المنتصر هربه حلة ابن بهيج الاعرابي من
جملة العرب السيارة في تلك المفازة ليقضي الله امرا كان مفعولا
وكان المعروف بابي عبد الله ماه روي بنداراً من جهة السلطان
يمين الدولة وامين الملة فيهم وقد اوماهم بالقعود له بكل منهل
واذكا العيون عليه عند كل مورد فلما لبس الليل جلدة الحبش وعرض
على النجوم جيش الحبش وثب اهل تلك الحلة على المنتصر جهلا وغباوة
وقساوة وشقاوة فاخفروا حق مقدمه واحلوا الارض حرام دمه
فكانما عناه ابو تمام حبيب بن اوس الطائي بقوله حيث يقول
فتى مات بين الطعن والضرب ميتة تقوم مقام النصر اذ فاته النصر

وما مات حتى مات مضرب سيفه من الضرب واعتلت عليه القنا السمر
فاثبت في مستنقع الموت رجله وقال لها من تحت اخمصك الحشر
غدا غدوة والحمد نسج رداءه فلم ينصرف الا واكفانه الاجر
مضى طاهر الاثواب لم يبق روضة غداة ثوى الا اشتهت انها قبر
عليك سلام الله وقفا فانني رايت الكريم الحر ليس له عمر
ثم نقل تابوته الى قرية ماي مرغ من رودبار زم ودفن بها في شهر
ربيع الاول سنة خمس وتسعين وثلثمائة وبلغ السلطان يمين
الدولة وامين الملة خبره فامر بالقبض على البنداد واذاقه
حر الانكار وشن الغارة على حلة ابن بهيج الاعرابي خاصة وعلى سائر
العرب السيارة عامة فصارت جمرة آل سامان رمادا تذروه
الرياح وكان الله على كل شيء مقتدرا

ذكر الامراء السامانية ومقادير ايامهم حسب نجم دولتهم الى ان ورثها السلطان يمين الدولة وامين الملة

كان ملك آل سامان بما وراء النهر وسائر بلاد خراسان بما ينضاف

اليها في الوقت بعد الوقت من كور سجستان وكرمان وجرجان
وطبرستان والري الى حدود اصبهان مائة سنة وستين وستة
اشهر وعشرة ايام فاولهم ابو ابراهيم اسمعيل بن احمد وهو
الذي قبض على عمرو بن الليث بناحية بلخ يوم الثلاثاء للنصف
من شهر ربيع الاخر سنة سبع وثمانين ومائتين وولي خراسان
ثمان سنة خمس وتسعين ومائتين منعوتا بالعدل والرافة
موسوما بطاعة الخلافة وقام بعده ابو نصر احمد بن اسمعيل
فملك ست سنين وثلثة اشهر وفتك به نفر من غلمانه بفربر ليلة
الخميس لسبع بقين من جمادي الاخرة وكان مقتديا بابيه في ايثار
النصفة واختيار الاحدوثة الحسنة اقتداء الابناء بالاباء في
اختيار افضل السنن واتباع احمد السير الى ان طوت الدنيا صحائف
ايامهم كعادتها في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا و
سد مسده الشهيد ابو الحسن نصر بن احمد فملك ثلثين سنة ورفع
النجاد قوي العماد وري الزناد زكي المراد وتلاه في ارث الملك
نوح بن نصر وهو الحميد فملك اثني عشر سنة وثلاثة اشهر

وسبعة ايام وتوفي ببخارا يوم الثلاثاء لاحدى عشرة ليلة بقيت
من شهر ربيع الاخر سنة ثلاث واربعين وثلثمائة وانتصب منصبه
عبد الملك بن نوح فملك سبع سنين وستة اشهر واحد عشر
يوما وعثرت به دابته فسقط الى الارض سقطة حمل منها
ميتا وذلك عشاء يوم الخميس لاحدى عشرة ليلة خلت من شوال
سنة خمس وستين وثلثمائة وولي امره نوح بن منصور احدى
وعشرين سنة وتسعة اشهر وتوفي يوم الجمعة ببخارا لثلث عشرة
ليلة خلت من رجب سنة سبع وثمانين وثلثمائة وملك بعده ابو
الحارث بن منصور بن نوح سنة وتسعة اشهر فاعتقله بكتوزون
بسرخس يوم الاربعاء لاثنتي عشرة ليلة بقيت من صفر سنة تسع
وثمانين وثلثمائة وبويع اخوه عبد الملك بن نوح فما استقرت قدمه
في الولاية حتى خرت على يد السلطان يمين الدولة وامين الملة دعائمه
وشالت نعامته فطار الى بخارا وقبض ايلك الخان عليه وانتزع ولايته
من يديه فكانت مدة امره ثمانية اشهر وسبعة عشر يوما ثم اخوه
المنتصر ابو ابراهيم اسمعيل بن نوح وذلك حدثان ما ولي السلطان

وخراسان وأقبل بعد ذلك جده يزداد في أسباب العلاء جدة وجده يتضاعف في رقاب الأعداء جدة فما يفتر له شهر الا عن ثغر مفتوح ومنبع ممنوح وذكر على هامات الأعواد مرفوع وباب إلى فضاء المنى والآمال مشروح

ذكر الاحوال التي جمعت الامير ناصر الدين سبكتكين وخلف بن احمد والي سجستان من خلاف مرة ووفاق اخرى وما جرى بعد ذلك من الطوائل التي ثنت عنان السلطان يمين الدولة وامين الملة وعطفت به الى انتزاع الملك عن يديه وما جرى خلال ذلك من وقائعه في الهند الى ان استتب له ما اراده في امره بعون الله ونصره

قد سبق في أول هذا الكتاب ذكر الأمير خلف بن أحمد فيما أداه السديد منصور بن نوح من ذده إلى بيته وإظهاره على خصمه إلى أن تهاوت نجوم الفتن بخراسان ففرغه اشتغال ولاتها بما دهاهم منها للاستجمام والاستدراع والاستظهار بما تخرجه له أرض سجستان من صنوف الارتفاع حتى اتسع نطاق همته

لطلب الفضول والزيادات ومنازعة القروم والسادات ولما تصدى ناصر الدين لمواقعة ملك الهند جيبال وترددت جدود الإسلام على ما نطق بشرحه صدر هذا الكتاب اغتنم خلف انتقاض بست عن الحفظة وخلوها عن الشحنة فأسرى إليها من أقام من شيعتها وانتقض عند رأيها وحرف كلمة الدعوة عنها أو عسر يده في أموالها فجباها وجمعها فأوعاها فلما أفلج الله سبكتكين على الكافر اللعين عطف العنان إلى بست متنعصا من غدره محتفظا من سوء حفاظه فاتقاه أصحاب خلف بن أحمد بظهور الفرار وأعقاب الادبار والصغار وهم سبكتكين لمناهضته واستخار الله في مناجزته فأرسل إليه خلف من يتأول عليه في ذلك البعث بمحافظته على حكم الموالاة في حفظ ولايته ويتضمن تصحيح ما صار في جبايته ويتبرع بزيادة تقوم مقام الأرش عن جنايته تفاديا عن ثقل وطأته على أعماله وتصونا عن عورة الافتضاح في قتاله فتغابى ناصر الدين عن سر غدره لفلائد الاقتداء والتقاء منه بذل

الاعتذار فكان مثله في ذلك كما قال أبو تمام ليس الغبي بسيد في قومه لكن سيد قومه المتغابي ثم طالبه بتصحيح المال حتى أداه وارتهن به بعض رماته وكانت الحال بينهما من بعد قائمة على جملة المسالمة إلى أن حدث من أمر أبي علي بن سيمجور في الجولة التي اتفقت له بباب نيسابور ما سبق شرحه فأظهر تقربا إلى ناصر الدين بمساعدته على خصمه ومرافدته بنفسه وسائر أهل جملته امتنانا عليه بظاهر المظاهرة وإضمارا للتشفي من أبي علي بمعونته الحاضرة وقهره الباهرة إذ كان أبو علي قد وترة بقصد حصاره وغزوه في جمهور داره واقتساره بسيوف أنصاره وصحبه إلى بوشنج في جمهور أشياعه وأتباعه ثم خلفه بها سبكتكين صيانة له عن كلفة السفر وإبقاء عليه من خطة الخطر وسار إلى طوس لمواقعة أبي علي وطلب الثأر المنيم عنده حتى إذا اطرده ونفض عن شغل تلك الحرب يده رد إلى خلف بن أحمد أصحابه مثقلين بالنعم الباهرة موشحين بالخلع الفاخرة تقدمهم المراكب والجنائب وتردفهم النجائب والرغائب فعادوا وأثنوا بالذي كان أهله

ولو سكتوا أثنت عليه الحقائب فصفت لذلك مشربة الحال بينهما عن قذى المواراة وتجلت عن غرض المداجة والمداجاة إلى أن عبر سبكتكين النهر إلى ما وراءه لمدافعته ايلك الخان عن ولاية الرضي بن نوح لمناصحة أو خرق المكافحة ثم اقتضته صورة الحال مسامحته ببعض تلك البلاد على أن يسلم له سائرها ويأمن من عيث العيث بادها وحاضرها وترامت إليه أثناء ذلك مكاتبة خلف بن أحمد ايلك الخان مرهفا من غربه ومغريا إياه بحربه طمعا في بست ونواحيها وغزنة وما يليها وانضافت إليه بلاغات وقوارص برقت له من جانبه في أمر أبي علي وإظهار الندامة على ما سبق من عونه عليه والإفصاح على رؤوس الأشهاد معرضا بأن اجتياح الملوك شؤم واستباحة البيوتات لؤم وضعف في الرأي معلوم فطار الغضب بناصر الدين كل مطار وحدثته نخوة الاقتدار بالبدار إلى سجستان لإطفاء الغليل وشفاء الداء الدخيل فثناه كاتبه أبو الفتح البستي عما نواه بالقول الرفيق والرأي المؤيد بالتوفيق ودس بما التلطف على ذلك الحريق وأداه أن بعض

البلاغات زور وان القائل كالقابل مأخوذ وموزور وان قلوب
الرجال وحوش نافرة وطيور في بحار الجو سابحة فلا يستمكن منها
الا باعمال الحيل في نصب الحبائل وتمكين الجوارح ورمي البنادق
وبث الحبوب والمطاعم ثم لا شيء ايسر من افلاتها من حبالة
القانص وارسالها من شرك الصائد كذلك القلوب لا تصطاد
الا باشراك الصنائع والعواطف ولا تنقاد الا بازمة الايادي
والعوارف ولا تستفاد الا بابتذال التوالد والطوارف ثم الكلمة
الجافية تهيج وادعها وتطير واقعها وتكدر عليها مشارعها وتلا عليه
قول الله تعالى يا ايها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا
ان تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين ثم فسرها
له حتى نزل عن ظهر مركب التعجيل الى ارض التمهيل وانشدني ابو الفتح
في شرح ما اداه بينه وبين سبكتكين لنفسه

اذا شئت ان تصطاد حب اخي لب وتملك منه حوزة القلب والخلب
فاشركه في الخير الذي قد رزقته وادخله بالاحسان في شرك الحب
الم تر طير الجو تهوي مسفة لحب كقطر من ذرى الجو منصب

كذلك لا يصطاد ذو الراي والحجى محبات حبات القلوب بلا حب

وكتب خلف بن احمد بعد ذلك متنصلا عما جرى اليه ومتبرئا مما
نقم منه فعفا ناصر الدين عما حاك في صدره من امره واغمض
له عما استباحه من قليب قلبه وغدير غدره وثبت باقي عمره
على مداراته وملاطفته الى ان اتاه اليقين من ربه فانتقل
الى جوار رحمته وعفوه وبلغ السلطان يمين الدولة وامين الملة
حله جنوح الزمانة باظهار الشماتة فاستنشد قول القائل

فقل للذي يبغي خلاف الذي مضى تجهز لاخرى مثلها فكأن قد

ثم اسرها في نفسه مترقبا لميقات الفرصة في الايقاع
به والاشتفاء منه الى ان ورث ملك خراسان نقي الاطراف
عن غبرات الخلاف سليم الآفاق عن عثرات الشقاق وقد
كان خلف بن احمد عند قيام السلطان باستصفاء المملكة
قد بعث ابنه طاهرا الى قهستان فملكها ثم عن منها الى بوشنج
فاستولى عليها وكانت هراة وبوشنج برسم بغراجق اخي سبكتكين
فلما وضع الله عن السلطان اوزار تلك الملاحم اتاه عمه يستأذنه

في طرد المتغلب عن ولايته وفل ما اخذ من حد نكايته فاذن له
فيه وسار حتى اذا شارف بوشنج تلقاه طاهر بن خلف بمن
والاه من العديد تحت الحديد فتناوشا الحرب قدا للهام من
خطوط المفارق وقطا للاجسام من خصور المناطق واستفاء
للارواح باشبية الرماح واختلاء للرؤوس بسيوف كسيوف
الدؤس ثم حمل بعضهم على بعض فذهبت الميامن بالمياسر
والمياسر بالميامن وانفل طاهر من بين يديه هزيما واتبعه
بغراجق يحث منه طلبا وقد كان قبل ان شمر للحرب اصاب
كؤوسا يستيقظ بها اعين الطعن والضرب فتعاور عليه نادل
من كاس وناس حتى غفل بها عن وثيقة التحزم وذهل معها
عن بصيرة التحفظ والتحرز فغرر بنفسه في اتباع خصمه
اغترارا بحبال السكر فلم يشعر الا بابن خلف قد كر عليه بضربة
اقعصته قتيلا ونزل للوقت اليه من قطف علاوة لخدعيه
واقتسمت الهزيمة كلا الفريقين فلم يعرف الغالب من المغلوب
ولا السالب من المسلوب خلا ان خلف فانه قفى اثار فله

بمن دخم الى بجله وورد الناعي على السلطان فناله من الغم بفقد
العم ما نال الوالد لعدم واحده والولد لافتقاد صنو والده و
استدل بما اتفق لابن خلف على احداق الشقاء به وبابيه و
اطباق البلاء عليه وعلى من يليه وحدث ان البقرة تبحث عن المدية
بروقيها والنملة تنفض عليها نبات جناحيها ولو عقل الفراش لما عشا
ما عاش الى ضوء نار ولا تهافت في مصرع بوار

اسادت الفرس في اخبارها مثلا وللاعاجم في اياتها مثل
قالوا اذا جمل حانت منيته اطاف بالبئر حتى يهلك الجمل

وزحف السلطان في شهور سنة تسعين وثلثمائة الى خلف بن احمد
وهو متحجر بحصار اصبهبذ قلعة بينها وبين مجرى النجوم قاب
قوسين بل قيد شبرين تحور عن مراماتها الابصار وتحار دون
مساماتها الاطيار فحاصره بها ممنوعا عن فسحة الاختيار ممنوا
بشدة الاضطرار مفجوعا براحة القرار ولذة الغرار حتى نخب
الروع روعه وودع الروح زوجه فاستشعر الخضوع والطاعة
واظهر الخشوع والضراعة وسأل سؤال المستكين ان ينفس من



خناقه ويهبي من حبل ازهاقه على ان يفتدي بمائة الف دينار
وما يليق بها من خدمة ونثار وتحف ومبار فاجابه السلطان
الى ما استدعاه ووكل به من اقتضاه المال حتى استوفاه وغادره
كما هو في اسار الحصار وخناق الوثاق ذي نفسه فقصد سجستان
لكنه احب ان يجعل غزوة في الهند مقدمة لما توخاه وصدقه
بين يدي نجواه تبركا بما يجري على يده من ازالة راية الدين
واتساع ساحة اليقين واثارة كلمة الصدق واغارة قوة الحق
فتوغل بلاد الهند متوكلا على الله الذي هداه بنوره وقضى له
بالعز في مقدوره وبالنجح في تصاريف اموره حتى انتهى الى مدينة
برشور فخيم بظاهرها وبلغه اجتراء عدو الله جيبال ملك الهند
على لقائه واستعجاله الفناء بمجاورة فنائه فاستعرض الخيول
من ابناء جريدته وسائر الغزاة والمطوعة في جملته واختار
للجهاد خمسة عشر الف عنان من فحول الرجال وقروم
الابطال وحظر ان يختلط بهم من رذالة الاختيار وهجرجه
الانتقاد حتى اذا خلص عددهم على الانتخاب واحتلاهم

بجنان الضراغم او اسود الغاب دلف بهم الى قتال الهجين
اللعين بقلوب كالهضاب ثابتة وفروع صبر على دوح الاخلاص
نابتة واقبل الكافر الفاجر في اثني عشر الف فارس وثلثين
الف راجل وثلثمائة فيل تئن الارض من وطئ اطرافها وتجف
من ثقل اخفافها حتى اناخ قبالة السلطان مستطيلا بعدده ومطاولا
بقوة باعه ويده ويظن كثرة الجموع تطوي كتاب الله طيا
او تغني من امر الله شيئا ولو درس الجاهل كتاب الله تعالى لعرف
كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله وارتبث الكافر بمكانه
جانحا الى المطاولة ومتحرزا بالمدافعة والمراوغة انتظارا لمن
وراءه من اوشاب الجيوش واوباش القبائل والشعوب
فاعجله السلطان عما حكم به من تقديم المطاولة وتاخير المقاتلة
وبسط عليه ايدي اولياء الله فاوسعوهم جرحا ونهبا ومشقا
ورشقا وجزا ووخزا وحتا وسحتا حتى منطر الى الدفاع وصلى
نار القراع فاصطفت عند ذلك الخيول وخفقت الطبول
وزحفت الفيول واقبل البعض على البعض يصول وترامت

النبال على الخصل ترامي ولدان الاماثل بالحسل وتلالات
متون القواضب كما تتلالا ازرق الغيم جنح الغياهب وفارت
ينابيع الدماء كما فاضت مجاديح الانواء وتكاثرت اولياء الله
على جماهير المداير يأذونهم اذا ويحثونهم ركضا وجمزا
فلم ينتصف النهار الا بانتصاف المسلمين من اعداء الله المشركين
وحكموا السيوف في دماء خمسة الاف رجل فبسطوهم على
العراء واطعموهم سباع الارض وطيور الهواء وجدل على
معيد المعترك خمسة عشر فيلا مغروزات العراقيب
باطراف النشاشيب مجزوزات الخراطيم باسياف اللهاميم
واحيط بعدو الله جيبال وبنيه وحفدته وبني اخيه وذوي
الصيت من رهطه وذويه فسيقوا بخزائم الاسر والقسر
الى موقف السلطان كما يساق المجرمون الى النيران وجوه
عليها غبرة الكفران ترهقها قترة الخذلان فمن مكتوف الى
الظهر قهرا ومسحوب على الخد جرا ومضروب على الوريد
صبرا وحل مقلد جيبال عن نظيم مرصع بفرائد الدرر والجواهر

الزهر واليواقيت الحمر قوم مائتي الف دينار واصيب
اضعافه في اعناق المقتسمين من قرابته بين قتيل واسير
والمطعمين بين ضبع ونسر ونفل الله اولياء السلطان
ما فات حد الاحصاء وجاز حد الحصر والاستقصاء واغنمهم
خمسمائة الف راس من رقة العبيد والاماء وآب السلطان
بمن معه من الاولياء الى المعسكر غانمين وافرين ظاهرين
ظافرين شاكرين لله رب العالمين وفتح الله على السلطان
من ديار الهند ارضا تتضاءل بلاد خراسان في جنبها طولا
وعرضا ووافقت هذه الوقعة الباهرة التي سار في
الافاق خبرها يوم الخميس الثامن من المحرم سنة اثنتين
وتسعين وثلثمائة ولما وضعت الحرب اوزارها وحطت عن
الظهور اثقالها احب السلطان ان يعرف الجبت وراءه ليراه
نوع وذووه في شعار العار واسار الخسار ويستطير هيبة
الاسلام في ديار الكفار فواقفه على خمسين راسا من
خفاف الافيال وارتهن ابنا وحافدا له على الوفاء بها على الكمال

وعاد الكافر وراءه حتى إذا استقر مكانه كاتب ابنه
أندبال وشاهيته ودآنّ سيجون يشكو إليه ما عراه
من الفاقرة الكبرى والداهية العظمى ويسأله سؤال
ملحف تحلّف أن يؤدي عنه الضمان بما عزّ وهان فساق
إليه تلك الفيول وصرف الرسول وسيقت جملتها
إلى السلطان فأمر بالإفراج عن أولئك الرهائن وكسع
أدبارهم نحو تلك المدائن وحدّث نفسه أندبال
أباه قد لبس بردة الخرف وعضّ على جرة الهرم وقد طلع
عليه نسر الأسر ودبران الإدبار وعوته عوّاء الامتحان
وشالت به شولة الخذلان فقد حان أن يلقى حينه و
يتقاضى عليه الزمان دينه ومن سنتهم المطاعة فيهم أن
من حصل منهم في أيدي التابية وهم المسلمون أسيرًا لم
ينعقد له من بعد رياسة ولم يستتم له زعامة وسياسة
ولما رأى جيبال حصوله بين قيد الهرم وقيد المذلة آثر
النار على العار والمنية على الدنية فبدأ بشعره فحلق ثم

تحامل

تحامل على النار حتى احترق ولما استتب للسلطان ما أراد
وانقاد له ما اقتاد ارتاح لغزوة أخرى يطرّز بها ديباجة
مقامه ويعلم بجمالها عذبات أعلامه فمال نحو ويهند فضرب
عليها بكلكل الاقتدار حتى افتتحها صغرًا واعتاض منها
بعد العسر يسرًا وبلغه لياذ طوائف من الهنود بشعاب
تلك الأعلام واستنادهم بخمر الغياض والآجام متحدثين
بالتحزب للفساد والتألب على العناد فأغزاهم جيشًا يدوخ
مجالهم ويفرّق قبل الوصال أوصالهم فولغت فيهم السيوف
حتى رويت من رشاش دمائهم وصديت من مخالطة أجسامهم
وتهارب من سلم من ظباتها كالأوعال في ريود تلك الجبال
يرون الكواكب ظهرًا والمنايا سودًا وحمرًا وذاقوا وبال
أمرها وكان عاقبة أمرها خسرًا وانقلبت رايات السلطان
إلى غزنة خافقة بالفتح الرائع والنجح الشائع والحول المتين
والنصر المستبين وقد أشرق وجه الإسلام وابتسم ثغر
الإيمان وانشرح صدر الملة وانقصم ظهر الشرك والبدعة

وقد كان خلف بن أحمد عند انصراف راية السلطان
عن وجهه عهد إلى ولده طاهر في أعمال سجستان وأسند
أمرها إليه إيثارًا له على نفسه وأهدى كريمة الملك إليه
قبل وقته تثبيتًا لها في ملكه قبل استحقاقه إياها بإرثه تعريضًا
للسلطان باستعفائه عن الملك وإقباله على النسك واعتياض
تواضع العبادة عن ترفّع السيادة لينقطع بخروج الأمر
عن يده طمعه عن قصده وحصده فلما تنفست المدة
على ما ولاه نطقت شواهد الجحود في اختياره وبدت نواجذ
العقوق من ثني آثاره فلم يزل يلاطفه ويداريه حتى أعماه
عما نواه فيه ثم تمارض في الحصار المذكور واستدعى ابنه
لقبول الوصية وتسليم الودائع الخفية فغفل عن سر
التدبير وتدبّر العقاب والنكير وأقبل إقبال طرفة
بن العبد على خصلتي الضبع من ضرب الجيد أو جزّ الوريد
وقد كان خلف بن أحمد قد كمن له مقانب من جيشه
فأحاطوا به إحاطة خيل النّبا بجذيمة الوضاح إلى أن حصل

في معتقله وحبس في مكمن أجله وبقي في السجن على حاله إلى
أن أخرجت جنازته محالًا عليه في قتل نفسه والجناية
على روحه ودمه ولما سمع طاهر بن زيد صاحب جيشه
وسائر القواد بسجستان ما جرى في أمر طاهر دخلت في
طاعته ظواهرهم ونغلت في موالاته سرائرهم وانتقضت
خوف الأسوة فيه مرائرهم وضبطوا تلك المدينة على
طاعة السلطان ومشايعته وأرسلوا إليه بما أوجبوه من
التمسك بحبل الطاعة والتنسك بدين الجماعة وسألوا إنهاض
من يتولى تسلّم الناحية منهم ليبتدروا إلى بابه ويتعطروا
بلثم ترابه ففعل السلطان ما سألوه وجزاهم الخير على ما فعلوه
وأقيمت الدعوة فيها للسلطان في سنة ثلاث وتسعين وثلثمائة
ولما فتح الله رتاجها ويسّر له انفراجها عزم على قصد خلف
وحسم دائه وكفاية الخاصة والعامة عوادي نكره ودهائه
وهو يومئذ في حصار الطاق ومن صفته أنه ذو سبعة
أسوار رفيعة الجدران منيعة البنيان وثيقة الأركان يحيط

بها خندق بعيد القعر فسيح العرض منيع المخاض لا يعبر الا
من طريق في مضيق على جسر يطرح عند الحاجة ويرفع وقت
الاستغناء عنه فعسكر السلطان حواليه محيطا به من جوانبه
احاطة المحيط بنقطة المركز وجعل يستقري بالراي وجه
الحيلة في طم ذلك الخندق وكبسه ليستذف على الفارس والراجل
خوضه وعبوره وكانت حوالي معسكره منابت اثل وطرفاء ذوات
احتفاف والتفاف ففرض على اهل عسكره خاصهم وعامتهم راجلهم
وفارسهم عضد ما يمكنهم عضده منها اضغاثا وحزما تلقم عرض
الخندق ليستتب طم المجال والمخترق وبادر الناس اليه
فلم يترجل شمس النهار على التكبيد حتى اعرض عرض المخاضة
من جانب باب الحصار للركوب وثار اليه عند ذلك الخيول وتبعتها
الفيول ومانع اصحاب خلف بن احمد من شرفات الحصار بقذفات
الاحجار واشتعلت الحرب بينهم ترمي بشرر كالقصر وتنحى على
القصرات بالفرس والقسر وزحف الفيل العظيم الى باب
الحصار فاقتلعه بنابيه وزخ به في الهواء وانحط الى الارض

من جانبي وقتل من اصحاب الخلف الجم الغفير ولجا الباقون على
التحاجز الى السور الداخل ودمر عسكر السلطان على الحصار وتهتك
اصحاب خلف فوق شرفات السور الاخر مناضلين عنها بالاحجار
المجانيق واطراف الحراب والمزاريق واطلع خلف بن احمد
عند اشتداد الخطب على ملتقى الفريقين فراى هول المطلع
من تموج الفضاء بعفاريت الاتحاد على شياطين الجناد وتطاير
النبال كرجل الجراد وتراي الحراب كعزالي السحاب وقبح
الدماء كسيح الماء وعاين الفيل قد اهوى الى بعض اصحابه بخرطومه
فرمى به في الهواء قاب رمحين ثم تلقاه بنابيه واقبل على آخرين
يدوسهم بمنسميه ثم انحى على الباب بمنكبيه فزعزعه بعضادتيه
واقتلعه بضبات الحديد عليه فاستطار عند ذلك قلبه وجاش
جاشه وارتاع روعه واضطرمه هول المقام وفزع الاصطلام
الى طلب الامان واستغاثة السلطان فكف عنه يد الاجراح ووضع
عنه سوط الانتقام كرما غذاه الله بدره واطرية بشوق حرمه
واقبل خلف بن احمد على بذله الجائحة حتى استوذن له على السلطان

فدخل واهوى الى الارض بشيبته البيضاء متعززا بذل الخدمة
وعشى البساط من سبج الجواهر والفرائد ما كسف النهار وخطف
الابصار نثارا ينوب عنه في شكر ما اذاقه من برد العفو والرحمة
وجاه من حريم الروح والمهجة فتكرم السلطان بالرفع من قدره
وضم يده عند التقريب الى صدره تناسيا لما سبق من هناته
وتغابيا عما تقدم من ذلاته وحكمه في اختيار ما احب من
ديار بساره وذخائر حصاره وخيره في المقام حيث شاء من ديار
ممالكه وامصاره فاختار ارض الجوزجان استرواحا الى نسيم هوائها
واستعذابا لنمير مائها واتساعا في مراتع الصيود حول ارجائها
وامر السلطان بتسييره اليها في هيئة ذوي الهيبة معافى لباس
الصيانة عن عورة المهانة فاقام بها قرابة اربع سنين في ظل
الترفيه وساعدته القناعة بما هو فيه ثم انهي الى السلطان مراطنة
بينه وبين ايلك الخان بملطفات سيرها اليه ورسالات اغراه بها
عليه فاقتضاه الاحتياط نقله الى جرديز ابقاء عليه من تحقيق
ما انيف اليه واستنماما للصنيعة لديه واجترا انما تمجاليه

من ابطال ذلك الافضال وتكدير ذلك الغدير فبقي هناك على
جملته الى ان حقت عليه القضية واخترمته المنية وذلك
في رجب سنة تسع وتسعين وثلثمائة وامر السلطان بحفظ جميع
ما تخلف عنه على ولده ابي حفص وتقريره في يديه وتمكينه
من حذمته وانشدني ابو منصور الثعالبي لنفسه فيه حين
وهى امره وصفرت من الملك يده

من ذا الذي لا يذل الدهر صعبته ولا تبيد الايام معدته
اما ترى خلفا شيخ الملوك غدا مملوك من فتح العذراء بلدته
وكان بالامس ملكا لا نظير له فاليوم في الاسر لا تحتاش اسرته

وكان خلف بن احمد مغشي الجناب من اطراف البلاد لسماحة
كفه وغزارة سيبه وافضاله على اهل العلم وحزبه وقد ملئ
على السنة الشعراء والعلماء بما هو سائر وذكره في الآفاق
طائر وكان قد جمع العلماء على تصنيف كتاب في تفسير كتاب
الله تعالى لم يغادر فيه حرفا من اقاويل المفسرين وتاويل المتاولين
ونكت المذكرين واتبع ذلك بوجوه القراآت وعلل النحو



والتعريف وعلامات التأنيث ووشحها بما رواه الثقات الأثبات
من الحديث وبلغني أنه أنفق عليهم مدة اشتغالهم بمعونته على جمعه
وتصنيفه عشرين ألف دينار ونسختها بنيسابور موجودة
في مدرسة الصابوني لكنها تستغرق عمر الكاتب وتستنفد
مبر الناسخ إلا أن تتقاسمها النساخ بالخطوط المختلفة و
أخبرني أبو الفتح البستي رحمه الله قال قد كنت عملت
فيه ثلثة أبيات من غير قصد لتبليغها إياه لكنها سارت
على ألسنة الرواة إليه فلم أشعر إلا بصرة فيها ثلثمائة دينار
أتحفني بها على يد بعض ثقاته صلة لي على ما قلته والأبيات هذه

خلف بن أحمد أحمد الأخلاف ... أربى بسودده على الأسلاف
خلف أحمد في الحقيقة واحد ... لكنه مرب على الآلاف
أضحى لآل الليث أعلام الورى ... مثل النبي لآل عبد مناف

فقلت له قريب من هذه الصورة حديث ابراهيم بن هلال الصابي
وذلك أن رسولا لسيف الدولة كان قدم بلد السلام فطلب
شيئا من شعره عن لسان صاحبه فدافعه به إلى أن أزف ارتحاله

وأتاه عند الوداع ملحا عليه في تنجزه فأعطاه عجالة الوقت قوله

إن كنت خنتك في المودة ساعة ... فذممت سيف الدولة المحمودا
وزعمت أن له شريكا في العلى ... وجحدته في فضله التوحيدا
قسما لو اني حالف بغموسها ... لغريم دين ما أراد مزيدا

فلما عاد الرسول إلى الحضرة حمل إليه صرة فيها ثلثمائة دينار موسومة
باسمه وللشيخ أبي الفتح البستي فيه أيضا يمدحه

من كان يبغي علو الذكر والشرفا ... ويرتجي عطف دهر قد نبا وجفا
أو كان يأمل عند الله منزلة ... تنيله قرب الأبرار والزلفا
أو كان يطلب دنيا يستقيم به ... ولا يرى عوجا فيه ولا جنفا
أو كان ينشد مما فاته خلفا ... فليخدم الملك العدل الرضي خلفا
الوارث العدل والعلياء من سلف ... جثوا بعلياهم في وجه من سلفا
المؤثر القصد في إنجاح سودده ... فإن أراد عطاء آثر السرفا
إذا التوى عنق عن حكمه سيفا ... إذا ما امتضى حقا له انتصفا
والسيف أبلغ للأعناق موعظة ... كم من صليف جاه حد الصليفا
وإن بدا الكلف في وجه مكرمة ... جلى بلا كلف عن وجهه الكلفا

دماء يصرف عمن يستجير به ... صرف الزمان إذا ما نابه صرفا
إذا اقشعر زمان من جدوبته ... أغنى الورى وكفى جود له وكفا
بسخطه يدع الأفلاك خائفة ... والشمس حائرة والبدر منكسفا
يرى التوقف في بؤسى وفي نعمى ... وندي ومنا فإن عن رأي مشكل وقفا
لله نفل منيل في أنامله ... أعاد حظي سمينا بعدما نحفا
يهين أمواله كي يستفيد بها ... عزا يؤثل في أعقابه الشرفا
والمرء للوم في أحواله هدف ... إن لم يكن ماله من دونه هدفا
لا يلحق الواصف المطري معانيه ... وإن يكن سابقا في كل ما وصفا

وأنشدني أبو الفضل الهمذاني قصيدته التي يمدح بها خلف
بن أحمد أولها

سماء الدجى ما هذه الحدق النجل ... أصدر الدجى حال وجيد الضحى عطل
لك الله من قفر أجوب جيوبه ... كأني في أجفان عين الردى كحل
وفيها يذكر اباه بهمذان واستقباله الحجيج للسؤال عن خبره والبحث عن حاله
يذكرني قرب العراق وديعة ... لدى الله لا يسليه مال ولا أهل
إذا أورد الحجاج لاقى رفاقهم ... بعفو أرتي دمع هما النهل والنحل

جنته النوى عني وأضنته غيبتي ... وعهدي به كالليث جوجؤه عبل
يسائلهم كيف ابنه أين داره ... إلى ما انتهى لم يعد هل له شغل
أضاقت به حال أطالت له يد ... أأخره نقص أقدمه فضل
يقولون وافى حضرة الملك الذي ... له الكنف المأمول والنائل الجزل
وفامت عليه فطرة خلفية ... بها الفؤادي عن ولا بها عزل
فقيد له طرف وحلت له حبى ... وخير له قصر ودر له نزل
يذكرهم بالله الامد فهم ... لدي أجد ما تقولون أم هزل
طوينا للقياك الملوك وإنما ... بمثلك عن أمثالهم أبدا نسلو
ولما بلونا كم تلونا مديحكم ... فيا طيب ما نبلو ويا صدق ما نتلو
ويا ملكا أدنى مناقبه العلى ... وأيسر ما فيه السماحة والبذل
هو البدر إلا أنه البحر زاخرا ... سوى أنه الضرغام لكنه الوبل
محاسن يبديها العيان كما ترى ... وإن نحن حدثنا بها دفع العقل
فقولا لبوشام المكارم باسمه ... ليهنك أن لم ينو مكرمة عقل
فذلك من أبناء دهرك من غدا ... ولا قوله علم ولا فعله عدل
وجازاك أفراد الملوك إلى الذي ... وجدنا لقد أعجزتهم ولك الفضل



سمابك من عمرو و يعقوب محتد لذا الاصل منخود ابه و لذا النسل

وانشدني السيد ابو جعفر محمد بن موسى الموسوي بيتين ذكر انهما مكتوبان

على باب داره بسجستان

من سره ان يرى الفردوس عالية فلينظر اليوم الى ايوان كيوان

او سره ان يرى الرضوان عن كثب بمل عينيه فلينظر الى البان

ولما صفت سجستان للسلطان هدأت عيون الفتن وسقطت نجوم

الاحن وانقطعت اطماع الخلفية بها عن التعصب و التحزب

و انخفضت ابصارهم دون التوثب و التغلب ورجع السلطان الى

غزنة باهر الامر عالي الظفر والنصر قد صنع الله له فيما رامه

وسدد نحو المراد سهامه وشهره بافتراع المدينة العذراء واستنقاذ

المملكة الغراء واطلاع ذروة الرجاء وادراع لامة العز والعلاء

وانشدني ابو منصور الثعالبي لنفسه قصيدة في فتح سجستان

سعدت بغرة وجهك الايام وتزينت ببقائك الاعوام

وتصرفت بكف المعالي همة تعيى بها الافهام والاوهام

ولقد فرشت بها دعدلك فاغتدت تتوارد الاساد والارام

و اقتص سيف علاك كل مدينة بكر عليها للاناس ختام

هذي زرنج استغلقت وتمنعت فكانها الا عليك حرام

فتحتها و ابحتها و منحتها نغرا لهم لفناك الخدام

وقدمت و الايام تنشد في الورى بيتا تجيد نشيده الايام

قد جاء نصر الله و الفتح الذي تزهى بكتبة وصفها الاقلام

اجل احوال و ايمن مقدم واتم اقبال له دوام

ورحم الله البديع ابا الفضل الهمذاني حيث يقول في السلطان

تعالى الله ماشاء وزاد الله ايماني افريدون في التاج ام الاسكندر الثاني

ام الرجعة قد عادت الينا سليمان اظلت شمس محمود على انجم ساماني

وامسى آل بهرام عبيد الابن خاقان اذا ما ركب الفيل لحرب او لميدان

رأت عيناك سلطانا على منكب شيطان فمن واسطة الهند الى ساحة جرجان

ومن قاصية السند الى اقصى خراسان على مقتبل العمر و في مقتبح الشان

فيوما رسل الشاه ويوما رسل الخان فما يعرب بالمغرب عن طاعتك الثاني

لك السرج اذا شئت على كاهل كيوان اباو الي بغداد ويا صاحب غمدان

تامل هاتى فيل على سبعة اركان يقلبن اساطين ويلعبن ثعبان

عليهن تجافيف يشهرن بالوان وياجوج وماجوج من الجند يموجان

واستخلف السلطان على سجستان المعروف بقنجي الحاجب احد المحتشمين

من قواد سبكتكين فحسنت في السياسة سيرته و اشتدت في الرفق بالبر

والعنف على المريب بصيرته ثم ان طوائف من نجوم العقبة ورجوم

الشر والعصبية ابطرتهم رفاهة العيش ورفاغة الامن وفسحة

الحال وسعة المجال فحدثوا ابناءهم بتقديم من يضمهم على العصيان

ويؤمهم في الخروج على السلطان تعرضا للبلاء وتحككا بالشقاء

واجتراء على سوء القضاء فابرزوا صفحة الخلاف واخترطوا نصل

الشر من الغلاف فلما رأى السلطان انتقاض سجستان على خلفائه

وامنائه بادر اليها في عشرة الاف رجل من نخب العسكر ومعه اخوه

صاحب الجيش نصر والتونتاش الحاجب وابو عبد الله محمد بن

ابرهيم الطائي زعيم العرب وحصر المردة العتاة في حصار

ارك ووكل خيول عسكره بجوانب الاسوار واقتسم بينهم مجال

ذلك الحصار ونشبت الحرب بعد العصر يوم الجمعة للنصف من

ذي الحجة سنة ثلاث وتسعين وثلثمائة وخاض السجزية غمرها

ساعة متوازرين على المدافعة ومتظاهرين على الممانعة و المقارعة

حتى اذا اوهنهم السلاح واثخنتهم الجراح لاذوا بالانجحار والاعتصار

بسور الحصار وظهر اولياء السلطان على بعض جوانب السور في

ظلمة الديجور فتنادوا بشعار الملك المنصور فانهزم الفجار

وملك عليهم الحصار وبسطت ايدي القتل والضرب على من

نفثتهم الدور ولفظتهم المساكن و القصور فمن رؤوس منبوذة

واعناق مجذوذة ووجوه مكبوبة ودماء على الارض مصبوبة وهام

الاخرون على وجوههم يتساقطون من كسع الادبار في الآبار

ويلوذون من ضرب الاخادع بالمخادع ويفزعون من حز

الغارات الى المغارات والطلب يقطع دابرهم ويلحق بالاول آخرهم

حتى خلت سجستان من عيث شرارهم وسلمت من بث شرارهم

وفتح الله تلك المملكة على السلطان فتحا ثانيا وملكا ثاليا فلم يسمع بمثله

على الايام فتحا في غلق الظلام واستفاضت هيبة السلطان

في اهل سجستان حتى نامت لياليهم عن دبيب العقارب وصرير

الجنادب ولبعض اهل العصر على تفنية النصر

يا أيها الملك الذي زند المعالي تقتدح
لا زال ثغرك باسماً من أجل ثغر تفتتح
وأنشدني أبو منصور الثعالبي له في هذا الفتح الشهير والنجح الكبير يمدح السلطان يمين الدولة وأمين الملة
يا خاتم الملك ويا قاهر الأملاك بين الأخذ والصفح
عليك عين الله من فاتح للأرض مستولٍ على النجح
رايات‌ه تنطق بالنصر بل تكاد تملي كتب الفتح
كم أثر في الدين آثرته يقصر عنه أثر الصبح
وكم بنى للملك شيدتها تثني عليها ألسن المدح
فاسعد بأيامك واستغرق الأعداء بالكبح وبالذبح
ودم رفيعاً عالي القدح ممتنع الملك على القدح
ثم جعل السلطان سجستان طعمة لأخيه نصر مضافة إلى نيسابور ونواحيها وولاية في بلاد المشرق فنصب لخلافته عليها أبا منصور نصر بن إسحق وزيره ووكل بها تدبيره ورضي لها تقديمه وتأخيره فقام بضبط الولاية واستدرار الجباية وإتقان السياسة وإنعام الحراسة قيام من عدله الزمان بثقافه وزينه الكمال بأوصافه وعاد السلطان إلى بلخ على السيناء



الجد في غزو الهند على ما سنذكره في موضعه إن شاء الله وحده

ذكر شمس المعالي قابوس بن وشمكير وانتقاله إلى ملكه بعد طول التقلب في التغرب

قد كان شمس المعالي أقام بخراسان ثمان عشرة سنة مصابراً للدهر على وقعاته وتصرف حالاته لم تغمز يد الحادثات قناته ولم يقرع صرف النائبات صفاته ولم تنقض دوائر الأيام مروءته ولم تنقض على اختلاف أحوالها جبوته ولم يبق من أصحاب الجيوش وزعماء الجمهور من لم يقرب له بسهم من نوافله ولم يرجع إلى حظ من عطاياه ونوافله ولم يخدمه أحد من ذوي الحشمة بسلام إلا حظي منه بإنعام وإحسان من أجنبية ألوان وأفراس مطهمة حسان تعلى الأكتاف خلعه ولباسه وتحت الأفخاذ مراكبه وأفراسه وحشوا البيوت بدرره وأكياسه وقد كان آل سامان يهمون برده إلى مملكته حياتة لقصبة السبق في إدالته على خصمه وإدالة ملكه إليه فيقطعهم توالي الفتوق من كل وجه عليهم عن إصابة أغراضهم في أمره والهمته بصيرة التجارب مداراة المحنة حتى تنهي زمانها وتقفي

على الإقبال بحرانها إذ كان الاضطراب في المحن كالاضطراب في حبل الخناق ما يزداد صاحبه على نفسه حركة إلا ازداد اختناقاً وهلكة وما يتنائي إلى شعره قوله في إقبال محنته
قل للذي بصروف الدهر عيرنا هل عاند الدهر إلا من له خطر
أما ترى البحر يطفو فوقه جيف ويستقر بأقصى قعره الدرر
فإن يكن نشبت أيدي الزمان بنا ومسنا من عوادي بؤسه الضرر
ففي السماء نجوم ما لها عدد وليس يكسف إلا الشمس والقمر
ولما وطئ سبكتكين حرام خراسان ومكنه الظفر بأبي علي بن سيمجور من كورها أتاح لقابوس بانتجائه من نصرته وإعلائه ثم انفق له من الانقلاب إلى بلخ ما حال بينه وبين مراده فغبر مدة على جملته إلى أن انقرض أمر أبي علي وخوي نجم الشغل به وانحدر إلى طوس لطلب أخيه أبي القسم السيمجوري فجدد عند ذلك قابوس عهده به ولاطف كل منهما صاحبه بما لا يفي به بيان ولا يتسع له حساب وحسبان وجرى ذكر فخر الدولة صاحب الري واستظهاره ببدر بن حسنويه صاحب الأكراد والفوارس والأنجاد فأراد سبكتكين أن يستظهر عليهم

بكماة الشرق ورماة الحدق من كتائب الأتراك الخانية فأرسل حاجبه الكبير ألتون تاش إلى أيلك الخان يستنجزه حكم الحال التي اتفقا عليه بما وراء النهر من الاتحاد في الوداد والاشتراك في الأملاك بإمداده بعشرة آلاف رجل من نخب رجاله وشهب أبطاله وصرف شمس المعالي وراءه على ميعاد معاده ورجع سبكتكين إلى بلخ مستعداً للأمر ومنتظراً لوصول العدد الدثر فاستأثر الله تعالى به قبل أن عاد الرسول وتحقق المسؤول فحيط عليه ما منع وصوح دونه نبت ما ذرع وتوسط وجوه الناس بين السلطان يمين الدولة وأمين الملة وبين قابوس في إسعاده ورده إلى معاده على مال يقضي به حق عنايته ويضاهي به حسن بلائه في تحقيق رجائه وتحقيق مكايد أعدائه فأظهر الوفاء به لغاية شهريار بن قراده بجرجان إذ كان يحيل بحمل ما يلتزمه على ما يذكر له من احتلابها ويحفل من أخلافها وأنه يحاشي بذا انتقال الملك إليه خبط رعيته بالحيف والعسف والإيجاف عليهم بمبدد الحرق والنسف فأعجل السلطان ما أهمه من أمر



السير واتفق ان نصر بن الحسن بن فيروزان لفظته الاماقة بناحية
الديلم الى حدود الاستندارية فطمع في مغالبتهم عليها ومزاحمتهم فيها
فقذف من جمرات انيابها بمن طرده عنها وقبض على خاله ابي الفضل
اصبهبذ كلار فسجن حتى دفن ومايل بعد ذلك بابي بن سعيد نصرا
فتباعدا على قصد آمل وبها ابو العباس الحاجب في زهاء الفين من
عسكر الري فاجلياه عنها هزيما تقفوه الصفاح وهيتما تذروه
الرياح وطير بابي بن سعيد عند ذلك كتبه الى قابوس بذكر الفتح
الذي اتيح له على شعار موالاته واستشعار طاعته وممالاته واظهار
التبجح باستطلاع راياته فنفصل عن نيسابور سائرا نحو جرجان
وتحيز بابي بن سعيد عن مضامة نصر الى استراباذ مجاهرا
استشعار صاحبه وتجمع اليه من ابناء الجبل من كان يسلك شعب
هواه ويتسلم ذكر طاعته ورضاه وكتب قابوس الى الاصبهبذ
بالانضمام الى ابي بن سعيد وجمع اليد الى يده فيما تقدم واخر
والشد على عضده فيما اورد واصدر ففعل ما امر وتسامع ابو
العباس بن فيروزان بن الحسن بنبأيهما وهو بجرجان فنهد لكفاية

امرهما واخماد ما التهب من جمرهما فوافقاه بباب استراباذ ووقعة
ثبت فيها حدود القواطع من حديد المدارع ومزارق الذابلات من
مفارق الهامات وكادت الهزيمة تستمر باصحاب ابي لولا انقلاب
الاكراد والعرب في عسكر الديلم عليهم ببيض الظبى وزرق العوالي
منادين بشعار شمس المعالي فانهزم ابو العباس فيروزان بن
الحسن فيمن معه وركب الطلب اكتافهم فاسر هو ونحو من عشرين
نفرا من وجوه القواد في جملته واسرى بقية الفل نحو جرجان
وقد قدم اليها قابوس سالار بن خركاش احد اقاربه فوافق انهزامهم
اليها اطلاله عليها وتسامع الفل به فتحاجوا دونه وعويلا وضلوا
فلا يستطيعون سبيلا وانظروا الى استيناف الهزيمة فرجا على
فرج ومنجا فوق فرج وخوطب قابوس بخبر الفتح وما هيأه
الله له من عظيم النجح فسار الى جرجان وقد شرح الله صدره وحلى
من الكسوف بدره ونسخ باليسر عسره وزاد على القدر قدره
ودخلها في شعبان سنة ثمان وثمانين وثلثمائة وللبعض كتاب اهل
العصر فيه عند زفاف الملك اليه في قصيدة اولها



الجدُّ ما لم يعنه الجدُّ عِذّارُ ولَلجِدُّ ما لم يزنه الصبرُ خوّارُ
للكريم إذا الأيام ذُلْنَ به عن المنى جنباتِ النفسِ إعذارُ
كم فاضلٍ وحُنونُ المنجنون له حيفًا على حسبك اللأواءِ جرّارُ
وكم جريحٍ قريحِ القلبِ ذي عِبَرٍ وكم قتيلٍ وما للسيفِ آثارُ
وكم فقيرٍ بلا جرمٍ وخابيةٍ وكم غنيٍّ وللأيام أدوارُ
سيرٌ سريعٌ ودورٌ غير منصرمٍ تَغضُّ العيونَ ودون الغيبِ أستارُ
من كان يخبر حال الدهر دائرةً لم يثنه عن عيانِ الحالِ إخبارُ
وإنما جاهلُ الأيامِ مختبرًا جَذَذٌ أصمُّ عن التحقيق فرّارُ
نحى الزمانُ على من لا اصطبار له ورقّةُ للذي في العسر صبّارُ
فاصبر هُديتَ فإنّ الصبر منجحةٌ ومن وراءِ ظلامِ الليلِ إسفارُ
والدهرُ ذو غِيَرٍ أحواله نُوَبٌ عسرٌ ويسرٌ وإحلاءٌ وإمرارُ
والبدرُ يدركه التمحيقُ منتقصًا وبعده بضياءِ التمّ نوّارُ
والنارُ في خلل العيدانِ كامنةٌ وسقطها باقتداح الزند سعّارُ
والحدُّ يطبع كالصمصام ثمّ له من صيقل الدهر جلّاءٌ وشهّارُ
هذاك شمسُ المعالي في سيادته له مع الفلك الدوّار أخبارُ

أعطاه من غرر الآمال ما قصرت عن نيل أمثالها في الدهر أعمارُ
ملكًا وعزًّا وعيشًا دافقًا وعلى دولته منها نصرٌ وإظهارُ
لما كساه دروعَ العزّ ضافيةً ولم يجد منه غير الشكر يختارُ
أيدي تشوّد عليه كي تجرّبه بالصبر والصبر للأحرار مسبارُ
حتى إذا ما قضى من شأنه وطرًا وللأمور نهاياتٌ وأطوارُ
أمسى يعاود ما أرضاه من خفرٍ وخدّه بدم التشوير فوّارُ
فالدهر خادمه والعزّ مادحه والرأي رايته والخلق أنصارُ
قرمٌ يفيء حيوة العالمين به كأنه الشمس والأعمار أقمارُ
داج الكرام إلى أو كاد نائله كأنه الليل والأحرار أطيارُ
له المعالي سماءٌ والندى شهبٌ والمجد سادية والجود أمطارُ
علاه كالليل والمصباح همّته ونقله الجود والآمال سمّارُ
نواه تنهبه الأموال عن يده مثل انهزام العدى عنه إذا ثاروا
يحذو الدهر قنّاصٌ لهمّته فالجود بازٌ له والصيد أحرارُ
خيالهم بوقاح السيف ممتزجٌ وعدّ له في حزون البأس سيّارُ
ندى يديه إلى الفردوس منتسبٌ ووقع سطوته في حرّة النارُ

يوم الهياج صفاح البيض ظلّته والجوّ من لهب الطعنات مهّارُ
يغامس الحرب والأرواح راقيةٌ إلى التراقي وطرف الموت نظّارُ
يرتش من دفع الأعناق قسطلها إذ نقعها بجوابي الخيل ثوّارُ
تبادرت أنجم الأفلاك سطوته إذا الرماح من الأرواح تمتارُ
فهنّ في ذمّة الأضواء آنسةٌ وهنّ من خشية الظلماء نفّارُ
للمشتري منها في الخصر منطقةٌ تبغي رضاه وللمرّيخ زنّارُ
لفته روعته أمرًا بمصلحةٍ فما يذود على المحظور ديّارُ
وقد أقام على الظلماء هيبته فما يصرّ حذار البأس صرّارُ
إنّ السلامة أن لو ألهمت نطقت يا ربّ إنك لي من سيفه جارُ
يا أيها الملك الميمون طائره ومن نداه بفيض اليمّ زخّارُ
إنّ عروسًا ما لها أبدًا سوى خصالك مشّاطٌ وعطّارُ
البخلُ عندك في وجه الندى كلفٌ نعم وفي غرّة الإقبال إدبارُ
ترمي العدى من بنات الكبد ما أبقى وإن رموا جانب المرمى أوتارُ
لا زال في نعم تفضي إلى نعم
كأنّ ما قد رموا من لعن طالبه فما رميت به وحيٌ وأقدارُ

تحمى وتلتهب الأوتار رامية كأنما أحمت الأوتار أوتارُ
لا زال في نعم تفضي إلى نعم ما طاف حول فناء البيت عمّارُ
ممتّعًا بسرورٍ غير منقرضٍ حتى يفوق نجود الأرض أغوارُ

وللخوارزمي يمدحه مقامه بنيسابور

قامت تودّعني بالأدمع السجم والصمت بين يديها وبين فم
البين أخرسها والبين أنطقها وهذه حالة في الناس كلّهم
وطالما انهزمت عنّا السيوف فلا جارينا بجيش الورد والعنم
وقد خلعت لجام الإتباع فلا تلقى سوى الفنا في ذمّة اللجم
لم يبق في الأرض من شيءٍ أهاب له فهل أهاب انكسار الجفن ذي السقم
أستغفر الله من قولي غلطت بلى أهاب شمس المعالي أمّة الأمم
كأن لحظك من سيف الأمير ومن حتم القضاء ومن عزمي ومن كلمي
قال الأمير لأخلاق الكرام ففي بحث أنت فما زادت على نعم
وقال للعلم والآداب لا تردا الأملي فما فاهما بلا ولم
القائل القول لو فاه الزمان به ما دارت لياليه أيامًا بلا ظلم
والفاعل الفعلة الغرّاء لو مزجت بالنار لم تك للنيران من حمم



لا تحفلن بمضوب المال في يده فقد يجف ضروع العارض السجم

قد يجزر البحر بعد المد يغرقه وينزل الجدب وكر الأجدل القطم

ولا يغرنك أن الدهر جاريه قد يغدر السيف يوم الروع بالبهم

الآن إذ غدت الدنيا تجمشه وقابلته صباحا أوجه النعم

ترنو إليه فتخفي شخص منقبض لراجنيه وتغضي طرف محتشم

إذا دعت نحوه ساقا بهت قدما والعمر يذهب بين الساق والقدم

جيري تقلبها حال وتبعدها كذا يكون رجوع الآبق الندم

وله فيه قصيدة يقول في نسيبها

شموس لهن الخدر والبيت مغرب فطالعها للبين والهجر غارب

ولكنها شمس المعالي خلافها مشارقه ليست لهن مغارب

وما لقبوك الشمس إلا وقد رأوا بأنك شمس والملوك كواكب

أقول لزوار الأمير ترجلوا فمن زاره من راجل فهو راكب

وإن زاره الفرسان كنت كفيلهم بأن يرجعوا والخيل فيهم جنائب

ألا أبلغا عني الأمير رسالة تدل على أني على الدهر عاتب

إلى كم يحل المرء مشكك بلدة بها منبر فيه لغيرك خاطب

عليك بهذا السيف فاقض ديونه فللسيف دين عند كفك واجب

ولا تقعدن تغضي الجفون على القذى وفي الأرض مركوب ورمح وصاحب

غريمك هذا الدهر فالزمه يغترم فلن يوقظ الغرام إلا المطالب

وأنت ابن عم السيف بل أنت عمه وكيف يخاف الأقربين الأقارب

أليس أبوكم وشمكير وجده زيار ومرداويج عم مناسب

تحرك بنا إما لواء ومنبر وإما حسام كالعقيقة قاضب

وللقاضي أبي الحسين علي بن عبد العزيز الجرجاني فيه

أمسري خيال الهاجر المتجنب ومجري دموع الزائر المتطرب

سألتك بالدهر الذي مرت بعده فذي ناظري من بعد أن كنت ملعبي

أعني على عيني إذا ما وعدتها بقربك قالت للدموع تأهبي

ولما تداعت للغروب شموسهم وقمنا لتوديع الفريق المغرب

تلقين أطراف السجوف بمشرق لهن وأعطاف الخدور بمغرب

فما سرن إلا بين دمع مضيع ولا لحن إلا فوق قلب معذب

كأن فؤادي قرن قابوس راعه تلاعبه بالفيلق المتأشب

همام يراه المال أسرع حادث إلى حتفه والقرن أخوف معطب



يقضّ العدى إطراقه قبل عزمه ويطرقهم ذعباً ولم يتأهّب

وفيها يصف الزانات

وزرق على سمر تطلّ إذا هوت تلاحظ أعقاب الشهاب المذنّب

ترفّعن عن طيش الرماح وذلة السهام وتقصير الحسام المجرّب

فجزن ظبات البيض ثم وصلنها إليهنّ من سمر الرماح بأكعب

فلن منال السهم من متبعّد وقمن مقام السيف من متقرّب

فتى ما تلاقت همّتان بصدره ولا تشهد الجلّى برأي مشعّب

له الهمّة العلياء والمنصب الذي يجمّعه الجوزاء ألحاظ متعب

إذا بعض أطراف الرجال تقاصرت عن المجد ألفوه كريم التقلّب

تزاحمهم من وشمكير بمنكب ومن سلف الاصبهبذين بموكب

ويذهب من مجد وعز مفخّم بآثار مرداويج في كل مذهب

وما خلصت للمرء مسعاة والد إذا لم يقابلها بخال مهذّب

كلا طرفيه يرجع الطرف خاسئاً إذا رامه عن كل خرق مجرّب

يحوز معالي أردشير بخاله ويعلو الورى عن شأو ساسان بالأب

ولما انتهت الهزيمة بالقوم إلى الري على جملة الانكسار وذلة الافتقار

وسبة

وسبة القتل والإسار قطع عليهم سياط العذل والتعنيف وملئت

عيونهم من نفثات التعيير والتشوير وكان أبو علي الحسن بن

أحمد بن حموية على الوزارة فاختار عشرة آلاف رجل من

بهم الديلم وفتاك الأتراك ونخب العرب وأفراد الأكراد و

سار بهم في منوجهر بن قابوس وبيستون بن تجاسب وكيان

بن فيروزان ودشاموج بن أخت عظيم الديلم وموسى الحاجب

وشابور بن كردوية وأبي العباس بن جاي وعبد الملك

بن ماكان وهؤلاء رتوت الجيل والديلم حتى أظلّ جبل شهر

يار وبلغ شمس المعالي قابوس إقباله فاستفغم أطرافه واستظهر

بشهريار بن شروين استعدّ إذا لمواقعته وتنجّز الوعد الله في

نصرته وتثبيت وطأته واستتمام ما أعاده الله إليه من نعمته

وحاذر أبو علي بن حموية ممالأة نصر بن الحسن بن فيروزان شمس

المعالي وانقطاعه إلى جانبه فواصله بكتبه نافثاً في عقدته فإنلا

في ذروته ناقخاً بسحره في سحره وملقياً إليه أن القرابة الوشيجة

بين أبي طالب بن فخر الدولة وبينه لو صادفت منه حكمها في الإشفاق

على دولته والانتداب لنصرته لكان احق الناس بسياسة
اجناده وزعامة ممالكه وبلاده وانه الآن متى سلك طريق
الخدمة وجانب جانب التهمة وحافظ على حرمة اللحمة لم
يعدم ما يهواه من ترتيب وترحيب وتنويل وتخويل وتفخيم
وتقديم واذن له في الانتقال الى قومس الى ان يدبر امره
بمقتضاه فارتاح نصر لما شامه من تلك العقيقة ووثق على
الحقيقة وسار بجوسادية ثم قرض الجادة ذات الشمال وركب
ذات اليمين مما يلي طراشك وآباذان حتى اذا حاذى رقعة
قومس اذاع في اصحابه رايه في طاعة ابي طالب وانه ملغاش
ربق خدمته ونصير دعوته فاختلفت عليه كلمتهم حين افصح
بتدبيره وباح بسر ضميره فمن فريق رجع الى الاستندادية
وفريق الى جرجان في طلب الامان ورحل نصر في الباقين حتى اناخ
بقومس وسال ابا علي بن حموية تمكينه من بعض القلاع ليحصن
فيه عياله واثقاله فمكنه من حصار جوجند فاستوطنه و
اودعه ماله ومن معه ولما امن ابو علي شره وعاديته توجه

بجوسادية على قصد جرجان فلما اطمان بها اسرى منوجهر بن
شمس المعالي قابوس الى ابيه عائذا بالله من عقوقه وكفران ما فرض
الله من حقوقه فارتاع ابو علي من بيستون بن بهاسب لاشتراكهما
في نسبة الجيل وارومة ذلك القبيل واشفق من صغوه القديم
في خدمة شمس المعالي وحثه اياه على معاودة سدته واهتبال الفرصة
في مراجعة جملته فاخذ بالحيطة في الاعتقال ورده الى الري
في وثاقه وامتد الى ظاهر جرجان مما يلي قبر الداعي فعسكر به وتواصى
اهل الحفاظ والحمية والانفة الابية من اصحاب شمس المعالي
بالترافد في التجالد والتساند على التقاتل والتماسك عند
التعارك وشدوا اجيازهم للقراع وقرعوا ظنابيبهم للمصاع
وناصبوهم الحرب طرفي الصباح والرواح لا يسامون وقع
الصفاح ولا ياْلمون لذع الجراح حتى عبر شهران كيوم واحد
في مغامسة الكريهة بين تكلف وبديهة ومس عسكر جرجان
ضيقة لانقطاع الميرة والمواد عنهم فاستعصموا بالنفوس
الشريفة وتغنوا طول تلك المدة بابلغ الخفيفة موثرين شرف

نعم والارض من مدره والريح من يده والروض من خلقه الخلق تبتسم
الله جارك يا من جار حضرته يلقى السعود عليه الدهر تزدحم
ابشر فقد جاء نصر الله مؤتنفا وعاشر الفتح منشور له العلم
يا من اذا اعتصمت صيد الملوك به امسى واصبح بالاحسان يعتصم
ابل الجديدين بالعمر الجديد ودم للملك تخدمك التوفيق والقسم
وانشدني الامير ابو الفضل عبيد الله بن احمد الميكالي

في ذلك لنفسه

لا تعصين شمس العلى قابوسا فمن عصى قابوس لاقى بوسا

ولما بلغ ابو علي بن حموية قومس منهزما عن تلك المعركة ارسل
الى نصر بن الحسن بن فيروزان يساله تعجيل اللحاق به ليتعاضدا
على لم شعث الهزيمة وسد ما جاش من منخرق تلك الكشفة الذميمة
ثم اعجله الطلب عن التوقف والتلوم فاوجف نحو الري
واتاه نصر فلم يلحقه فاستوطن سمنان وتابع كتبه الى ابي
طالب مجد الدولة رستم بن فخر الدولة مستمدا وشمر لتلافي
الخلل مجدا فتراخت المدة على استينافه امداده واقتبال

معونته وانجاده ثم امده بابن بكتكين الحاجب في زهاء ثلثمائة
من شجعان الغلمان فقوي بهم وتكثر بمكانهم ورماه شمس المعالي
بباني بن سعيد في رجال من الجيل وكتب الى الاصبهبذ شهريار بن
رستم لمعونته وازاحة علته فصمد صمد نصر مرخيا عنان
التحفظ ومغمضا جفون التيقظ وقد كان نصر سد الطرق
على ابنائها سترا للخبر وتجنبا لذيل الكتمان على اثره فاتفقت
اناخة باني بن سعيد عليه على حين تقطع من رجاله وتفرق
من اكثر اصحابه فتناوشا الحرب ساعة ونصر مستعد وامره
في القراع جد ثم اضطر باني الى الانقلاب على ادراج الخيبة وقتب
الهزيمة فيمن تلاحق به وتراخى عنه من ذنابى عسكره وجرى
عليهم من القتل والاسر ما اعتد به نصر في مساعيه عند
ابي طالب فغسل به وجه حاله وجلا عليه صفحة اقباله وانهض
عند ذلك رستم بن المرزبان خال مجد الدولة ابي طالب في
ثلاثة آلاف رجل مددا لنصر وعقدت له الاصبهبذية على
جبل شهريار فتلقاه نصر الى دنباوند وساعده على صعوده

المقام على شبع الطعام وردّ الشجاعة على سدّ المجاعة واصاب
الآخرين تلك الضيقة فانتقلوا من الفضاء بقبر الداعي الى
جانب محمد آباذ اتساعا في العلوفات من جهة جناشك
فتداركت عليهم الامطار حتى اعوزهم الامتيار وماجت
عليهم الارض بالطوفان فلما قطت الخيام وساخت القوائم
والاقدام وعندها برز انصار شمس المعالي اهل الحقائق
من وراء الخنادق والجؤوا نار الوغى كضارية القشاعم
وداهية الاراقم وثبت بعضهم للبعض جلادا من مطلع الفلق
الى مسقط الشفق محكمين متون الصوارم في شؤون الجماجم
وذوابل الصعاد في مناهل الاكباد وزرق الذابات في
سود المهجات حتى اذا دلكت قدم العصر اتى امر الله بالنصر
فحمل الجيل على الديلم حملة لم تستبق منهم طالب ثار ولا نافخ نار
واسر من عظمائهم اسفهسلار بن كوركيج وزرهوا وحسنان
بن اشكلى واخوه جندر بن سالار ومحمد بن وهسوذان واشتملت
المعركة على الف وثلثمائة رجل ممن اضجعتهم الحتوف وسطحتهم

على الارض

على الارض السيوف وافاء الله على الجيل غنائم لا يستوعبها
بيان ولا يستثبتها بنان ثم رأى قابوس ان يوعز بمداواة
الجرحى والفك عن الاسرى وصرفهم وراءهم بالخلع والكرامات
والاخبية والصلات شكرا لنعمة الله فيما اولاه وابلاه
لقدر منته في تحقيق ما رجاه وانشدني ابو منصور الثعالبي
ابياتا له في ذكر هذا الفتح الذي نظمه الله في سلك ايامه
والحق الذي اقرّه منه في نصابه

الفتح منتظم والدهر مبتسم ... وملك شمس المعالي كله نعم
والعدل منبسط والحق مرتجع ... والشعب ملتئم والجور مصطلم
القت مقاليدها الدنيا الى ملك ... ما زال وقفا عليه المجد والكرم
شمس المعالي وغيث المشرقين ومن ... به تتيه العلى والملك والحشم
هو الامام هو القرم الهمام هو ... البدر التمام هو الصمصام والقلم
هو الغمام الذي تخشى صواعقه ... قهرا ويرجو نداه العرب والعجم
هو المقيم وقد سارت مآثره ... كان علياه من دنياه تنتظم
والماء من جوده المأمول منسكب ... والنار من باسه المرهوب تضطرم

واستبلاك حدوده وجاء الاصبهبذ شهريار الى سارية وبها منوجهر بن شمس المعالي معتصرا بعقوته ومعتصما بعروته فاصاب اهل قريتهم غلاء عم بلاؤه وشمل الكافة داؤه وسببه بسط الايدي بالغارات وانتهاب ما اوعته الرحايا للارماق من الاقوات فاضطر نصر الى الانصراف عن رستم بن المرزبان للقحط الشامل والبلاء النازل فلم يهنه الاصبهبذ عند انقلابه ان ركض على رستم فاجلاه عنها الى حد الري منخوبا مسلوبا ومخذولا مغلولا فصفت له ناحيته وانحسمت عنه مذاة نصر وعاديته وكان ابو نصر احمد بن محمود الحاجب قد الجاه بعض المحن التي دهته الى خدمة شمس المعالي فمهد له كنفه وحكم في اصطناعه شرفه ووالى الرغائب والصنائع اليه وملأ من الاموال يديه وسهل ركوب المطالب عليه ثم رماه في وجه نصر بن الحسن مزاح العلة بقدر الكفاية من ذوي البسالة والنكاية فخف اليه بجاش ثبت ووجه على الحادثات صلت واجر وعليه

الارض جربا بكرا على يده وعوانا على ايدي اعوانه ومدده ثم حمل على جموعه حملة شردتهم كل مشرد وطردتهم بين اعين البيد كل مطرد وعلق في حبالة الاسر جستان بن الراعي وابن هندو وغيرهما من اعيان القواد واصطف على جدالة الحرب من القتلى ما شبعت به الضباع بل سمنت عليه الوحوش الجياع وانهزم نصر من بين يديه الى بسمنان وكان نصر على جلالة بيته وفخامة عشيرته ورهطه مغرما بالحيف والغشم ووافقت ولايته مدرجة الحجيج وزوار البيت العظيم وزمزم والحطيم فشملهم غشمه في كل سنة بوجوه من المطالبات المختلفة والمعاملات المجحفة حتى انتشر عنه سوء الاحدوثة وحبط عليه جمال تلك الجملة الموروثة ولعل عثار الزمان به عدوى ضجيج الحجيج عنه بالاستغاثة في حالتي الوقوف والافاضة وواصل نصر الدعاء مكبته في الاستنفار والاستنهاض من صرعة العثار فمد له في

طول التطويل بانواع التعليل والتأميل مواعيد كما لاح سراب المهمه القفر فمن يوم الى يوم ومن شهر الى شهر وبلغه بعد ذلك ان مجد الدولة ابا طالب وشمس المعالي قد تصالحا على احتيال تحصيله والظفر به فساء ظنا وضاق بالامر ذرعا ونمي اليه ان بعض قواد السلطان يمين الدولة وامين الملة وكان يعرف بارسلان هندوبجه والي بسنان قد اوقع بابي القسم السيمجوري واجلاه عنها الى الجنابذ فاغذ السير اليه على مظاهرته والتحصن بمرافقته ومضافرته وجعل يحطب في حبله ويفتل في ذروته بحبله وختله ويزين له قصد الري معه لاحتلالها على ابي طالب ايهاما لتغلل النيابة في طاعته ودخل الاهواء في متابعته فاغتر ابو القسم بتغريره وانجر في جريره وسار الى جوار الري فتلقاه من سرعان الكتائب من غصت بهم لهوات تلك المخارم والمسارب ولما راى ابو القسم ان الامر جد والطريق منسد خنس وراءه عاضا على البنان منخزلا

لعارض الحرمان وبلغ شمس المعالي انصرافه مع نصر عن وجه الري فنفذ فيهما بعفاريت الاكراد من كل جانب ودحرجهم عن حدود مملكته بعذاب واصب ولما رايا ان الارض تلفظهم يمينا وشمالا وتنفيهم جنوبا وشمالا تواثرا على قصد السلطان يمين الدولة وامين الملة مستامنين اليه ومستعدين على الزمان بالمثول بين يديه فمضيا الى حضرته وتوشحا بجمال خدمته فاما ابو القسم فهرب على ما سبق ذكره الى ان اودعه الحبس اسره واما نصر فاقام على الخدمة مدة الى ان اثاره السلطان باقطاعه ياروجو منذ طعمة له فنهض اليها واب عليه حمته القناعة بها فلم يزل يضطرب في حبالته الى ان خدع من الري وحمل منها الى قلعة استوناوند فجعلت عليه حصيرا وساء ذلك مسيرا ووكل شمس المعالي بعد ذلك بحو الى القلاع فيما بين جرجان واسترابادوما وراءها من احاطهم احاطة الخلخال بخدمة البعير حتى افتتحها غيلة ومكيدة ومراعاة لحقوق الاستسلام والتسليم وكيدة فصفت له تلك الولاية بحدودها وحواشيها وقلاعها وصياصيها بما اعد



وَاَجْرَي لِلْبَدَنِ بِكَفَافِ الطُعْمَةِ قَدْ فَطَمَ النَفْسَ عَنْ مُلَحِ
المَلَاهِي فَلَمْ يَعْرِفِ اللَّهْوَ مَا هُوَ وَلَا البَطَالَةَ مَاهِيَ عِلْمًا مِنْهُ
بِاَنَّ المُلْكَ وَاللَّهْوَ ضِدَّانِ وَاَنْ لَيْسَ لِالْتِقَائِهِمَا تَدَانٍ وَلَقَدْ
اَحْسَنَ اَبُو الفَتْحِ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ البُسْتِيُّ الكَاتِبُ فِي نُصْرَةِ هَذَا الرَأْيِ بِقَوْلِهِ
اِذَا غَدَا مَلِكٌ بِاللَّهْوِ مُشْتَغِلًا فَاحْكُمْ عَلَى مُلْكِهِ بِالوَيْلِ وَالحَرَبِ
اَمَا تَرَي الشَمْسَ فِي المِيزَانِ هَابِطَةً لَمَّا غَدَا بُرْجَ نَجْمِ اللَّهْوِ وَالطَرَبِ
نَعَمْ وَلَا اَحْرَصَ عَلَى اِنْصَافِ اَصْنَافِ الرَعِيَّةِ وَآخَذَ
بِاَطْرَافِ العَدْلِ فِي القَضِيَّةِ وَاَبْرَعَ فِي الآدَابِ وَالحِكَمِ
وَاَجْمَعَ بَيْنَ ذَرَابَةِ السَيْفِ وَذَلَاقَةِ القَلَمِ وَرَسَائِلُهُ مَوْجُودَةٌ
فِي البِلَادِ عِنْدَ الاَفْرَادِ لَكِنِّي اَكْتَفِي مِنْهَا بِلُمْعَةٍ مِنْ بَوَارِقِ
بَيَانِهِ وَزَهْرَةٍ مِنْ حَدَائِقِ اِحْسَانِهِ اِذْ كَانَ فِي تَصَفُّحِهَا مَا
يُغْنِي عَنِ التَكَثُّرِ فِي هَذَا المَكَانِ بِهَا فَمِنْهَا رِسَالَةٌ اَنْشَأَهَا فِي التَرْجِيحِ
بَيْنَ صَحَابَةِ النَبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِعَقِبِ رَسَائِلِهِ
القَدِيمَةِ وَقَرَائِنِهِ اليَتِيمَةِ وَهِيَ

لَسْمِ اللهِ

بسم الله الرحمن الرحيم

اِعْلَمْ اَنَّ اَصْعَبَ الاُمُورِ وَاَشَرَّهَا بَيْنَ الجُمْهُورِ هُوَ الخُرُوجُ
بِالنُبُوَّةِ وَالاِسْتِعْلَاءُ عَلَى الخَلْقِ بِهَذِهِ القُوَّةِ لِاَنَّهُ تَقْلِيبُ
الوُجُوهِ عَنِ القِبَلِ المَعْبُودَةِ وَاِدْخَالُ الاَعْنَاقِ فِي قِلَادَةٍ
غَيْرِ مَعْهُودَةٍ وَمُخَاطَبَةُ الخَلْقِ عَنِ الخَالِقِ خَالِقٍ لَا يُدْرِكُهُ
اَبْصَارُ الخَلَائِقِ وَقَدْ اِعْتَلَى نَبِيُّنَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
ذِرْوَةَ هَذَا الشَرَفِ وَمَا زَالَ مَنْ سَلَفَ مِنَ الاَنْبِيَاءِ خَيْرَ
الخَلَفِ وَفَازَ بِمَزِيَّةِ هَذَا الذِكْرِ العَظِيمِ وَاَذَاقَ العَرَبَ لَذَّةَ
النَعِيمِ وَنَقَلَهُمْ اِلَى الثَرْوَةِ وَالغِنَى مِنَ الفَقْرِ وَالفَاقَةِ وَاَرَاحَهُمْ
مِنْ رِعَايَةِ الجَمَلِ وَالنَاقَةِ وَلَيْسَ وَرَاءَهُ لِابْتِغَاءِ العُلَى اَمَدٌ فَمَا
فَوْقَ السَمَاءِ لِلسُمُوِّ مَصْعَدٌ ثُمَّ ضَبَطَ الاَمْرَ بَعْدَ ذَهَابِهِ عَلَى نِظَامِهِ
وَاِقَامَتُهُ فِي قِوَامِهِ وَهَذَا مَا تَوَلَّاهُ اَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ حِينَ
وَدَّعَ عُمُرَهُ مِنْ غَيْرِ اَنْ سَلَّمَ اِلَى اَحَدٍ اَمْرَهُ فَاِنَّهُ قَامَ بِهِ قِيَامَ
ثَابِتِ القَلْبِ مُسْتَقِلٍّ بِمُقَاوَمَةِ الخَطْبِ غَيْرِ مُفَكِّرٍ فِي رَدِّ

رادٍ ولا مبالٍ بمعاداة معادٍ حتى حمى حريم الدين وجمع شمل المسلمين ولم يرض بأن يلم ببيضة الشريعة ثلم ولا أن يتغير من أحكامها حكم فلقب خليفة رسول الله بابتدائه حياطة دين الله ثم تحصين حوزة الإسلام من عوارض الفساد وعادية الأعداء والأضداد والمجاهدة في استضافة ديار المخالفين إلى جانب الإسلام ومجامع المسلمين وهو ما أتاه عمر رضي الله عنه لما آل إليه الأمر فإنه صرف جهده إلى الجهاد وقصره وكده على افتتاح البلاد حتى اتسع نطاق هذه الملة وخضعت الرقاب لأهل هذه القبلة فلقب أمير المؤمنين إذ كان نعم العون لرسول رب العالمين وقد فرغ النبي صلى الله عليه وسلم من الأمر الأعظم والشأن الأفخم وإطفاء لهيب كل ملتهب على رغم من أبي لهب والتأم بسعي الشيخين شعب الأمرين الآخرين وبلغ من الإحكام مبلغا ليس فيه مستزاد ولا يشين بياض غرته سواد ولم يبق للتابعين سوى التمسك بدين ممهد ومراعاة

بناء

بناء مشيد فلم يقدروا على القيام به واحتجبوا وراء حجابه ولما الخلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه كان منه ما كان من تبديل زي النسك بزينة الملك وتغيير سيرة الأئمة حين توسع في النعمة حتى اجتنى ثمرة ما جنى ونبه به سوء ما أتى ولما عادت إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه هاجت الرياح من كل جانب وظهرت معاداة أعداء الدين وعميت عيون أهل اليقين وندت الأوابد وتبدلت العقائد وتحول أمر الدين تملك المغالبة ودول القتال والمجاذبة ووقعت الخلافة في الخلاف وبرز الشر من الغلاف وبقي علي رضي الله عنه على اضطراب لا يهدأ وفي مداواة داء لا يبرأ مع شجاعته المشهورة ومآثره المأثورة وانتهى آخره إلى ما انتهى حتى جرى عليه وعلى عقبه ما جرى فلينظر إذا كان الأمر كذلك أهؤلاء أحق بالقدح أم أولئك قد مضى القوم وآثارهم في الإسلام كالشمس في الاشتهار والهباء في الانتشار وصنيعهم صائح بحي على الفلاح وليس بأيدي الخصماء

سوى الشناعة والصياح وقرأت توقيعاته إلى بعض الأفاضل يستقدمه حضرته ليتوخى مسرته بحال من سمت به همته إلى قصد من يغلو عنده بهمته أن يكون على غيره غرجته والبيت من هواه زيارته وبهجته فأما خطه فخطة الحاسن فسمه إن شئت وشيا محوكا أو تبرا مسبوكا أو درا مفصلا أو سحرا محصلا وكان إسمعيل بن عباد إذا قرأ خطه يقول أهذا خط قابوس أم جناح طاووس فهو كما قال المتنبي

في خطه من كل قلب شهوة حتى كأن مداده الأهواء

ولكل عين قرة في قربه حتى كأن مغيبه الأقذاء

ذكر الحال التي انعقدت بين السلطان والملك الخان في التواصل والتصاهر والتعاقد على التعاون والتظاهر إلى أن خلعت بهجة البشر وكشرت لعصل الشر

قد كان إيلك الخان لما ملك السلطان خراسان على القذف بالسامان اغتنم تطهير وراء النهر عن كل منتسب إلى تلك الأرومة ومتشبث

بشعب

بشعب تلك الجرثومة فلم يدع هناك ذا ظفر إلا قلمه ولا ذا جد إلا اجتاحه واصطلمه ثم كاتب السلطان مهنئا له بما ذخر الله له من خالصة الملك وصافية الملك وظاهره إليه من ظاهرة العز وباطنة الصنع ومعتدا لنفسه بما قطفه من عنقود رجائه ملآوة على منفقة إقباله وعلاوة على جماله وجلاله وتردد السفراء بينهما في وصلة تبل رحم الحال وتوكد أسباب المودة والوصال وتحمي حريم الثقة في الجانبين وترفع ستر الحشمة في ذات البين وتودي ذنبة الاختلاط إلى الامتزاج وقربة الاشتباك إلى الإنتاج فتمير النفوس واجدة والسواعد على وجوه مصالحها متساعدة وأنهض السلطان عند ذلك الإمام كان بنيسابور في طلب أبي الطيب سهل بن محمد بن سليمان الصعلوكي إمام أهل الحديث بها رسولا إلى إيلك الخان وضم إليه طغانجق وإلى سرخس في خطبة كريمته عليه ونقلها في صحبته إليه وأصحبه ما عدا العد وحد من سبائك العقيان ويواقيت البهرمان وعقائل الدر والمرجان وتخوت الوشي

والجبن ونوادر البدو والحضر وصواني الذهب مملوءة من بيضات العنبر وأواني الفضة منضودة بشامات الكافور وغير ذلك من شاذات الهنود وقطاع العود وذكور الفحول وإناث الفيول تحت جذوع مغشاة بذوات التعاريج من ألوان الديابيج منطقة بعصائب تخطف العيون بريقها وتصطحب على الأقتاب معاليقها وعتائق صوامر كالقداح بخدود كمتون الصفاح في مراك كأنما جلي بعضها من قطع عقيق أو شعل حريق وحلي سائرها بنجوم الثريا والنثرة وبنات نعش من وراء المجرة وقرن ذلك كله بأموال على سبيل الألطاف تغمر ذوائب الأوصاف فسار الإمام أبو الطيب إلى ايلك الخان بما ينقل كريمة ويحمل من بحر الترك إلى ايران درة يتيمة فطلع على ايلك وأهل بيته طلوع النجم غاب إبانه بعد أن طال اغترابه والحبيب لطف إعتابه بعد أن تم هجره واجتنابه إعظاما منهم لقدر وفادته عن باب السلطان في ذلك المهم من الشان ثم لفضله في

نفسه فهو الإمام المقدم والصدر المحتشم ومن لا يقرن إلى درايته ضربت له في أبواب الفضائل وخصوصا في حل المسائل وأقام باوزجند إلى أن فرغ من أمر الزفاف وأزمعت عليه في الانصراف فعاد على جناح النجاح مصحوبا بمجلوبات الترك من نقر المعادن ونوافج المسك وفود المراكب وعيس الركائب وورود الوصفاء والوصائف وبيض البزاة وسود الأوبار ونصب الخنو وأحجار اليشب وطرائف الصين فانعقدت الحال بين السلطان وبين ايلك الخان انعقادا اشترك فيه المراتع والنعم واستهم فيه الصنائع والخدم وبقيت على جملتها في التأكد والتأكد إلى أن نزغ الشيطان بينهما فنغلت الضمائر وانحلت القوى والمرائر وتولى السيف تدبير ذلك الوصال بحل معقوده وفصل مسروده وسيأتي الشرح على الوقائع التي جرت بينهما في موضعها على الأثر فأما الآن فإني أشير إلى نبذ من محاسن هذا الشيخ السفير والكافل في الأمر في باب التدبير وأتبعه بذكر رجالات خراسان من أعيان رعايا السلطان الذين لم ينتظم أضرابهم زمان واحد

في سلك فمن منثور كلامه قوله من تصدر قبل أوانه فقد تعرى لهوانه يشير إلى قول منصور الفقيه الكلب أعلى همة وهو النهاية في الخساسة ممن ينافس في الرياسة قبل أوقات الرياسة وقوله العقل أطيب عيش والعدل أغلب جيش وقوله إذا كان رضى الخلق معسورا لا يدرك فإن ميسوره لا يترك وقوله إنما يحتاج إلى إخوان العشرة لمكان العسرة وقوله من تغافل عنك مع علمه بحاجتك إلى عونه فتوفير طلب عليك علة إذا عاتبته على تقصيره كأنه ألم فيه بقول القائل

توق الناس يا ابن أبي وأمي فهم تبع المخافة والرجاء

ألم تر مظهرين علي عتبا وكانوا أمس إخوان الصفاء

بليت بنكبة فغدوا وراحوا على أشد أسباب البلاء

أبت أقدارهم أن ينصروني بمال أو بجاه أو بسراء

وخافوا أن يقال لهم خذلتم صديقا فادعوا قدم الجفاء

ولبعض أهل العصر فيه

كلام الإمام إمام الكلام وفوه يفوه بدر النظام

مزاج معانيه في نظمها مزاج المدام بماء الغمام

وله فيه

ألا أيها الشيخ الإمام ومن به تبلج أفق الدهر عن فلق البشر

لئن كنت في الدنيا وأنت وشاحها عيانا فإن الدر في صدف البحر

ولم يحوك الدنيا لأنك دونها ولكن لأن الشيء يحصن بالقشر

وقد صين نصل السيف تحت قرابه كما صين نور العين بالجفن والشفر

ومن أعيان رعايا السلطان بنيسابور أبو نصر أحمد بن علي بن إسمعيل الميكالي وهو صنيعة السلطان وشيخ مملكته وجمال جملته فضلا موفورا وأدبا مشهورا وعزا معقودا ومالا ممدودا ورأيا كالأزي منشارا وحزما كالمرائر مغارا ودهاء يسلخ الليل البهيم نهارا ونظرا يستشف أستار الضمائر ويستكشف أسرار الضمائر وشعرا أنقى من السبح والجوهر ذكي المسك والعنبر رضي المورد والمصدر فمنه قوله

بأبي العلى والمجد والإحسان والفضل والمعروف والكرم باني

ليس البناء مشيدا لكن شيده مثل البناء يشاد بالإحسان

البر أكرم ما حوته حقيبة والشكر أكرم ما حوته يدان

وإذا الكريم مضى وولى عمره كفل الثناء له بعمر ثان



فاما كتابته فالسحر الحلال والعذب الزلال فهي تحكي بما تحويه
من لطف العبارة وحسن الاستعارة ومعسول الاشارة والشارة
رياض ميثاء الى قرارة ومن منثور كلامه رسائل منها ما كتب
به الى شمس المعالي قابوس بن وشمكير افرانيه كتابه
بسم الله الرحمن الرحيم كتب العبد وحاله
فيما يديمه مولاه من شرف اقباله ورضاه ويفيضه عليه من ملابس
فضله ونعماه حال من يقبل عليه دنياه ويسعد في ظل دولته باولاه
واخراه والحمد لله رب العالمين وقد وصل كتاب الامير موشحا بدرر
خطابه وغرر ايجابه وبدائع بره وافضاله وروائع انعامه واسباله
فيما اكرمني به من عز العيادة والتنبيه من حلل الفوز والسعادة
وشرفني به من التهنية عن العافية المستفادة فاوصل عز ابقى على
الايام اثره ولا يخلو عن الزمان ذكره ومفخره وفهمه العبد فهم
من آنس منه رشدا واقتبس من اثنائه قوة وايدا وسجد لله شكرا
على ما افاضه عليه من سجال السلامة ومد عليه من ظلال الفضل والكرامة
ورغب اليه في اسباغ العوارف عليه وصرف المحاذر عنه فاما ما

اهل

اهل الامير العبد له من شريف كتابه ولطيف خطابه ورقاه
اليه من درجة العيادة اولا ومنزلة التهنية ثانيا وانفاذ
القاصد ثالثا فان ذلك من نتائج همته العالية ودواعي شيمته
الزاكية التي تحنو على اوليائه وخدمه وتعطفه على اغذياء نعمه
فليس له في مقابلة ما اولاه ومعارضة ما كساه الا الشكر يديمه
والنشر يقيمه والرغبة الى الله تعالى يخلصها في اطالة بقائه وادامة
عزه وعلائه وانهاضه بواجب خدمته ومعرفة قدر نعمته
بمنه ورحمته هذا ولو ملك العبد في مقابلة هذه النعمة على
جلالة قدرها ونباهة خطرها وذكرها غير بذل المهجة والقرونة
في الطاعة واستنفاد الوسع والطاقة غاية يبلغها تقربا الى حقوقه
بما يقتضيها ويؤدي شرط العبودية فيها وحكم على نفسه بالعجز و
التقصير معها واذ قد جرم المراد فما يتمسك الا بالرغبة الى
الله في ان يتولى من مكافاته ما لا يسمح به الايدي ولا يفي به
الا بجده فهذا هو الكلام الذي يسر به عنان قد ولي الفضل
تحبيره وملك العقل رسمه وتصويره والقليل منه على الكثير

دليل وكلام الجليل كقدره جليل كما قيل
قليل منك يكفيني ولكن قليلك لا يقال له قليل
وقد اكثر الشعراء في مدحه لكني اثبت ابياتا لابي بكر الخوارزمي فيه من قصيدة اولها
زف المنام الي طيف خياله لو ان طيفا كان من ابداله
ولو ان هذا الدهر يشكر لم يدع شكر الامير وقد غدا من آله
لا يستخف الالحاح نائله ولا سؤل امرئ ينهاه عن اسآله
الوفر عند نواله والنيل عند سؤاله والموت عند صياله
والخلق من سؤاله والجود من عذاله والدهر من عماله
وفعاله كمقاله وشماله كيمينه ويمينه كشماله
يتجمع الآمال في امواله فيفرق الاموال في آماله
لا علم الاعزة في عزه لا جر الآجال له من حاله
وله علوم لو قسمن على الورى ما زاد عاقله على جهاله
وخلائق لو انهن كواكب اضحى الشمس في الضوء مثل هلاله
وفصول قول هن اعذب مسمعا من راحة المشغول من اشغاله
سبح البديهة ليس يمسك لفظه فكانما الفاظه من ماله

وكانما

وكانما عزماته وسيوفه في حده من خلقن من اقباله
متبسم في الخطب تحسب انه من حسنه متلثم بفعاله
هبني وفيت بحمده عن فضله من ذا يفي بالشكر عن افضاله
وله ايضا من قصيدة اولها
تلك الديار دريسة الاحقاب صنعت بعيني صنع ساكنها بي
والى الامير ابن الامير تواهقت زنجي الركاب بزازجي الركاب
لبس الدجى لبس الغراب لريشه وغدو الحاجتهم غدو غراب
والفجر يطرف في الظلام كانه فضلات عتب في خلال عتاب
طلبوا امرأ افعاله محسوبة ونواله فوضى بغير حساب
غدت المدائح وهي اسماء له ولغيره اضحت كالالقاب
والمكرمات كثيرة الخطاب الا انها تابى على الخطاب
متبسم الحجاب مكتئب العدى مثري النديم مجازف الحساب
شيم ارق من الهوى والذ من خطا العدو رددته بصواب
وعزائم لو كن يوما اسهما لنفذن في الايام غير نوابي
مائية الحركات الا انها نارية الاقدام والالهاب

بخطر ان بين سياسة ورياسة ويتمن بين مثوبة وعقاب
قد اصبحت الفاظه صور النهى وقوالب الاسماع والالباب
واذا احللت له جنابا واحدا احلّ المؤمل منك الف جناب
وما آل ميكال الا كما قاله الطمحان القيني
واني من القوم الذين هم هم اذا مات منا سيد قام صاحبه
نجوم سماء كلما غاب كوكب بدا كوكب تأوي اليه كواكبه
اضاءت لهم احسابهم ووجوههم دجى الليل حتى نظّم الجزع ثاقبه
وما زال منا حيث كان مسوّد تسير المنايا حيث سارت كتائبه
ومما يعد من مفاخره نجيبان له ابو الفضل وابو
ابرهيم عبيد الله واسمعيل ابنا احمد كل منهما بدر في ضيائه
وعلائه وبحر في تياره ونمائه غير ان ابا الفضل ابرع في
لطائف الادب وانظم لقلائد العرب وقد سار له من النظم
والنثر ما يزري حبر يوشي صنعاء وزهر يروض صنعاء فمن
فصول كلامه قوله وصل كتاب الشيخ فاذعنت القلوب
لفضله بالاعتراف واختلفت الالسنة في وصفه ببدائع

الاوصاف فمن مدع انه رقية الوصل وريقة النحل ومنتحل انه
عقد النحر وعقد السحر وسمط الدر وقائل هو سلاف
العنقود ونظم العقود فاما انا فتركت التمثيل وسلكت
التحصيل وقلت هو سماء فضل جادت بصوب الحكم ووشي
طبع حاكه سن القلم ونسيم خلق تنفس عنه روض الكرم
وايضا له وصل كتابك فكان احسن من روض الربيع وريط
الوشي الصنيع فلقبته بحلية الاحسان والابداع وحلية
النواظر والاسماع وسن الخواطر والطباع وصيقل الافكار
والالباب وعيار المعارف والآداب واجتليت منه تميمة فضل
ويتيمة مجد وثمينة عقد ولطيمة خلق وغنيمة بر يجلو صفحة العهد
ويجيل قدح الانس ويجلّ عن قدر الشكر كلام اعذب من
فرات المطر واعبق من فتات المسك والعنبر يزري بنور الخمائل
وقد عطرتها انفاس الشمائل ومن منثور الفاظه اخلاقك قد اخذت
من الورد عرفه ومن الند عبقه اخلاق هي المسك لولا فارته والورد
لولا شائكته والماء لولا اسراعه الى الكدر والروض لولا حاجته الى

المطر ووجه البدر لولا محاقه والمشتري لولا احتراقه وهو
عار من العوار كاس من العلاء وله الشرف اليفاع والامر
المطاع والعرض المصون والمال المضاع وله النوال السكب والراي
العضب وفيه الاباء المرّ والكرم العذب وهو واحد البشر وثاني
المطر ثالث الشمس والقمر لهفي على دهر الحداثة اذ غصن شبابي
غض وريق ونقل شرابي غض وريق النعمة عروس مهرها الشكر
وثوب صوانه النشر النعمة عند من يكفرها زائر تشكى غربة واساءة
والى المغرور يوسف من الرعب في خلق ويجري مع الريح في
طلق دارت رحى الحرب بين اجساد تباح ودماء تستباح
واجسام تطاح وارواح تستقي بها الرماح فالسيوف للهامات
دامغة والرماح في الاكباد والغة ومن نظمه قوله
لقد راعني بدر الدجى بصدوده ووكّل اجفاني برعي كواكبه
فيا جزعي مهلا عساه يعود لي ويا كبدي صبرا على ما كواك به وقوله
ضاق ذرعي في هوى قمر قمر القلب وما شعرا
لت اجفاني به سعدت فترى الحسن الذي قمرا وقوله

تفرق قلبي في هواه فعنده فريق وعندي شعبة وفريق
اذا ظمئت نفسي اقول لها اسقني فان لم تكن راح لديك فريق وقوله
انكرت من ادمعي تترى سوابقها على جفوني هل ابكي سواك بها وقوله
ان لنا في الهوى لسانا كتوما وفؤادا يخفي حريق جواه
غير اني اخاف دمعي عليه ستراه يفشي الذي ستراه وقوله
لنا صديق ان رأى مهفهفا لاطفه فان يكن في دهرنا ذوابنة لاطه
وقوله لا تسبحن بالحيوة ذائقة فكل نفس للمنون ذائقه وقوله
وكل غنى يتيه به غني فمرتجع بموت او زوال
هب جدي زوى لي الارض طرا اليس الموت يزوي ما زوى لي
ومن اعيان رعايا السلطان بناحية طوس وان كانت نيسابور دار
قراره ومعتقد ضياعه وعقاره ابو جعفر محمد بن موسى بن
ابي القسم بن حمزة بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن ابي طالب
رضوان الله عليهم اجمعين نسب كان عليه من شمس الضحى نورا
ومن فلق الصباح عمودا وقد خدم ملوك آل سامان وعاشر وزراءهم
وكتابهم وانتقط محاسنهم وآدابهم فالفاظه ينابيع العلوم واقواله مرابع

ومجالسه جدائق الجد والهزل وجوامع الكلم الفصل فلم تبق يتيمة خطاب ولا كريمة صواب ولا غرة حكمة ولا درة نكتة ولا طرفة حكاية ولا نفرة رواية الا وهي عرضة خاطره ونهزة ماجنه ونصب تذكره ومثال تدبره وتصوره لا تصدأ صفيحة فكره ولا تدرس صحيفة ذكره ولا يخسف بدر معارفه ولا ينزف بحر لطائفه ثم هو واحد خراسان من بين الاشراف العلوية في قوة الحال وسعة المجال واتساع رقعة الضياع وارتفاع قدر الارتفاع واشتداد باع العز وامتداد شعاع الجاه والقدر وقد كتبت عنه من نوادر الاخبار والاشعار ما حكيت بعضه في كتابي الموسوم بلطائف الآداب وما اورد الآن نكتا مما قاله وقيل فيه ابانة عن غرر معاليه فمن شعره قوله

وشادن وجهه بالحسن مخطوط ... وخده بمداد الخال منقوط

تراه قد جمع الضدين في قرن ... فالخصر مختصر والردف مبسوط

لو كان ادركه لوط النبي لما ... نهى لنا ابدا عن مثله لوط

وقوله

قد بت عزالي هو ملكي حقيقة ... يلذ به حيث اذا باي هم

جميل محياه وكالدعص ردفه ... لطيف سجاياه وليس له خصم

وقد اكثر الشعراء والادباء فيه فمن ذلك قول البستي

انا للسيد الشريف غلام ... حيثما كان فليبلغ سلامي

واذا كنت للشريف غلاما ... فانا الحر والزمان غلامي

ولابي الفضل الهمذاني المعروف بالبديع فيه

انا في اعتقادي للتسنن رافضي ... ولاجلك

وان اشتغلت بهؤلاء فلست اغفل عن اولئك

يا عقد منتظم النبوة بت مختلف الملائك

يا ابن الفواطم والعواتك والترائكة الارائك

انا حائك ان لم اكن عبد العبيد وابن حائك

ولبعض اهل العصر فيه

عيد البرية عيد المهرجان اتى ... اهلا بعيد اتى عيد الحبيب به

العيد لا لا ولا يبقى الى امد ... وعيدنا دائم اللالاء باقيه

لا زال سيدنا في ظل دولته ... وظله دائما مستن يواليه

محكما في رقاب الارض قد دنت ... يجنى له ثمر الاقبال جانبه

اعشاره المجد والبشرى جلائبه ... خراجه الدهر والدنيا جوابيه

وبني سيما بوردادا منافس اهل الفضل في ذكرنا بهاو وصف

شرفها وسنائها فمن ذلك قول البديع الهمذاني

دار قسمت عراصها ... تحكي الاباطح والرصافه

بين المروة والنبوة ... والخلافة والضيافه

فيها المصاحف والمعازف ... والسوالف والسلافه

لا زلت يا دار الكرام ... مصونة عن كل آفه

وفيها لابي عبد الله الغواص

يا دار سعد قد علت شرفاتها ... بنيت شبيهة قبلة للناس

لو زرت وقدا ولكشف ملمة ... او بذل مال او ادارة كاس

ومن افاضل العلوية ابو البركات علي بن الحسين بن علي بن جعفر بن محمد وهو الملقب بجود بن الحسين بن علي وهو الملقب بالديباج المدفون بجرجان ابن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن ابي طالب امير المؤمنين رضوان الله عليهم اجمعين شعر نسب توارث كابر عن كابر كالرمح انبوبا على انبوب وقد جمع الله له بين ديباجتي النظم والنثر فنثره منثور الريا من حادثها السحائب ونظمه منظوم العقود زانتها النحور والترائب فمن نثره فصل له احب ان تكون مكاتبتي للامير

انفالم ترتع وبكرا لم تفترع وسائبة لا تركب ولا تحلب فلا اشوبها بارب ولا اتسبب اليها بسبب فعل من لا يشين ولا آه طمع ولا تشوب دعواه عنت ولا طبع على ان الاضطرار يعبر في وجه الاختيار والعذر فيه مقبول عند ذوي الاخطار والاجرار ولا نهنى بحق الجوار ولقد نشر جرائد شكره واظهر بحسن النشر خباياه فملأ الارض ثناء والسماء دعاء وعادة الامير ان يحيي الآمال ويسترق الاحرار بالاموال فليجعل منكر ما هذا الامل محطوطا ولا يجعله محطوطا والسلام وله ايضا رقعتي هذه وانا عائد معود وقاصد بالزيارة مقصود اخاطب امدا فاني بما اخاطب واكاتب اخواني بما اكاتب سماني وبدة وادمني رعدة تمانى للحمى ولا نفار في الشكوى نفسي نفسان ونفسي نفسان كان للحول شاطرني فضوله فلت غرته وحجوله فالربيع بين عيني وحشوي والصيف كامن بين صدري وحلقومي وما عرفت لعلتي هذه سببا الا اني رايت نفس الحرية متشكية فشاركتها في شكواها ووجدت عين الكرم والكمال متاذية فاحتملت عنها اذاها

وقلت ممثلا لا متمثلا شعر ويعود سيدنا وسيد غيرنا ليت التشكي كان بالعواد
ثم ذكرت ما أعد الله تعالى للعباد من ثواب العلة في المعاد فاستصغرت
عند ذلك ما استعظمته وسهل مسلكي وإن استوعرته وقلت
سمح الله بما نكب الشيخ من العلة وأعطى الشيخ بها أمانا من القلة
وأعمى عنه ناظر الزمان ولا طرق إلى فنائه طوارق الحدثان و
تمنيت أني واصلت غدوي ورواحي في زيارة الشيخ مشاهدا
للحال وإقباله نحو البرء والإبلال ولكن حيل بين العير والنزوان
وعلى حالتي هذه فإني أستريح إلى خبر سلامته وأجتني لنفسي منه
منة وله أيده الله بإعادته إلى بدا ومنه ورأيه في التجافي
به موفق إن شاء الله تعالى ومن نظمه قوله

وأغيد سحار بألحاظ عينه يحكي بأثنيه من البان أملودا
سلحت بذكراه عن الصبح ليلة أسامر والكاس والناي والعودا
ترى أنجم الجوزاء والنجم فوقها كباسط كفيه ليقطف عنقودا

وكتب إلى أبي بكر الخوارزمي

لئن كان ذنبي أني اعتللت فذلك ذنب صغير صغير



وإن كان هجري من أجله فذلك ظلم كبير كبير
صدودك عني صدود الحقوق وصد سواك يسير يسير
فزرني قليلا تجد شاكرا لذاك القليل كثير كثير

وله في وصف الفانق

فإن كنت تهوى اليوم أكل الفانق فبادر إلى أمثال جيد الغرانق
إلى جامع اللذات طيبا وجودة فتى حققته طاه بصنعة حاذق
تراه على السفود عند ملائه كزنجية زينت بحلي المخانق
فبعض تدلى كالوشاح وبعضه منوط عليه في محل المناطق
فإنج لقيت الخير في حاجة امرئ وفي بشرط الود غير مماذق

ومن أفاضل أضرابهم القاضي أبو القسم علي بن الحسن الداودي بهراة
وهو عندي ممن يستحق أن يقال فيه ما قاله الصاحب لبعض من كان
يؤاليه لولا أن قدر الله عندي جنس واحد لقلت ليس في الفذلكة
وجود مثله في كماله وفضله جاوز السبعين وناهز الثمانين وأجد الأيام
منثورا ومنظوما وثاني الغمام معقولا ومعلوما ما شئت للعلم خادما وشابت
على العلى مخدوما فمن منثور كلامه فصل له من كتاب وصلت ملطفة
الشيخ فلطفت لغليل برد نسيمه ووجه بصنع الارتياح وردته بخبر

سلامته التي نسيمها عندي نسيم الجنان والوسيلة إلى السلوان وله
فصل كيف لا أعتد بصنع الله لي في تجلية ودده وعقيلة عهده وقد قل في
الله إخاء حين عز الإخاء وعدم بين الأوداء الوفاء وكاد لا يعدو في
وجودهما زائد ولا يظفر بهما منشد ولا ناشد وأصبحت المصافاة
مخاتلة ومخاترة والمخالصة مكاشرة ومناحرة وقد كان المتحابون في
الله أقل من القليل والإسلام عليه دون الشيبة وهو في بردته
القشيبة وله فصل من كتاب كلامي في مخاطبة الشيخ مماثل لانعكاس
شعاع الناظر ورد الغوارق ماء الغمام الماطر على المذهب الذي يذكره
علي بن الجهم في صفة الفوارق

ترد على المزن ما أسبلت على الأرض من صوب أمطارها

وله فصل
كان كل مجلس من مجالسه للأنس مرموقا وللازديار مشوقا فكان
مرويا مظمئا وموقدا مطفئا ومما أنشدت له من قلائد شعره وإن
كانت كالحصى تمثيلا تجل عن الإحصاء جملة وتفصيلا قوله

ربما قصر الصديق المقل عن حقوق بمن لا يستقل
ولئن قل نائل فصفاء في وداد وخلة لا تقل

أرخ سترا على جناية ذي هفوة ستر الصديق بمن يجل

وقوله

لو آثر قومي في الأمور فإنه نجح وترى الدرد بالإيناس
ولقد رفقت فأجليت بطائل ما ينفع الإيناس بالإيناس

وقوله

وأخلاق كأطراف الزجاج رفقت بهن رفقك بالزجاج
إلى أن عدن لي زبدا شهد كذاك يكون عاقبة العلاج

وقوله في مرثية أبي سليمان الخطابي

انظروا كيف تخمد الأنوار انظروا كيف تسقط الأقمار
هكذا هكذا تزول الرواسي هكذا في الثرى تغيض البحار
أحمد الدين والمروة والفضل أمة بينها الأقدار
مات من لم يكن لدنياه منك بحاه ولا عليه اقتدار
هي مغترة إليه خداعا وهو دون اغترارها فقار

وقد وصف أبو الفتح البستي فضله في أبيات له

أبا القسم استعبدت ودي بتالد تلاه بلا من ليبر كل طارف
أضعفت شكري حين ضاعفت أنعما تديضعف ابن الذي المتضاعف
أتاني كتاب منك فيه طرائف تفتل من أطراف الطرف ايف

صحيفة احسان بحر لجتها بجود اذا ما لاحظتها الصحائف
فو املني منها شبات مساعد وطالعني منها زمان مساعف
واصبح دهري عاذلا وهو عاسف وعادت رخاء ريحه وهي عاصف

ومن اعيان نجوم الدولة ابو نصر احمد بن محمد بن عبد الصمد الشيرازي الكاتب ابن الكاتب والنقاب ابن المناقب والبحر ابن السحاب والبدر ابن الشهاب والنار التي لا يخمدها الماء ذكاء والسيف الذي لا يألف القراب مضاء والسعد الذي يلي وبد السماء ذكاء ونماء فعطارد تلميذ افادته والمشتري مشتري سعادته وثاقب النجم عبد دهائه وشارق الشمس خادم رايه ورَوائه خدم ابوه ابو طاهر حسام الدولة ابا العباس تاش على ديوان اسراره بارعا في الصناعة مستغنيا في البراعة بخلو ما لفضل القول مرموقا بعين الطول فاضل الصاحب اسمعيل بن عباد فيحرق عليه قرطاس الادب ويساجله فملا الدلو الى عقد الكرب مصعب لا المصعبي يضاهيه ولا الموصلي يباهيه ولا القادسي يدانيه ولا البستي يسمع بعض مساعيه يجانس انجم النثر نثره ويناقب شعري المجرة

شعره فيما بلغني عنه قوله بحسام دولته وصاحب جيشه وحاجب سدته ابي العباس تدجمع في هذا البيت خصائص اوصافه وضم الى واسطة المدح اقاصي اطرافه دالا على نبوة الاعجاز ببرهان الاختصار والايجاز واراد الله سعادة هذا الفاضل فهداه نهج ابيه وعداه موقف التشبيه فما نمو الاشجار على طيب التربة والماء ليس نمو القامة والفخامة لكن نمو هلال الظلم وشبوب النار فوق العلم وصفاء الخمر ترشيما على القدم واختص بخدمة الامير الجليل ابي سعيد التونتاش خوارزمشاه اذ هو تاج الحجاب وناظر عن الباب فاعداه يمنه حتى لبس الملك فضفاضا وغني عن السواد وان كان عليه بياضا وانتقل بانتقاله عن سمة الكتابة الى رتبة الوزارة وعن حضيض الخدمة الى يفاع الشركة في الامارة فلم يشركه من ابناء جنسه في البلاغة اثنان وساد حتى اعيى من بني عبد المدان مدان فما وقع الي من نتيح قلمه وجر كلمه من كتاب خاطب به بعض اخوانه لعل الشيخ ابا ... يظنني اوثر مع مساعدة الزمان مباعدة الاخوان وارضى من صدر الوزارة بقلب كالحجارة فلم تزل البدائر

حلالا للعقود فطالما والامير والمحمود وكلا اني ما ازداد ارتفاعا الا ازددت بالصديق اتضاعا ولا انال على الايام رتبة الا ازددت الى الاخوان قربة غيري من تصلفه الزمان وتبدله السلطان ويذم عهدة الاخوان على اني بها نسيت عهدا او تناسيت وقلعت اخية الوفاء دون من آخيت فلست انسى عهده ولا ارضى قطيعته وهجره اني وقد قيدني باياديه الزهر واسترقني بعطاياه الغر فما ادري له بديلا ولا املك عنه تحويلا اعاذني الله مما بقيت من صدوده ولا سلبني طيب الانس بمنه وجوده وهذا القدر على مبلغ القدرة دال والتمييز البارع متى قصد الانصاف في المدح والتفريط مجال فهولاء اعيان رعايا السلطان في الفضل الواسع والادب الجامع ووراءهم من اعلام البراعة واحداث الصناعة من يزحف ذكرهم عن الغرض المقصود بهذا الكتاب ولم استقر اسامي المذكورين الا لانهم بالاضافة الى سائر اعيان البلاد افراد في ارتفاع المراتب واتساع الحظوظ والرغائب واضطراب الصيت في الآفاق وصوغ الايادي

قلائد الاعناق وسنعود الى ذكر السلطان يمين الدولة وامين الملة ووقائعه التي رضيتها خدود الظبات وان سخطتها نفوس العداة فننمي كل وقعة الى وقتها ويومها ونلحق شرح حالها بقوبها الى ان نوفي الكلام حقه من الاشباع في الحروب التي جرت بين السلطان وايلك الخان

ذكر غزوة بهاطية

لما فرغ السلطان يمين الدولة وامين الملة من امر سجستان وسكن له بابها وانجاب عنه غبارها اذ ناح لغزوة بهاطية فجر الجحافل مستوسين بشعار الهداة الثقاة ورايات الحماة الكماة حتى عبر سيحون ووراء الملتان الى مدينة بهاطية فالفاها ذات سور تزل عن سموها اجنحة النسور وقد احاط بها خندق كالبحر المحيط في الغور البعيد والعرض البسيط وهي مشحونة بمثل الوهم من عدة وعديد ومعمول من جديد وكل فيل كشيطان مريد وعظيمهم يومئذ المعروف بجيرا فاستخفته العزة بما حوته يده للبروز من وراء السور مهولا باعداد رجاله واشخاص افياله ومنطاولا ببلوغ الامداد

في قناله. وجثا السلطان عليه نار الحرب ثلثة أيام بلياليها يرميه بالصواعق من ظبى السيوف البوارق. ويقذفه بالشهب اللوامع من شبا الرماح الشوارع. وواصلها عليهم صبيحة الرابع بضرب يطير الجواجب عن العيون. ويزيل القبائل عن الشؤون. ورشق يدع الاجساد مناخل بل مناخر. وقد انفجرت عروقها. وأعيت على السكر شؤونها. حتى اذا توجت الشمس قمة النهار. أهاب بالشد على الكفار الفجار. فتجاوبت نغم التكبير استنزالا لنصر الله. وتنجزا لصادق وعد الله. وحمل أولياء الله على ذوي الافك والشرك حملة كشفت صفوفهم. وأرغمت بالذل أنوفهم. وأقبل السلطان كالفحل الفنيق يضرب بالبدين. ويقد الدارع بنصفين. ويتقي طغاة الكفر من كؤوس الحين. وملك عليهم بيه تلك الشدة الواحدة عدة من الفيلة التي كان يعتدها الكافر حصونا لقلبه. ويعدها سكونا لقلبه. وتماوج الفريقان في غمار تلك الجملة بين ثقف ينثر أدمغة الهام. وطعن ينزف حشاشة الاجسام. وأعلى الله راية السلطان بل راية الدين

والايمان. وأهب ريح النصر رخاء. وأعاد شدة العيش رخاء. فولى المشركون نحو المدينة اعتصاما بسورها. وانحصارا في دورها. فأعجلهم الطلب عن الاحتياط. وملك عليهم مداخل الحصار. وتعاون أفناء العسكر على سد خنادقه وهدم وثائقه. وتضافروا على تفسيح مضايقه. وتفتيح مغالقه. وقد كان بجيرا حين غلت مراجل الحرب واختلت مناجل الطعن والضرب. أحس بالهون والعطب وشام برق الويل والحرب. فاندس في عصابة من رجاله رجالة بالاجتياز ببعض الغياض. والاستناد الى شعف بعض تلك الجبال. فسرب السلطان كوكبة من خواصه في طلبهم فأحاطوا بهم احاطة الازرار بالاعناق و حكموا فيهم حدود البواتر الرقاق. فلما رأى بجيرا ما دهاه عمد الى خنجر في خصره. فهتك به حجاب صدره. وانتقل الى نار الله الموقدة. التي تطلع على الافئدة. جزاء لمن كان كفر. وتولى وجحد الاولى ولا صام ولا صلى. ولا سبح ربه الاعلى. نعم وأقبل عسكر السلطان فقتلوا المقاتلة. وغنموا الاموال الحاصلة. وحصل للسلطان مائة وعشرون

رانا من الفيلة بما يضاهيها من ذخائر الاموال والاسلحة ملكا عز على غيره مناله. وملكا تطفل على جلته جلاله. وأقام بهاطية الى أن طهرها من أنجاس أولئك الارجاس وأدناس أولئك الانكاس. ونصب بها من يعلم حملة الدين سنن الاسلام. ويبين لهم طرق الحلال والحرام. ثم كر الى غزنة موفور العلاء. منصور اللواء. عالي الراي سائر الجد على خط الاستواء. الا انه وافق منصرفه هوادي أمطار. وطوامي أنهار. وقوارع جبال. وقوارع أضداد. وأقتال. فاستغرق الغرق جل أثقاله. وشمل التفرق جملة من رجاله. ووقاه الله آفة تلك المسافة. ومهالك تلك المسالك. وهو يتولى الصالحين. وقد كان أبو الفتح البستي يكره حركات السلطان بنفسه في تلك المقاصد برأي يستمليه من عطارد. وحقا لقد كان يقول ما تشهد به العقول ولكن اذا جاء الهمام والسيف الحسام والبطش والاقدام فقد سقط الكلام. وبطلت الصحائف والاقلام. وأنشدني أبو الفتح البستي لنفسه في هذا الباب

ألا أبلغ السلطان عني نصيحة يشيعها ود ورأي محنك.

تجاوزت أوج الشمس عزا ورفعة. وذلك قدر الكل من قد تملكوا. فما حركات متعبات بديمها. تأن فأوج الشمس لا يتحرك. وهذه مسئلة تنازعها الاوائل فمنهم من يجعل لأوج الشمس حركة كسائر حركات الاوجات. فأما المحققون فقد أنكروه ببراهين هندسية. وأشكال برهانية.

ذكر غزوة المولتان

قد كان بلغ السلطان يمين الدولة وأمين الملة حال والي الملتان أبي الفتوح في خبث نحلته. ودخل دخلته. ودحس اعتقاده. وقبح الحاده. ودعائه الى مثل رأيه أهل بلاده. فأنف للدين من مقارته على فظاعة شره وشناعة أمره. واستخار الله الجار في قصد لاستتابته. وتقديم حكم الله في الايقاع به. وأمر بقيم الاطراف وكفت الذيول. وجمع الخيول الى الخيول. ومن تبعه اليه من مطوعة المسلمين من ختم الله لهم بصالح العمل. وأكرمهم باحدى الحسنيين في الازل. وزاد بهم نحو الملتان عند موج الربيع بسيول الانواء. وسيح الانهار بفضول الانداء. وامتلاء سيحون واخواتها على ذكائها. واستصعاب متونها على أصحابها. فطلب السلطان الى

اندبال عظيم الهند ان يطرق له في مملكته الى مقصده فتمنع
وتمرد واخذته العزة بالاثم فابى وتشدد ورأى السلطان غرة
الراي في دهمة ذلك الخطب ان يبدأ به على غرة جانبه ليذوق
صليبه ويبيح حريمه ويمزق لفيفه جامعا بين غزوتين
وتماطفا حتى الحنثين فسلط عليه ايدي القتل والاسار والنهب
والارهاق والهدم والاحراق يلجئه من مضيق الى مضيق
ويتبعه من طريق الى طريق فاوى لما عليه بلاده على التجار بحكم تمود
رودا الى ان فتحت القنا من هتك حلق الدروع وسكرت
الظبى من رشف علق الاحشاء والضلوع وركب اثره في اغوار
دياره واعماق رباعه يتجشم دمات السهول ويقتحم الاجبال
ويقري عليه وحوش الجو من ضيق المداخل ووعر المغاور
حتى اضمرته نواحي قشمير ولما سمع ابو الفتوح والي مولتان بما جرى
من امر عظيم الهند وهو الوجيه الرفيع والسيد المنيع والسيف
الصنيع قاس باعه بشبره وذراعه بفتره وايقن ان زعل
الجبال لا تطاول هضبات القور وزرق البزاة لا تنال

بغاث

بغاث الطيور فعجل بنقل امواله على ظهور فيلته الى سرنديب
واخلى المولتان للسلطان يفعل فيها ما يشاء فثنى اليها عنانه
مستعينا بالله على من احدث في دينه واحدث بتوهينه فاذا
اهلها في ضلالهم يخبطون وفي طغيانهم يعمهون يريدون
ليطفئوا نور الله بافواههم والله متم نوره ولو كره المشركون
فضرب عليهم بجران المحاصرة وكلكل المناجزة والمناحرة جزرا
للغلاصم ونكالا للايدي من المعاصم وارصادا لهم بالفاقرات
القواصم حتى افتتحها عنوة وشحنها عقابا وسطوة والزمهم عشرين
الف الف درهم يرحضون بها درن استعصائهم ويذرأون
عن انفسهم محنة استشرائهم وابائهم وعبر ذكر ما اتاه الله
تعالى من نصرة الدين واثارة معالم اليقين عرض البحر الى
ديارات مصر حتى درست بها مقاماته التي لم يرو مثلها عن
ذي القرنين الى حيث انتهى من امر السدين فارعدت فرائص
الهند واخواتها حذار بطشه وانتقامه وخفقت بها نجوى الالحاد
وطمست صوى البغي والعناد فلله ابو تمام حيث يقول

كم مستغر تاك بالامس والخيل دقاق والخطب غير دقيق
حين لا جلدة السماء بخضراء ولا وجه شتوة بطليق
ان ايامك الحسان من الروم لجمر الصبوح حمر الغبوق
معلمات كانها بالدم المهراق ايام النحر والتشريق

ذكر عبور عسكر ايلك الخان نحو خراسان

قد كانت الحال في الالفة قائمة بين السلطان يمين الدولة وامين الملة
وبين ايلك الخان الى ان دبت عقارب الفساد في ذات البين
فاضطرب الحبل الساكن واشتعل الجمر الخامد وراعى ايلك فرصة
المجاهرة بسر المكاشرة حتى اذا صمد السلطان صمد المولتان
وغارت نحو تلك البلاد راياته وخفت عن اعيان بحاله
ولاياته سرب سباشي تكين صاحب جيشه واجد قرابته الى
خراسان في معظم اجناده وسير جعفرتكين وعدة من
قواده وكان والى طوس ارسلان الجاذب مقيما بهراة مامورا
بالانحياز الى غزنة متى نجم ناجم عناد او نعق ناعق بفساد
فاسرع الانقلاب اليها اخذا بوثيقة الحزم في ترك القتال وتربصا

بالجمل

بالجمل غاية الفصال وورد سباشي تكين هراة فاستوطنها وندب
الحسن بن نصر لصحابة الديوان بنيسابور فرتب الاعمال وواصل
الاستخراج ومال لهم كثير من اعيان خراسان لاستخفاء خبر
السلطان من جانب مولتان وتناقل الالسنة اهواء القلوب
وتوازع الظنون اخابير زور واراجيف غرور وامر الوزير
ابو العباس الفضل بن احمد بالاحتياط على الطرف بين غزنة
وحدود باميان وبخهير وسدها بحماة الرجال على حصانة
مداخلها وصعوبة مرالها وطير النذير الى السلطان بما انبث في
اطراف البلاد من حيات العداة وعقارب الغواة فاعجلته
بديهة البلاغ عن استتمامه وازعجته غلبة الحمية عن مقامه
فركب ركوب العاصف الثاف الحمام البارق يطوي الارض طي
المهارق بين انضاء وايجاف واحتذاء واعتساف وبين سهول
وظراب وسهوب وشعاب حتى القى عصا القرار بغزنة واقام العطاء
لابناء دولته وانشاء جملته وملأ ايديهم بالعطايا والرغائب وازاح
عللهم في المطايا والركائب واستنفر الاتراك الخلجية اجلاس الظهور

وأبناء الصوارم الذكور نفر منهم جن على جن وإن كانوا بشر
كأنما خيطوا عليها بالإبر وجاش بهم نحو بلخ وبها جعفرتكين فأسرع
الكرّ إلى ترمذ إشفاقاً من صفقة الضيغم الخادر وإحجاماً من
وثبة الأرقم الثائر واستقرّ اللطان ببلخ موفور الأنس والجذل
كما تحلى صفحة الشمس من برج الحمل وأمر باتباع سباشي تكين
أرسلان الجاذب في زهاء عشرة آلاف من أبناء الكفاح ومهجة
الأرواح بأشطان الرماح وسارع سباشي تكين نحو الوادي
للعبور فلم يرعه إلا العاديات ضوابح والموريات قوادح فكرّ
على أدراجه جائراً حائراً وعطف إلى مرو على أن ينسرح منها إلى
الشط على سمت المفازة فإذا الآبار مردومة والمناهل مطمومة
ووديعة الصيف مسبعوثة وأذيال السوافي على المعالم مجرورة
فانثنى إلى سرخس وبها المحتشم بن طاق رئيس الأتراك الغزية
فأحدق به إحداقاً سدّ عليه باب الهرب وضيّق دونه وجه
المجال والمضطرب فمانعه بما قدر ثم ظفر به سباشي تكين فقدّه
بنصفين بعد أن قتل منهم مقتلة عظيمة من الجانبين وأعجله

إرتداف أرسلان الجاذب إياه عن فضل المقام وروح الاستجمام
فارتحل إلى أبيورد ومنها إلى نسا وبينهما مرحلة واحدة كلما مدّ زهدا
وردّ ذاك ومتى ظعن ذاك أناخ هذا يتقاسمان أمداد الطلب
والهرب جماماً ولا يبردان اللباء إلا لماماً وقد كان سباشي تكين
قد حصّل عدداً من الحال والأسلحة من نواحي هراة وغيرها فصارت
ثقلة له دون الخفوف في وجه النجاة فهو يتيامن مرة ويتياسر أخرى
منكوساً على رأسه خوف الغار من إسلام ما زردت به يداه وأعياه
الخلاص بحشاشة النفس آخراً إلا بإفراج عن جملته وتفريغ الخاطر
عن الشغل به ولما قرب أرسلان الجاذب من نسا رحل عنها متوجهاً
نحو سبينار وأزعجه الطلب نحو جرجان فركب قلل تلك الجبال بين
الآجام الملتفة والغياض المختفة والمخارق الضيقة والمخارم
المضطربة وتسلط الدآلمة على أثقاله وأفناء رجاله حتى فشت نكاياتهم
فيهم واستأمن إلى شمس المعالي قابوس طوائف من أهل جملته لعدم
المراكب وذهاب الركائب وانفلّ هو على سمت دهستان حتى عاد
إلى نسا وجمع ما بقي عليه من تلك الأثقال فأمدّها إلى خوارزم شاه



على بن مأمون وكتب اليه يستودعه إياها أمانة لا يملك الحال
وحذره أن يمد إليها بغير الصيانة يده وأصحبها رجالة عسكره
والعجزة منهم عن صحبته واقتحم المفازة متوجها نحو مرو وكان
السلطان قد انحدر إلى طوس مراعيا ما يسفر عنه ركض أرسلان
الجاذب على أثره وإلصاقه الطلب الحثيث به فلما لمعه ركوب
سباشي تكين عرض المفازة أسرى على طريق مرو معارضا له في
مسيره وناقضا عليه قوى تدبيره فوصل إليها مخلصه عن وعثاء
تلك البيداء فرماه بأبي عبد الله محمد بن إبراهيم الطائي زعيم
العرب وسائر قواده رجال يرون الملاحم ولائم والوقائع
نقائع وسيوف الضراب عرائس وصفوف الكماة فرائس

فكان كما قاله سعيد بن حسان بن ثابت

فررت من معن وإفلاسه ... إلى اليزيدي أبي واقد

فكنت كالساعي إلى مثعب ... موائلا من سبل الراعد

وأحاطت به السيوف حيث لا ماء إلا منابع الأفواه وهي غاصة ولا
مرعى إلا شكائم اللجم وهي عاضة وأسر أخو سباشي تكين في زهاء سبع

مائة من وجوه الأمراد وزنوت القواد وأمر السلطان بقراخوليائهم
فافترعت قمود الكعابهم وجوامع لرقابهم وحملهم إلى غزنة ليري أهلها
حسن صنع الله لمن شاقه ونقض عهده وميثاقه وتخاسباشي تكين
في خف من العدد بجريعة الذقن فعبر جيحون إلى ايلك وقد كان
ايلك عبر جعفر تكين في زهاء ستة آلاف رجل إلى بلخ تأتيا لاستنفاد
عزيمة السلطان في قصد سباشي تكين وإخراجه فتهاون بهم حتى فرغ
الخاطر من أمره ووضع ما أنقضه من الشغل به عن ظهره ثم ثنى العنان
إليهم سندا أغص الهواء بغباره واستغرق أوقات ليله ونهاره فلم
يدعهم إلا رأياته بأجنحة النجاح طائرة وخيوله في صهيل المراح
سائرة ولكن هم السلطان فلما رأوا الكمين انقلبوا منهزمين يختمون
دعوة الخلاص بآمين آمين وتبعهم صاحب الجيش أبو المظفر نصر بن
سبكتكين على ساحل جيحون كاسعا لأدبارهم ومثخنا في غادرهم إلى أن
عبروه فسلمت خراسان من عيث سوادهم وخلت عن مبثوث
جرادهم واضطرب ايلك حنقا لما جرى على عسكره من الضغطة الكبيرة
والصدمة المبيرة فاستعان بقدرخان بن بغراخان لقرابة بينهما

وكيدة ولحمة وشيجة واستجرّ بحفي مسألته الى ثاره مستظهرا
بنصرته واظهاره فاستجاش احياء الترك من مظانّها وحشر
بني خاقان من اقصى بلادها واستنفر دهاقين ما وراء النهر
في جيوش تجلّ عن الحدّ والحصر وسار في خمسين الفا او يزيدون
حتى عبر جيحون مدلّا بعسكره المائج وبطشه الهائج ومعتضدا
بقدرخان ملك الختن ذي العدد والعديد والبأس الشديد
والايد المكين والبسط والتمكين في رجال كالنخاتي الفوالج
فوق البخود المواثج عراض الوجوه خزر العيون فطس الانوف
خفاف الشعور حداد السيوف سود الثياب من حلق الدروع
يحملون جعابا كخراطيم الفيول محشوة بنبال كانياب الغول ولما
سمع السلطان بعبوره في جمهوره وهو اذ ذاك بطخارستان سبقه
الى بلخ فاستوطنها فاطفاعنها طمعه وما لكا عليه ممنعه ومنجعه
واستعد للحرب فخرج السلطان في عساكر الترك والهند والخلج
والافغانية والغزنوية ابناء الجدّ والصدق وابناء الرشق
والمشق الى معسكر له على اربعة فراسخ من البلد يعرف بقنطرة
جرخيان

جرخيان وتسيّع المجال على الرجال رحب الفضاء على الدهماء و
زحف ايلك الى محاذاته في عدده الدهم وعسكره المجر
فطارد الفرسان وتجالد الشجعان سحابة يومهم على رسم
الطلائع امام الوقايع الى ان كفّهم حاجز الليل واصبح الناس على
ميعاد الحرب فعبّى السلطان رجاله صفوفا كالجبال الراسيات
والبحار الزاخرات ورتّب في القلب اخاه صاحب الجيش
نصرا ووالي الجوزجان ابا نصر احمد بن محمد الفريغوني
وابا عبد الله محمد بن ابرهيم الطائي في كماة الاكراد والعرب
وسائر جماهير الهنود ومساعير الجنود ورتّب في الميمنة
حاجبه الكبير ابا سعيد التونتاش فيمن ضمّه من اعيان
الرجال وفرسان الزحف والنضال وندب للميسرة ارسلان
الجاذب فيمن تحت قيادته من نجوم الابطال ورجوم القتال
وحصّن الصفوف بخمسمائة من فيلته التي تميد الجبال
من اثقالها وترتجّ لها الارض بزلزالها واقبل ايلك فشحن قلبه
بخواصّ غلمانه واعلام فرسانه وولّى قدرخان ميمنته في

انزاك الحتن بين آجام العوامل والجنن وشحن بجعفرتكين ميسرته
في كل اليس كالشجاع المحرج والحسام المرهف بين وفايات
الزغف والحجف وتحامل بعضهم على بعض فجليت المعركة سماء
غمامها قتام القسطل وبروقها بريق البيض والاسل ورعودها
صليل السلاح ورشاشها صيب الجراح واستنزل ايلك عن صهوات
الخيول الى صعيد الارض زهاء الف غلام يغلقون الشعور انصافا
وينصبون وسائط الاهداب اهدافا فشكوا بالنبال تجافيف
الفيول وشقوا بالنصال سرابيل الخيول ولما جد الامر واحتد
الجمر واعضل الداء واستفحل الاعداء وزخر وادي الخطب
بمده وكاد يخرج بادي الشر عن حده نزل السلطان الى صعيد
ربوة كان يستثرها لتدبر عطفات الحرب وتلافي زلقات ذلك
المركب الصعب فوضع لله خده وعفر شعره وارسل دمعه وقدم
نذره ودعا الله ان يحرس ملكه ويحسن فلجه ونصره ثم وثب
الى قعدته من فيلته المغتلمة فحمل بها وبسائر خاصته على قلب
ايلك فاهوى الفيل الى صاحب رايته فاختطفه بها من سرجه ورمى

به في الهواء من فوقه وتخلل الآخرين خبطا بخرطومه وشكا بانيابه
ودوسا باظلافه ونال اولياء السلطان من الآخرين بسيوف
تلغ في الدماء وترشف احساء الاحشاء فطارت قلوبهم هواء
واستحالت قوائمهم هباء وولوا على اعقابهم نافرين وتبعهم الطلب
بظباة القسر والقهر الى ان لفظتهم خراسان الى ما وراء النهر
ولقد احسن السلامي في قوله فكانما وصف حاله ومدح آثاره وافعاله

يا سيف دين الله ما ارمى العدى لو ان سيفك مثل عزمك يعدك
ما ان سننت لهم سنانا في الوغى الا اطل عليه منهم ابطل
والروض من زهر النجوم مضرج والماء من ماء الترائب اشكل
والنقع ثوب بالنسور مطرز والارض فرش بالجياد مخمل
يهفو العقاب على العقاب ويلتقي بين الفوارس اجدل ومجدل
وسطور خيلك انما الفاتها سمر تنقط بالدماء وتشكل

نعم وامتدح السلطان عند ذلك ابو القسم الحسن بن عبد الله
المستوفي بقصيدة اولها

ظهر الحق ثابت الاركان صاعد النجم عالي البنيان



وهوى للردى ذوو النكث والبغي وأهل الضلالة والطغيان

ما الذي غركم بمحمود المحمود إنجاحه بكل لسان

بأبي القسم المعظم ظل الله في الأرض صفوة المنان

من منا ويه نهزة للمنايا غرض للحتوف والأحزان

ملك ماد من مضى من ملوك الأرض لفظا وجاء عين المعاني

فخر المشرقان بالحظ منه فاستطالا فاشتاقه المغربان

أجهلتم بأنه ملك الأملاك طرا وتاج هذا الزمان

جمع الله فيه وهو فريد عالما للكمال في جثمان

سيفه والمنون طرفا رهان يحوجلق لعدو جند دان

خذ يميني بأن سيخضع حقا لليميني كل سيف يمان

لو عصا خرج يسمى اليمينية ظلت تحكك في السندان

إنما سيفه شبيه عصا موسى بن عمران صاحب الثعبان

وقر أجو لياتكم كيد سحر فإذا جاءت العصا فهو فاني

ملك وهو في الحقيقة جندي ملك صيغ صبغة الإنسان

ملك عادل فما دق في ضعيف وأخوه في حكمه سيان

اخذ

أخذ الهند باليماني ويحوي يمنا إن أراد بالهند واني

غاب عن غابة الهزبر لغزو الهند مستنصرا لأرضى الرحمن

فسبى واستباح واجتاح منهم وأحل النكال بالأوثان

وانثنى قافلا وقد ملأ الأيدي فيا وفاز بالرضوان

فسطا بأسه بطاغية الترك وأهل الشقاق والعصيان

طلعت راية له فتولوا كالعباديد ثلة من ضان

كم قتيل وكم جريح وغرق وأسير في القد ذي دسفان

طار أيدي سبا حسابكم ظنوا أنهم ملكوا على البلدان

خطبوا الملك فاعترتهم خطوب جرعتهم مرارة الخطبان

فنجوا أزم في السحون الوف والوف تهيم في جرجان

وبمرو وفي القفار إلى جيحون قتلى مأكل الحيتان

جزر للسباع في كل فج طعم للنسور والعقبان

بارك الله ربنا في خميس ردعنا خميس الفرعان

وكتب أبو الفضل الهمذاني إلى الشيخ الوزير أبي العباس هذا ورب الكعبة
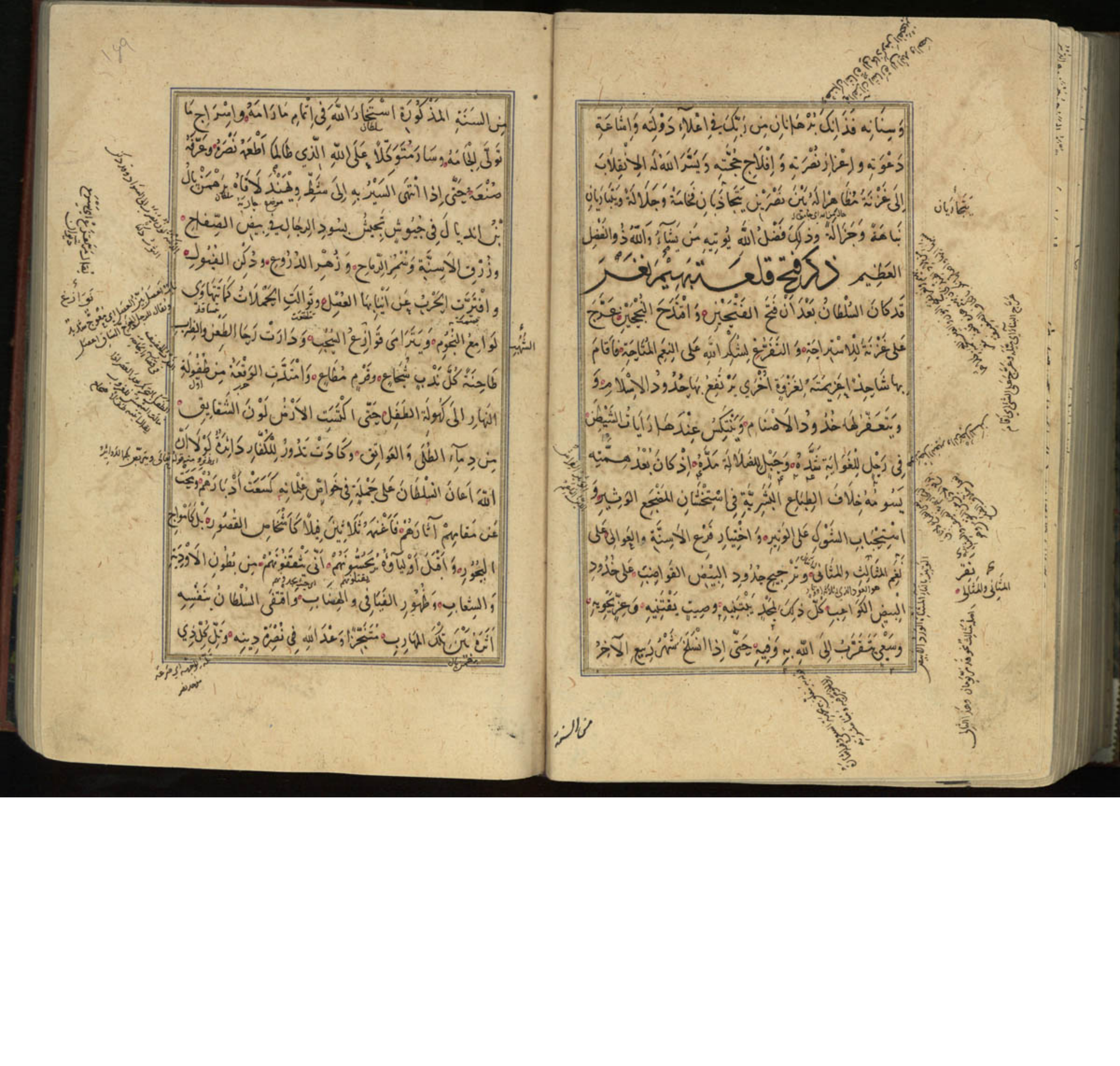
آخر ما في الجعبة لقد أنصف من رامى القارة ومجا السيف ما قال ابن دارة



ثم لا أثر بعدها للشرك ولا علم بعدها للشك لقد كان السلطان
إذ عفّر لله شعره وعرض على الله فقره وفوّض إلى الله أمره
وأخلص لله نذره وناهض بالله خصمه وسأل الله حوله ولم يعجبه
كثرة الملأ حوله شدّ الله بذلك أزره وقوّى أمره وأعزّ نصره وأقطعه
عصره وأطعمه ملكه وأورثه أرضه إنّ الظفر بأسبابه والموفّق
يأتي الأمر من بابه وله فصل منه إنّه الجلاد ثمّ الجلاد ما لكم
لا يحطمنّكم سليمان كتب الله ليغلبنّ السلطان وراءك إنّ السيف
أمامك وخلفك إنّ الموت قد أمّك
وأرمك أدنك إن تأرنا ثم نومة ليس فيها حلم إنّ المغازي قد عادت
مخازي الأدب ركض نادم وربّ شوط ظالم وربّ عثور إلى ثبور
وربّ طمع يهدي إلى طبع ألا إنّ هذا الفتح فتح يحفظ على الشريعة
ماءها وعلى السنّة ذماءها وعلى النفوس دماءها وعلى الأموال
نماءها وعلى الحرم غطاءها أعاد الله به البلاد خلقًا جديدًا وأنشأ الناس
نشأً جديدًا وعقد الملك عقدًا طريفًا فما أولى يومه أن يتّخذ عيدًا
ويجعل في المفخر قافيًا لمن يجاحد بذا وليس العقد مع الله بأنشوطة

فاوفوا

فأوفوا الله عهده كما صدقهم وعده وأما عهده عند السلطان
أن يحسن النظر وعهده عند الشيخ الجليل أن يحسن المحضر ومراعاة
من البلاد شيعة هذه الدولة وعيبتها فإن حُطّ عن حملها
العلاوة وأزيل عن عترتها الإتاوة فلله هذا النظر ما أحلى ثماره
وأكرم آثاره ولما وضعت هذه الحرب أوزارها وأفاضت عن
البشر أنوارها سنح للسلطان أن يثني أعنّته إلى جانب الهند
للإيقاع بالمعروف بنواسه شاه أحد أولاد ملوك الهند كان
نصبه ببعض ما افتتحه من ممالكهم خلافة على سدّ ثغورها
وتحصين أطرافها وحدودها إذ كان قد استحوذ عليه الشيطان
فارتدّ في حافرة الشرك وانسلخ عن جلدة الإسلام وراطن دعاة
الكفار على خلع ربقة الدين والانفصام عن عروة الحبل المتين
فعنّ من فوره إليه وصبّ سيوفًا تقطر من دماء مخالفيه عليه
وكلما بادر أفواج الرياح واختصر أوقات الإظلام والإصباح
حتى نفاه عن مثواه وملك عليه جملة ما حواه وأعاد إلى تلك
البقاع بهجة ملكه وسلطانه وحصد نجوم الشرك عنها بحدّي سيفه



وسنانه فذلك برهانان من ربك في إعلاء دولته وإشاعة
دعوته وإعزاز نصرته وإفلاج حجته ويسر الله له الانقلاب
إلى غزنة مظاهرا لمن نصرين يتحاذيان فخامة وجلالة ويتباريان
نباهة وجزالة وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل
العظيم

ذكر فتح قلعة بهيم نغر

قد كان السلطان بعد أن فتح الفتحين وامتدح النجحين عرج
على غزنة للاستراحة والتفرغ لشكر الله على النعم المتاحة فأقام
بها شاحذا عزيمته لغزوة أخرى يرتفع بها عمود الإسلام و
يتعفر لها خدود الأصنام وتنتكس عندها رايات الشيطان
في رجل للغواية شده وحبل للضلالة مده إذ كان بعد همته
يسومه خلاف الطباع البشرية في استحسان المضجع الوثير و
استحباب الشوك على الوثير واختيار قرع الأسنة والعوالي على
نغم المثالث والمثاني وترجيح خدود البيض القواضب على خدود
البيض الكواعب كل ذلك لمجد يبتنيه وصيت يقتنيه وعز يحويه
وسعي يتقرب إلى الله به وفيه حتى إذا انسلخ شهر ربيع الآخر

من السنة المذكورة استخار الله في إتمام ما رامه واستدراج ما
تولى إلجامه وسار متوكلا على الله الذي طالما أطعمه نصره وعرفه
صنعه حتى إذا انتهى السير به إلى شط ويهند لاقاه برهمن بال
بن انديال في جيوش تحبس بسود الرجال وبيض الصفاح
وزرق الأسنة وسمر الرماح وزهر الدروع ودكن الفيول
واقترت الحرب عن أنيابها العصل وتوالت الحملات كما تتهاوى
لوامع النجوم وتترامى قوارع السحب ودارت رحا الطعن والضرب
طاحنة كل ندب شجاع وقرم مطاع وامتدت الوقعة من طفولة
النهار إلى كهولة الطفل حتى اكتست الأرض لون الشقائق
من دماء الطلى والعواتق وكادت تدور للكفار دائرة لولا أن
الله أعان السلطان على حملة في خواص غلمانه كسعت أدبارهم وبحث
عن مغابنهم آثارهم فأغنمه ثلاثين فيلا كأشخاص القصور بل كأمواج
البحور واقتل أولياؤه يحتسونهم أنى يثقفونهم من بطون الأودية
والشعاب وظهور الفيافي والهضاب واقتفى السلطان بنفسه
أثر ابن تلك الهارب متنجزا وعد الله في نصرة دينه ونيل كل ذي

بنفاق وشقاق جبينه فاقتفى به الطلب الى بهيم نغر احصن قلعة
بنيت على حرف طود رفيع خلال ماء منيع وقد كان ملوك الهند
واعيان اهلها وجماعات النساك من ذوي الاملاك بها يدخرونها
مخزنة للصنم الاعظم فينقلون اليها قرنا بعد قرن من انواع
الذخائر واعلاق الجواهر ما يخف اوزانه ويثقل عند السوم
قيمه واثمانه عبادة بزعمهم لما يفيدهم الحسنى ويقربهم الى الله
زلفى فصادف السلطان منها ثمرة الغراب وزبدة الاحقاب ما
لا تقله ظهور الاجمال ولا يسعه اوعية الاحمال ولا تمسحه ايدي
الكتاب ولا يدركه فكر الحساب فحشر عليها جنوده وضرب
حواليها بنوده وانبرى لمنازلة مستخفظيها بقلب جرئ وانف
حمي وعزم ذكي وبطش قوي ورأي بالصواب وري ولما رأى
القوم غصص تلك الشعاب بمعاوير الجنود وتطاير النبال
مثلا كشرر الوقود استفزهم الرعب والوجل والوى باحلامهم
الخوف والوهل فحملت ابصارهم تلك الرتوق فتوقا وحاييك السدود
فروجا والسكون نشوزا وسخرتهم دولة السلطان ففتحتهم كلاب الادبار

والخذلان واعيتهم وجوه الامن الا من جانب الاستيمان فنادوا
جميعا بشعار السلطان وفتحوا باب القلعة وجعلوا ابتسا فظون
الى الارض للامان كالعصافير اخرجتها البوارش والغيوث
جادت بها الغيوم البوارق وفتح الله تلك القلعة على السلطان
فتحا يسيرا واتاه من لدنه صنعا كبيرا واغنمه ملء مقترح النفوس
من بنات المعادن والبحور وذات الثناب النعم والنحور ودخلها
في والي الجوزجان ابي نصر الفريغوني وسائر خاصته ووكل حاجبيه
الكبيرين التونتاش واسغتكين بخزائن العين والورق وسائر ذوات
الاخطار والقيم وتوكل بنفسه بخزانة الجواهر فنقل منها ما اقلته
ظهور رجاله واستحمل سائرها اعيان رجاله فكان مبلغ المنقول
من الورق سبعين الف الف درهم شاهية ومن الذهبيات
والفضيات سبع مائة الف واربع مائة من وزنا ومن اصناف
الثياب التسترية والديابج السوسية ما انطق مشايخ الزمان
والطاعنين في الاسنان انه لا عهد لهم بامثالها صنعة ونفوقا
وتزيينا وتلطيفا وفي جملة الموجود بيت من الفضة البيضاء كهيئة

بيوت الأغنياء، طوله ثلاثون ذراعا في عرض خمسة عشر ذراعا
صفائح مضروبة مهيأة للطي والنشر، والنصب والحط، وشراع من
ديباج الروم أربعون ذراعا في عرض عشرين ذراعا بقائمتين
من ذهب، وأخريين من سبيكة فضة، ووكل السلطان بتلك القلعة
من ثقاته من يراعيها، ويؤدي أمانة الاستحفاظ فيها، وكر عائدا
إلى غزنة في ضمان النصر والإظهار، وقران اليمن واليسار، ولما استقرت
عصا جانب القرار بها أمر بساحة داره، ففرشت بتلك الجواهر فمن
درر كالنجوم الثواقب، قد سلمت عن الأيدي النوائب، ومن يواقيت
كالجمر قبل الخمود، والجمر بعد الجمود، ومن زبرجد كأطراف الآس
نضارة، أو ورق الأقحوان غضارة، ومن قطع الماس كتماثيل
الرمان في المقادير والأوزان، واجتمعت وفود الأطراف على
إدراك ما لم يرو في كتب الأولين اجتماع مثله لأحد من صناديد
الفرس وملوك العجم والروم، وحضر ذلك المشهد رسل طغان خان
ملك الترك أخي إيلك، فرأوا ما لم تر العيون، ولم تبلغه الظنون،
ولم يملكه قارون، صنع الله الذي أتقن، إذا أراد شيئا أن يقول

له كن

له كن فيكون ⁂

ذكر آل فريغون

قد كانت ولاية الجوزجان لآل فريغون أيام آل سامان يتوارثها
كابر عن كابر، ويومي بها أول إلى آخر، أشراف النفوس والهمم
كرام الأخلاق والشيم، وطاء الأكناف لمنتزع الأطراف، خصاب
الرحال لوفود الآمال، دأبهم إجلال قدر الآداب، ورفع درجات
الكتاب، وافتراض حقوق الأحرار، وإغلاء أسعار الأشعار، فكم
من غريب آواه إحسانهم، ومن أديب أغناه سلطانهم، ومن
كسير جبره إنصافهم، ومن حسير أنهضه عطفهم وألطافهم، وكان
الأمير أبو الحارث أحمد بن محمد الفريغوني غرة تلك الدولة
وإنسان تلك المقلة، وجمال تلك الجلة، وطراز تلك الحلة، بما أوتي
من كرم خصيب، وكنف رحيب، وشرف رغيب، ومرتقى همة بعيد
ومستقى نائل قريب، وقد كان الأمير سبكتكين خطب
إليه كريمته على السلطان، ثم أوجب لولده أبي نصر أحمد بن محمد
كريمة له، فانتسجت اللحمة، واشتبكت العصمة، والتحمت الوثائق، واستحكم
الأواصر والعلائق، ولما مضى أبو الحارث لسبيله، ورثه أبو نصر

أبنه فأوجب السلطان إقراره على ولايته إشادة له بفضل رعايته
وعنايته إلى أن قضى نحبه في شهور سنة إحدى وأربعمائة
وأقرأني أبو الفضل الهمذاني المعروف بالبديع كتابًا له إليه جعله
مقدمة الوفود عليه فمالأني من رغائب الأيادي ما ملأ به يديه
وهو كتابي والبحر وإن لم أره فقد سمعت خبره والليث وإن
لم ألقه فقد تصورت خلقه والملك العادل وإن لم ألق لقيته
فقد لقيني صيته ومن رأى من السيف أثره فقد رأى
أكثره وما زلت أيد الله الأمير أسمع بهذا البيت القديم بناؤه
الفسيح فناؤه الرحيب أفناؤه الكريم أبناؤه وأنشد من هذه
الحضرة ضالتي والعوائق يمنة ويسرة تثنيني حسرة والزمن العثور
يقعدني ويثور فكم من عام عزمت وأبت المقادير وكم نويت وعرضت
المعاذير والآن لما وفقت لهذه الزورة اختلفت على أخبار الملك
العادل بين مستنفر واختلفت باختلافها رجلي في قوس الطريق
ورجلي في وثير على اقتصار ثم حتى بلغت مبلغي هذا ثم وسوس
إلى الشيطان بتقدير مقدر أني أقصد هذه الحضرة طامعًا في مال

أو طامحًا إلى نوال وعظم سلطان هذه الوسوسة حتى كاد يثنيني
عن درك الحظ من طلعته ولم أبعد مما ألقاه في خلدي أن يكون
ولكن يا سيدي تأبى الله الظنون أن تتصرف في قصدي إلا إلى معرفة
أفيدها أو خدمة أوردها أو مدحة أسمعها أو رجعة أسرعها
ثم أدخر هذه الدولة لمملكة أغصبها أو راية أنصبها أو كتيبة أغلبها
أو دولة أقلبها فأما الدرهم والدينار فدفعهما إلي ونزعهما من يدي
سواء لدي لا أشكر واهبهما ولا أشكو سالبهما إن لي في القناعة
كنزًا وفي الصناعة بختًا لا يبعد منال المال إذا أردته ولا
يحوجني إلى ركوب العقاب وسلوك الشعاب مهما قصدته بل
يجيئني عفوًا ويتطفل علي أيضًا وهذه الحضرة حرسها الله وإن احتاج
إليها المأمون ولم يستغن عنها قارون فإني أحب أن أقصدها
قصد موال لا قصد سؤال والرجوع عنها بجمال أحب إلي من الرجوع
عنها بمال قدمت التعريف وأنا أنتظر الجواب الشريف فإن نشط
الأمير لضيف ظله خفيف وضالته رغيف فليزجر له بالاستقبال
طائر الإقبال والسلام وله فيه لما يرد عن فنائه مستقلا شغله



ألم ترأني في سفرتي لقيت الغنى والمنى والأميرا
ولما تراءى شممت التراب وكنت امرءا لا اشم العبيرا
لقيت امرءا يملأ عين الزمان يعلو سحابا ويرسو ثبيرا
لآل فريغون في المكرمات يد أولا واعتذار أخيرا
اذا ما حللت بمغناهم رأيت نعيما وملكا كبيرا
فلا يعدم الملك ذا روعة يمون المنى ويسر السريرا

ولأبي الفتح البستي فيهم

بنو فريغون قوم في وجوههم سيما الهدى وسناء السودد العالي
كأنما خلقوا من سودد وعلى وسائر الناس من طين وصلصال
من تلق منهم تقل هذا أجلهم قدرا وأسخاهم بالنفس والمال
يا سائلي ما الذي حصلت عندهم دع السؤال وقم فانظر الى حالي
أما ترى أن حالي كيف قد حليت بهم لم ترحالي عند ترحالي
فإن أكن ساكتا عن شكر أنعمهم فإن ذاك لعجزي لا لإغفالي

ذكر القادر بالله أمير المؤمنين وانتصابه منصب أبائه

الراشدين بدار السلام واستقرار الامامة عليه وانعقاد البيعة له بعد الطايع لله وما اشتبك من الحال بين السلطان وبهاء الدولة ابي نصر وعضد الدولة في زمانه

قد كان بهاء الدولة وضياء الملة ينقم من الطايع لله أمورا تعد فيها عن غيره وفارقه وعذوله بها عن حكم استحقاقه فدعاه ما توالى عليه من خلاف رضاه الى مراعاة مصلحة الدين والملك باختيار من يرعى حق الامامة ويتولى حياطة الخاصة والعامة ويعزل هوى النفس في اتباع الحق واستشعاره ونصرة الدين واظهاره وحماية الملك من أقطاره وجعل يتلطف في التدبير عليه الى أن تمكن منه فخلعه واحتوى على ما كان جمعه وذلك في شعبان سنة احدى وثمانين وثلثمائة وأرسل الى البطايح وبها القادر بالله ابو العباس احمد بن اسحق بن المقتدر بالله فاستقدمه دار السلام لعقد البيعة له سدا للثلمة ونظرا للامة وازمانا بالالفة واحتيالا لمصلحة الجملة فعقدها



في شهر رمضان من هذه السنة وتسارع الناس الى مبايعته
واصفقوا على طاعته وتراضوا عن طيب النفوس بامامته
وتناهضوا لشكر الله تعالى على ما اتاحه لهم من بركات خلافته
ثقة بما اشتهر في الآفاق من مناقبه الغر وضرائبه الزهر
وفضائله المسطورة على صفحات الدهر فقام بما قلده الله من
طوق الامامة مفوضا اليه امره ومتوكلا عليه وحده فلم ير
في مقام من سرير الخلافة اوفر منه حصاة واوفر اناة واصلب
قناة واصدق تقاة وارضى سيرة واذكى بصرا وبصيرة وازكى
علنا وسريرة واتم جلالة وجزالة واعم سياسة وحراسة نعم
ولا اقوى منه جنانا واندى بنانا واجرى لسانا واعدل عقابا
واحسانا وعطفته عاطفة القربى على الطائع لله فاستخصه
لمنادمته واجتباه لمصاحبته وللخفه جناح رعايته وحمايته
تفاديا من غضاضة تلحقه في زمانه ونكبة ترهقه في ظل سلطانه
وجانب امانه الى ان فرق بينهما الدهر المولع بالتفريق واخذ
الرفيق ورثاه ابو الحسن محمد بن الحسين بن موسى العلوي

عن الرفيق

المعروف بالرضي الموسوي بقصيدة اولها

ان كان ذاك الطود خر فبعد ما استعلى طويلا
وعلى الفلل الذوائب العلى عرضا وطولا
قرم يسد بلحظه فترى القروم له مثولا
ويرى عزيزا حين حل ولا يرى الا ذليلا
كالليث الا انه اتخذ العلى والعز غيلا
وعلا على الاقران لا مثلا يعد ولا عديلا
من معشر ركبوا العلى وابوا عن الكرم النزولا
غر اذا نسبوا التنا الغرر اللوامع والحجولا
كرموا فروعا بعد ما طابوا وقد عجموا اصولا
نسبت خداد واده يستنجبون له الفحولا
يا ناصر الدين الذي رجع الزمان به كليلا
يا صارم المجد الذي مليت مضاربه فلولا
يا كوكب الاحسان انجلك الدجى عنا افولا
يا غارب النعم العظام غدوت معمودا جزيلا معمولا



لهفي على ما مضى أن لا أرى منه بديلا
وزوال ملك لم يكن يوما يقدر أن يزولا
ومنازل سطر الزمان على معالمها الحؤولا
من بعد ما كانت على الأيام مربأة نكولا
والأسد تركز في القنا فيها وترتبط الخيولا
من يسبغ المنن الجسام ويصطفي الحمد الجزيلا
من يمنح الأجال يوم تعود بالأبدان جولا
من يورد السمر الطوال ويكشف الخطب الجليلا
وتراه يمنع دوننا وادي النوائب أن يسيلا
عقاد ألوية الملوك على العلى جيلا فجيلا

وأما خطباء العراق وشعراؤهم كأعراف الجياد على مجلس
الخلافة في امتداح القادر بالله أمير المؤمنين وذكر مآثر
آبائه ومفاخر أسلافه مرابيع الكرم وينابيع الحكم ومصابيح
الظلم ومجاديح الأمم وليوث البهم وغيوث القحم وبلغني أن
مقاماتهم مدونة بالعراق من بين منظوم ومنثور وفقر

وشذور

وشذور فلا حاجة بنا إلى تتبع ذكرها مع اشتهارها في ديارها
وحكى لي أبو محمد عبد السلام بن محمد بن الهيثم أحد أعيان
الكرامية بنيسابور قال قمت في مجلس القادر بالله أمير المؤمنين
خطيبا بحضرة بني هاشم ومشايخ بغداد وأعيان الحجيج فقلت
الحمد لله ذي العزة القاهرة والحجة الباهرة والنعم المتظاهرة
الذي عم إحسانه ودام سلطانه ولطف شأنه فلا راد لقضائه
ولا مانع لعطائه ولا معقب لحكمه ابتعث محمدا صلى الله عليه
وسلم من خير أرومة العرب مولدا وأفضل جراثيمها محتدا
وأطولها نجادا وأرسخها في المكرمات أوتادا فأيده أحسن
تأييد وأكد أمره أفضل تأكيد حتى استقل الدين به ناهضا
واضمحل الشرك داحضا وظهر أمر الله والمشركون كارهون
فعليه صلوات الله عدد الرمل والحصى ما طلعت عليه شمس
الضحى وعلى آله الطيبين ثم قيض الله من بعده الخلفاء الراشدين
لتمهيد الدين وتوكيد اليقين وتوهين كيد الملحدين فبسطوا
للإسلام بساطه ونجوا لأهل الآفاق صراطه إلى أن تأدى



الأمر إلى ذويه آل رسول الله صلى الله عليه وسلم وبني صنو
أبيه فأقاموا الإسلام عن أوده وأسندوا الأمر إلى مستنده
معتصمين بنصر الله صادعين بأمر الله معظمين لحرمات
الله وهلم جرا إلى أن تأكدت بيعة الخلافة بأمير المؤمنين
القادر بالله فهو نور العالمين وسنى ذكره على المنابر
مذ ورفع قوم مؤمنين من بعد التواء من أظهر العنا دو
انزواء من قصد الفساد وأبى الله إلا نصرة الحق وإدالته
وقمع الباطل وإذالته ولقد حدثني محمد بن الفضل الجلولي
قال حدثني الصولي عن المبرد أن العباس بن أبي حمدون
حدثه أن سعيدا الخطيب قال لما بايع الفضل بن مروان
المعتصم بالله أمير المؤمنين قام في الناس خطيبا فحمد
الله وأثنى عليه بايعت منبسطا ولو لم تنبسط
كفي لبيعته قطعت بنانها من ذا إليه لا يمد يمينه
قطع الإله يمينه فأبانها ولو الذي في خدمة أمير المؤمنين
ما يقارب هذا ويشاكله وذلك أنه أظهر بيعته لوارد كتابه

على

على جبين التواء من النوى بناجية لج وقال فيها
سبقت يميني نحو بيعة قادر بالله لما حالفته يد القدر
ما ضر بيعته التواء من النوى والله مبرمها بمكنون الزبر
ولقد أراه أحق من وطئ الحصى بوداده الشم البهاليل الغرر
فلأخلعن القلب مني إن أبى ولأقلعن العين إن زاغ البصر
وها أنا قد ساعدني توفيق الله حتى وطئت بساط أمير المؤمنين
شاكرا لما أنعم الله علينا بولي أمير المؤمنين محمود بن سبكتكين
فإنه في رشه كاسه والله نسأل أن يديم سلامة أمير المؤمنين
وأن يبلغه أمله في أبي الفضل ولي عهد المسلمين الغالب بالله ابن
أمير المؤمنين ويلحقه بسعادة آبائه الراشدين وأسلافه
الطاهرين والحمد لله وصلى الله على نبيه محمد وآله أجمعين
قال فأمر القادر بالله بأن تنسخ الخطبة في جملة أخواتها
المسطورة المخزونة ولما أرجت منابر خراسان بذكر القادر بالله
على ما أوجبته طاعة السلطان يمين الدولة وأمين الملة لأمر
الله في اقتفاء محجته واقتفاء خليفته وحجته كاتبه بإزاء

من الافضاء الى ابنه ابى الفضل بعده فى ولاية امور المؤمنين من بعده
وتلقيبه بالغالب بالله ورسم توثيقه وايجاب حقه والحاق ذكره على المنابر
باسمه وطبع النقود على ذكر تلقيبه فاوجب السلطان مطاوعته
فيما امر ومتابعته فى جميع ما رسم متقادن ذكراها فى الخطبة وترافق
اسماهما على صفحات الفضة والذهب وسنعود الى ذكر بهاء الدولة
وضياء الملة من لدن استاثر الله بعضد الدولة ابى شجاع فناخسرو
الى ان افضى الامر اليه واستقر الملك عليه وفيما نطق به كتاب الصابى
المعروف بالتاجى من وقايع عضد الدولة مع بختيار الى ان اظفره
الله به فقضى عليه بحد حسامه وجرعه كاس حمامه واحتياله على
ابى تغلب ناصر بعد انهزامه الى ان امكنه التدبير عليه بابن الجراح
احد المتغلبين من الاعراب على حدود الشام فقبضه لا لاهتمامه بما
امداها اليه واطماع الدهالة حتى تغفله وقتله وحمل اليه علاوته
ما يغنى عن تجديد ذكره ولما مضى عضد الدولة لسبيله وذلك فى رمضان
سنة اثنتين وسبعين وثلثمائة عند اشتغال اخيه مؤيد الدولة بوية
بمحاربة حسام الدولة تاش وعميدها فايق فى عساكر خراسان اجتمع

ابناء دولته على ابنه صمصام الدولة وشمس الملة فبايعوه متوازرين
وتوافقوا على طاعته متظاهرين واتاه الطايع لله امير المؤمنين فى
حراقة على ظهر دجلة يعزيه عن ابيه وقد ثار عوام الناس نظارة له
حتى اذا قرب منه بر اليه صمصام الدولة بخشم وجهه رسم الطاعة
وحق الخلافة وقال له الطايع لله نضر الله وجه الماضى وجعلك الخلف
الباقى وصير التعزية بعده لك لا بك والخلف عليك لا منك فاذرى
على خديه دموع عينيه وبادر الى الصعيد شكر الباس به عليه ثم
انتصب منصب ابيه فاجرى الامور على استقامة وتدبرها بسياسة
عامة وكان اخوه الاكبر ابو الفوارس شيرذيل بن عضد الدولة
غايبا الى مدينة كواشير من ارض كرمان فلما بلغه نعى ابيه كر
راجعا الى فارس وقبض بها على نصر بن هارون النصرانى وزير ابيه
فاستولى عليه جواصل اموالها ونقايا اعمالها وامتد منها الى الاهواز
فملكها على اخيه ابى الحسين احمد بن عضد الدولة وغلب على البصرة
معها وذلك فى رجب سنة خمس وسبعين وثلثمائة ثم استعد
لقصد بغداد طلبا لمكان ابيه واستضافة لما فى يد اخيه الى

سائر ما يليه وسار حتى إذا وافاها تلقاه صمصام الدولة بما أوجبه
حق سنه عليه إجلالا ومهابة ومداراة ومقاربة تفاديا من ضرر
استيحاشه وعدوى مساءته غير عالم بأن غمدا فردا لا يسع
سيفين وأن وترا واحدا لا يضم سهمين فقرّبه أبو الفوارس
ورفع محله ثم خلعه وكحله وأمر به إلى قلعة كيوسنان من أرض عمان
واستولى على المملكة ولقبه الطائع لله بشرف الدولة وزين
الملة فبقي على جملته سنتين وفجئه حكم الله تعالى في جمادى
الآخرة سنة تسع وسبعين وثلثمائة فقام شاهنشاه بهاء الدولة
وضياء الملة أبو نصر بن عضد الدولة مقامه وتجرد لضبط الأمور
المائرة وتلافي الحال الحائلة وكفل بالملك كفالة خبير بالتجارب
بصير بأعقاب العواقب ومال الأتراك بفارس على صمصام الدولة
فأبرزوه من معتقله وحمله غلامه المعروف بسعادة على عاتقه
منجدا به فملك فارس وما والاها وتتبع أموالها فجباها ثم تنكروا
له من بعد وقدموا أبا علي بن أبي الفوارس وعقدوا الرياسة
عليهم ولقبوه بشمس الدولة وقمر الملة وتجردوا للدفاع عنه والذب

الى

إليه فانتدب لمواقعتهم إلى أن هزمهم أقبح هزيمة وغنمهم أبرد
غنيمة فخنسوا إلى بغداد ما بين خاسرين فركب بهاء الدولة
وضياء الملة لقتال صمصام الدولة قنا وشا الحرب وما لا
ككعوب الرماح ما بين المساء والصباح حتى خربت البصرة وتلاها
في الخراب أكثر كور الأهواز وقد كان أولاد بختيار محتبسين
في حصار بناحية فارس فاستنزلهم طائفة من الأكراد الخسروية
عن معتقلهم موقدين نار الفتنة باستنزالهم وفك عقالهم
فناصبهم الحرب مستكفا شرهم ومستدفعا بأسهم وضرهم فاختلفت
به الوقائع بين تلك الفتن الثائرة والإحن الثائرة فكانت عقباها
أن أجلت عنه قتيلا وتدبّر بهاء الدولة للحادثة عليه فأرصد
الجناة بطائلته حتى شرّدهم كل مشرّد وطردهم كل مطرد وألجأ
أولاد بختيار إلى الجلاء عن تلك الناحية وزعيمهم يومئذ سالار
بن بختيار الملقب بنور الدولة وكان من أمره أنه أخذ عنها
مجذوذا مثبورا فاضطرته الحال إلى خفارة التجار في تجاراتهم
وإجازتهم على مراصد القطع ببضاعاتهم على حرج يستعين به من

جمعتهم على هون معايشه ورياشه واتبعه بهاء الدولة بجيش فاتبعوه
بكواشير فقتلوه ووصلوا اليه فقتلوه وحمل غلام منهم راسه الى بهاء
الدولة فاستعفى بمرجم الدالية واللحية الجانية من تشجعه على ملاقاته
به فامر بالغلام فسلخ جلده من قرنه الى قدمه جزاء لمن اقدم على
سفك دمه وبعث بعميد الجيوش الملقب بالصاحب الى
نفد اذ لمراعاة تلك الاعمال واستيفاء حقوق بيت المال
فاستدت سيرته وحدت في العدل بصيرته وعم رفقه بحجيج
بيت الله الحرام بالمنائح العظام فانطلقت بشكره الالسنة الخاص والعام
الى ان قبضه الله اليه فسد مكانه بوزير الوزراء زيادة في النظر
للرعية فاربى على عميد الجيوش في الاحسان الى الكافة امدادا
لهم وارفاقا بهم وطرحا عنهم وصفت نواحي فارس وكرمان لبهاء الدولة
منضافة الى سائر اعماله وقعدت الفتن القائمة عن سوقها في زمانه
فعم الامن والسكون وشمل الرفق والهدوء واستراح عباد الله
مما كان يفدحهم من وطأة الجيوش ويلحقهم من معرة اختلاف السيوف
وقد كان ابو علي بن الياس ملك كرمان ايام عضد الدولة لال

سامان واقام بها مدة من الزمان لا ينازعه فيها منازع ولا يدافعه
عنها مدافع وكان حبس ابنه اليسع في بعض قلاع كرمان اشفاقا من
معرته للوثبة راها في رأيه واضطراب تبينه في وجوه شمائله
وانحائه ولهي عنه مدة وهو يكابد بينهما بؤسا وضرا وشدة فاتفق
ان اشرفت سريات من نساء ابيه وجواريه عليه فرثين لضيق مكانه
ودبرن في وجه خلاصه وعمدن الى خمرهن فوصلن بعضها ببعض
وخلصنه بها من معتقله وتسامع اهل العسكر بخلاصه وانحلال
عقاله فتجمعوا عليه وانقطعوا بجملتهم اليه ممالاة له على ابيه لجفوات
نقموها منه وبلغ ابا علي خبر الحادثة فارسل الى ذوي التجارب
والتأنب باحنا عادعاهم اليه فاظهروا العجز بمكانه والتبرم بطول
زمانه وساموه مفارقة كرمان ليستقر الامر على ابنه اليسع بطاعتهم
له وتوخيهم موافقته فعول ابو علي قولهم بحسب المداراة والاحتمال
في عاجل الحال ثم جمع ما قدر عليه من صنوف الاموال وكر عائدا الى
بخارا جفيا بين اليسع وبين تلك الولاية واقام بغيبته بشر بن المهدي
وترمش الحاجب على خدمة اليسع وكفالة امره اذ كانت جدا شيمه



تقتضي استخلاف مثلها في دهائها وفرط ذكائها على حصانة أموره
وتبصيره الرشد في وجوه تدابيره ولما وصل ابو علي الى بخارا بولغ
في تمهيده وإكرام مورده وإجلاله من الإيثار والإكبار بمحل مثله
الى ان توفي بها في شوال سنة ست وخمسين وثلثمائة فاما اليسع فانه
ولي كرمان فحمى أطرافها وجبى أموالها وكان أخوه سليمن مقيما
بسيرجان واليا عليها فاغراه بشر بن المهدي به وأشار عليه بمعاجلته
قبل انتظام شمله واستمرار حبله فكتب اليه يستدعيه لمهم لا يستغنى
عن مفاوضته فيه فامتنع عن الاجابة لعلل اخترعها ومعاذير
تمحلها وضاق اليسع به ذرعا ولم يجد من مناجزته بدا فنهض اليه
محاربا حتى هزمه وغنم ماله فوقع سليمن الى بخارا واطمع اليسع نزق
شبابه في مغالبة عضد الدولة الى التحلج على بعض حدود عمله فكان
مثله مثل العير طلب قرنين فضيع الأذنين وذلك انه لما بلغ مفرق
الحدين بين كرمان وفارس اتاه صاحب طليعته بطائفة من
المستأمنة من عسكر عضد الدولة فاحسن اليهم وصب الخلع عليهم
ثم هرب نفر منهم راجعين وراءهم فارتاب اليسع برفقائهم

وظن

وظن أن وراء استئمانهم حيلة أو غيلة فأوسعهم تنكيلا وعمهم
بالعقاب قطعا وتمثيلا واستأمن عنه الى عضد الدولة جملة
من رجاله بخيلهم ورجالهم ورحلهم ومتاعهم فلما رأى أصحابه
تباعد ما بين الأمرين تألبوا عليه ونفروا عنه وتحزبوا عنه و
تسلل من جملتهم صفقة واحدة ألف رجل من وجوه الديلم الى
معسكر عضد الدولة وهو بناحية اصطخر وفشا الطربان بين
الآخرين فجعلوا يتسللون لواذا ويتفرقون جميعا وأشتاتا
حتى انفض عنه عامة عسكره وبقي في خاصة غلمانه وحاشيته
واضطر الى معاودة كواشير فأسرع منها بعياله وبما خف عليه
حمله من أثقاله وأمواله نحو بخارا لا يلوي على شيء دون الاغذاذ
في السير وطي بساط الأرض بحوافر الخيل فلما اتصل خبره
بعضد الدولة بادر على أثره الى كواشير فملكها واستصفى أموال
آل الياس بها ثم استخلف عليها كوركير بن جستان
ورجع عنها الى فارس ولما ورد اليسع ناحية خوش من
حدود قهستان خلف أثقاله وغلمانه بها وركب الجمازات



نحو بخارا للاستنجاد وطلب الامداد فلما وافاها قرّب محلّه و
وعى لحقه واستحضر مجلس الانس تخصيصا بمزية الاكرام
والاثرة فلما قد دعليه سلطان الراح لم يتمالك ان قال
مستبطئا لو عرفت قعود الهمم بآل سامان عن اغاثة الراجين
لها واللاجين اليها لطلبت غير هذه الحضرة ملاذا او معتصرا فخ
شن هذا المقال منه وامر به فنفي الى خوارزم وبلغ ابا علي بن
سيمجور حاله ومقاله فبعث الى خوارزم من قبض على غلمانه وامواله
فنقلهم واياها اليه غنيمة خالصة عن ايدي الاعتراض والاشتراك
واصاب اليسع بخوارزم رمد اقلقه والمه واستنفد وسعه و
جلده وحمله الضجر بالالم على ان فقأ عينه الرمدة بيده فسالت
على خده وكان ذلك سبب هلاكه وحينه ولم يظفر من اعقاب
الايلاسية بجدود كرمان احد بعده وازداد بلغ عضد الدولة علوا
وعزة وارتفاعا وشمولا الى ان ورثه بهاء الدولة وضياء الملة
فاجرى امورها بمجاريها الموزونة في حفظ الاطراف وبسط العدل
والانصاف ولما ملك السلطان يمين الدولة وامين الملة خراسان وافتتح

سجستان

سجستان وحصل بين ولايته وبين تلك الديار ذمار للجوار فاتحه
بهاء الدولة وضياء الملة بكتبه خاطبا لكريم وده على صداق قلبه
المعمور بمودة الالفة المقصود على تطلب مرضاته ووصل ذلك بهدايا
ومبارّات برجحت مدده وحلو جمته وندره فاجابه السلطان الى
ما خاطبه واوجب له مثل ما اوجبه واتحفه بما رهن الوداد واكد
الاتحاد وقضى حق المكافاة وزاد وتشوفت الحال بينهما الى زيادة
عصمة تتجدد بها البيوت والمزارع وتشترك فيها الاقارب والاباعد
فسفر مشايخ الدولتين في تشبيك اللحمة وتوشيج اسباب القربة
الى ان اتاح الله من ذلك ما عم القاصي والداني فائدته وشمل
الحاضر والبادي والطاري والثاني نفعه وعائدته

ذكر وقعة نارين

ونشط السلطان في سنة اربعمائة لغزوة في ديار الهند تكا
بها فرح نكاياته فيها تقربا الى الله تعالى واحتسابا للمثوبة من عنده
فنهض نحوها يجتاب الحبول ويخترق الحزون والسهول الى ان
توسط ديار الهند فاستباحها واذل لقاحها ونكس اصنامها
وعرض على السيوف اغتامها وسار على هيبته نحو مقصده

أوقع بعظيم العلوج وقعة أفاء الله بها عليه أمواله وأغنمه خيوله
وأفياله وحكّم فيهم سيوف أوليائه يحتثونهم بها بين كل سهب وفدفد ويحرزونهم
عند كل مهبط ومصعد ورده بهم الى غزنة فيما حواه من تلك الغنائم
الموفورة سالماً غانماً وافراً ظاهراً ولما رأى ملك الهند ما صب الله
عليه وعلى أهل مملكته من سوط العذاب بوقائع السلطان فيهم ونكاياته
في قاصيهم ودانيهم وأيقن أنه لا قبل لهم بثقل وطأته وخشونة
جانبه وسطوته أرسل اليه أعيان أقاربه وقرابينه ضارعاً اليه
في هدنة يقف فيها عند أمره ويتسمح له بماله ووفره ويتجرد
أوقات دعائه لنصره على أن يقود اليه بادي الأمر خمسين
فيلاً يعد آحادها بأضعاف فيما تقل أجسام وخفة أقدام وتحمل معها
ما لا عظيم الخطر كثير القدر بما يضاهيه من هبات تلك الديار
ومتاجر تلك البقاع وعلى أن يناوب كل عام بين أفناء عسكره
في خدمته ببابه بألفي رجل بادين وعائدين إلى إتاوة معلومة
يلتزمها كل سنة يتمسك بها من يرث مكانه ويقوم
في كفالة الملك مقامه فأوجب السلطان إجابته الى ملتمسه

لعز

لعز الإسلام بذل طاعته وإعطائه الجزية عن يده فوق استطاعته
وبعث اليه من طالبه بتصحيح المال وقود الأفيال فنقد ما وعد
وقدم الوفاء بما شرط وبعث بمن ضمن تجهيزهم الى بابه من خواص
رجاله على جملة الخدمة وإقامة رسم الطاعة وحفظ الحرمة فانعقدت
تلك الهدنة ودرت تلك الإتاوة وتتابعت القوافل بين خراسان
وبلاد الهند في ضمان الأمان وجوار الحيطة والإحسان

ذكر غزوة غور

اتفق للسلطان فكر في جبال الغور وتمرد أهلها
وتمنعهم على عطلهم عن حلية الدين وسمة الإسلام وحصولهم في المقلة
من عين حوزته والمركز من دائرة مملكته وتأذي المارة والسابلة
بعيث إرصادهم وعيث قطعهم الطرق وإفسادهم لاستطالتهم
بمناعة جبالهم الشواهق ومجال مسالكهم المتضايق فأنف
للدولة القاهرة من أن يخليها على غلق أقفالها وسدة رتاجها
فصمم العزم على تدويخ ديارهم وتذليل رقابهم وانتزاع نعرة
الاستطالة من رؤوسهم واستلال وحر العصيان من صدورهم
فأجلب بخيله ورجله معولاً على صنع الله وفضله وقدم أمامه والي



هراة ألتونتاش الحاجب، وإلى طوس أرسلان الجاذب
فسارا مقتحمين في مضايق تلك المسالك إلى أن أفضى بهما الدروب
إلى مضيق قد غص بكماة الغورية ممن لفظتهم القرى القاصية
والجبال المتنائية، فتناوشوا الحرب تناوشا بطلت فيه العوامل
إلا الصوارم في الجماجم والخناجر في الحناجر، وتصابر الفريقان
على حر الكريهة حتى سالت نفوس، وطارت عن الهام رؤوس
وبلغ السلطان خبر الفريقين فلحقهم في خواص رجاله وجعل
يلجئهم إلى ما وراءهم شيئا فشيئا، ويملك عليهم ملاجئهم شعبا فشعبا
إلى أن فرقهم في عطفات الجبال الشوامخ، ولحقهم بقلل الراسيات
البواذخ، واستفتح الجبال إلى عظيم الكفرة المعروف بابن سوري
فغزاه في عقر داره، وأحاط به من جوانب حصاره، وهي في قصبة
تدعى آهنكران، وشد عليه الحرب، وبرز الرجل في زهاء عشرة
آلاف رجل رجال كأنما خلقت قلوبهم من الحديد، وأكبادهم من
الجلاميد، يستأنسون بأهوال الوقائع استيناس الظماء بماء الشرائع
فصافوا عسكر السلطان موعدين بالبطش والبأس مبدرقين

بصوارم

بصوارم الأسياف، وجعلوا يهرون في وجوههم هرير الكلاب أعياها
الفرار، وأحرجتها الانجحار، فأمر السلطان بمداركة الشد عليهم على أوجه
حكم الاحتياط، وكانوا مستندين إلى معاقل وثيقة، معتصمين بخنادق
عميقة، حتى إذا انتصف النهار على وقاحتهم في مغامسة الحرب
ومصابرة الطعن والضرب، أشار إلى موليتهم الظهور على وجه الاستدراج
والاغتيال، فاغتروا بخدعة الانقلاب، وانفضوا عن مواقفهم إلى
فسحة الفضاء، لاغتنام فرصة الانهزام، فكرت عليهم الخيول بضربات
عنيت بدواتها عن أخواتها، فلم ترتفع منها واحدة إلا عن دماغ
منثور، ونياط مبتور، وصرع في تلك المعركة الواحدة رجال كأنهم
محتطرا أو أعجاز نخل منقعر، وملك الأسر عظيمهم المعروف بابن سوري
بأقربيه وذويه، وسائر حواشيه، وأفاء الله على السلطان ما اشتمل
عليه حصاره من ذخائر الأموال والأسلحة التي اقتناها كابرا عن
كابر، وتوارثها كافر عن كافر، فأمر السلطان بإقامة شعار الإسلام فيما
افتتحه من تلك القلاع والربائع فأفصحت بذكره منابرها وأشرق
في عرصة دعوته أديانها وحاضرها، ورجع بعد ذلك عن وجهه على جناح



اليسر والنجاح والظفر المتاح وحين رأى ابن سوري حصوله
في ذل اساره واستباحة اللطان ودائع حصاره تبرم بحيوته
واستراح الى برد وفاته فامتص سما كان اودعه فص خاتمه
فجاد للوقت بنفسه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين

ذكر القحط الواقع في سنة احدى واربعمائة

وقع القحط بنيسابور في هذه السنة خصوصا وفي سائر خراسان
عموما فهلك بها وباطرافها دون غيرها مائة الف او يزيدون
وكم دفن منهم باطمارهم لضيق الاكفان بهم وعجز غسلة
الاموات عنهم وكان الناس من بين غلام وشاب وكهل وشيخ
وفتاة وعجوز يتداعون الخبز ويذوبون على انفسهم حتى تغور عيونهم
وتجب للموت جنوبهم ورعوا نبات الارض حتى استحكم اليأس عن الزروع
وانقطعت الاطماع عن الربوع وضاق بهم الامر فجعلوا يتتبعون
رمام الطعام على رؤوس الكناسات تعللا بها ومنها ذبح قصاب
ذبيحة اجتمع عليها الفوج بعد الفوج يتقاسمون بينهم نجيعها بالكيزان

والخزف تسكينا لحرة الجوع واجتزاء به عن القوت ولم ينل منه
احد الا سقط لجنبه وجاد من كثب بنفسه وعهدي بهم يتبعون
سقاطات حب الشعير عن الارواث وهيهات ان الشعير
لاعيا الانام فكيف البهائم والانعام ثم ترقى الامر الى ان اكل
الام ولدها والاخ اخاه والزوج زوجته وظل بعضهم يختلس
بعضا من شوارع الطرق الى الخربات ويطبخ منه ما شاء من
الباجات وحرمت الانسان على الناس لكثرة ما عثر عليها
من لحوم البشر تبيع في الاسواق وقبض على اقوام بلا عدد
كانوا يغتالون السابلة فيقصرونهم على هذه الجملة ووجد في دورهم
ما يغمر العد من رؤوس الناس قد اكلت لحومهم ومصت مخوخهم
فاما الكلاب والسنانير فلم يبق منها الا العدد اليسير وهاب
اوساط الناس وارباب الحرف ان يخرجوا وقت العشاء لحاجة
نائبة عن واسطة البلد الا في عديد وسلاح حديد وذكر لي
ان فقيها وجيها من اصحاب الحديث دخل على الامام ابي الطيب
الصعلوكي فسأله عن تطاول عهده به فقال لقد يأخذ الامام الاجل

عني أحد وثمة عجيبة رد الله تعالى علي بها روحي فضلا منه جسيما

وصنعا كريما وذلك أني جعلت أمر ببعض العتبات وجدت في تارج

أشار إليه فلم يدعني الأوتر ما دار في عنقي وجذبت به جذبة ضيقت

علي مخنقي فبينا أنا أهم بمواتاة الجاذب ومدانا به للسلامة عن

ضيق ذلك التخنيق إذ وثبت إلى امرأة من بعض تلك الأوباب

فضربت بركبتها الثنتين ضربة سقطت منها مغشيا علي فلم أشعر بعدها

بشيء من مصادف أموري إلى أن أفقت عن الحس بردما آدمى

بين وجهي وترابي فنظرت إلى قوم أجانب يجادعونني عما دهاني

ويكاتموني صورة ما عراني فأداهم ساعة وجيبني الحنثي أذ لوني

عائدين إلى منازلهم فهرب منهم من أشفق على قتلي واستباحة دمي

وتركني برمتي وخلي الوتر في عنقي فصبرت ساعة إلى أن

استوفيت الإفاقة واستعدت القوة والطاقة وعدت إلى المنزل

وسقطت من هول ذلك المصرع على الفراش عشرين يوما مذهوشا

مبهوتا وحرضا مبثوثا إلى أن من الله تعالى بالإبلال وزوال

أكثر ما مسني من ألم الاعتلال فبكرت يوم أحسست بالحية

إلى المسجد لإقامة الفرض وصعدت الميذنة على الرسم فلم

أستتم التكبير حتى اختطف عمتي من رأسي وهمّ أن أرادها حبه

به رقبتي فأخطأهم لما أراد الله تعالى من إنساء أجلي واستبقاء

مهلي فعدلت عن الأذان إلى الصياح لطلب الأمان وجعلت

بعد ذلك لله علي أن لا أخرج مدة هذه الفتنة من داري

إلا والشمس بيضاء نقية ولا أرجع إليها إلا وفي النهار بقية فهذه

هي التي ثبطتني عن الخدمة وأقعدتني عن الرسم في مشاهدة

الجملة فقضى الحاضرون عجبا من تلك الداهية وسألوا

الله تعالى حسن العافية وحكي عن الأستاذ أبي سعيد

عبد الملك بن عثمان الواعظ أحد الصالحين من عباد الله

المؤمنين والساعين في مصالح المسلمين أنه نقل إلى دار كان

يسكنها المرضى والزمنى من الفقراء وأبناء السبيل في يوم واحد

من أيام هذه السنة أربعمائة ميت عن برح الجوع والمخمصة

إلى أن يوعز بتكفينهم ودفنهم فأتاه جنازة الذي كان يقيم

جراايات المذكورين من جهته وهو في حيرته يذكر أنه قد بقي

في هذا اليوم بعينه مما كسد على البيع أربع مائة من خبز أصبهان
من يقضي على من يشاء بالفناء مع إمكان الأقوات ووجود الكفايات
وقد أكثر الناس في ذكر ذلك الغلاء والبلاء فمنه قول أبي نصر
الزاوهي الكاتب

قد أصبح الناس في غلاء ۰ وفي بلاء بدا ولوه
من لزم البيت يورد جوعا ۰ ويشهد الناس يأكلوه

ولأبي محمد العبدكاني الزوزني

لا تخرجن من البيوت لحاجة أو غير حاجة
والباب أغلقه عليك موثقا منه رتاجه
لا يفتننك الجائعون فيطبخوك بشورباجه

وأمر السلطان بالكتب إلى العمال بصب الأموال على الفقراء والمساكين
فاستبقى الله بها مهجات قوم قد أشرفت على الهلاك وأنقذهم من
حنك الاحتبال فبقيت تلك السنة على حالها إلى أن أدركت غلات
سنة اثنتين وأربع مائة فمن الله بإزالة تلك الشدة وإطفاء
تلك النائرة المتقدة وتدارك عباده بعد استحكام اليأس
بالغيوث الهامية والربوع الزاكية النامية ما يفتح الله

للناس

للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده
وهو العزيز الحكيم

ذكر ما أفضت إليه أحوال الخانية بعد معاودة ما وراء النهر

قد كان السلطان يمين الدولة وأمين الملة بعد انكشاف عسكر الترك
عنه يراعي ما يسفر عنه تدبير ايلك الخان وأخيه الكبير
طغان خان إذ كان أخوه يمالئ السلطان عليه لأيمان يزعم
لزومها إياه ومواثيق يدعي انعقادها عليه ويظهر البراءة
على ألسنة رسله من فعلات ايلك في منابذته ومكاشفته
والتخطي إلى حدود مملكته ويورك ايلك الذنب عليه في إغرائه بها
إياه ومكاتبته في البعث على ما جناه ولما ظهر لايلك أن أخاه
طغان خان قد جعله عرضة للجناية وقلده طوق المكاشفة برأه
منه وخذلانه إياه وشقه العصا وإسلامه له بما كسبت يداه
رأى أن يبتدئ به فيحسم داء قرابته ويغسل بالسيف وضر
جنايته فجمع جيوش ما وراء النهر لقصده واستنفد قلع
ملكه وعدده وسار حتى إذا جاوز أوزكند نحوه سقطت ثلوج

سدّت عليه مسالك العقاب المفضية اليه فارتدّ عن وجهه
الى قابل حتى طاب الهواء وانحسر الشتاء وجفّت الانداء
فكرّ عائدا على ثار لفت المشير موهنا نارهِ وكان ورد رسلها
في التنازع الذي تقدّم ذكره فتراجعا القول في البراءة
عن جناية العنود واحالة بعضهم على بعض في نقض المواثيق
والعهود فخلاهم السلطان في لغط القول حتى وصلوا بحران النقاد
الى برد الاشتفاء واراد السلطان بعد ذلك قراهم فامر
بتعبية جيوشه وتغشية فيوله فرتّب العسكر سماطين عن جنبتيه
في هيئة لو رآها قارون لقال يا ليت لنا مثل ما اوتي محمود
انه لذو حظ عظيم وصفة مقامه انه اصطف من غلمانه على
التقابل قرابة الفي غلام من عقائل الترك في الوان الديابيج من
بين سود وبيض وحمر وصفر وكمت وخضر وفيما يقرب من
موقفه خمس مائة غلام من خاصته على ترتيبهم في مثقلات
الروم بمناطق من ذهب مرصّعة بالجواهر واعمدة من جنسه
فوق الاكتاف والعواتق وقد اطاف بهم من عظام الفيول الاربعون

فيلا

فيلا على الجادات غواشيها ديابيج الروم بعصائب ومعاليق من
الذهب الاحمر مرصّعة بكل جوهر ثمين وياقوت رزين ووراء
السماطين سبع مائة فيل في تجافيف مشهّرة بالالوان مستورة
بالحراب والمزان وعامة العسكر في سرابيل قد كدّت القيون
وردّت عن اجتلائها العيون ورتّب الرجالة امام الخيول في
التراسة الواقية والجنن الحامية والسيوف المرهفة والعوامل
المختلفة وقام بين يديه حجّابه كالبدور في ظلم الديجور قابضين
على قبائع سيوفهم هائبين قدده ناظرين امره واذن لهؤلاء
الرسل على هذه الهيئة حتى لقوه واقاموا رسم الخدمة على ما
افترضوه ثم عدل بهم الى الموائد في دار قد فرشت بما لم يحك غير
الجنة مزينة للمتقين معرّفة للعارفين ففي كل مجلس دستوت
من الذهب الاحمر بين جفان كالجوابي واطباق كبار قد نضدت بها
من مدرج الى قدمه بما يشاكله في الاواني الفائقة والآلات
الفاخرة الرائقة وهيئ لخاص مجلسه طارم قد جمعت الواحه
وعضاداته بصفائح الذهب وصفائحه ووثقت بمسامير من



جنبيه وفرش من الديباج المثقلة بالأبدان للأبصار منه غير خمرة الذهب وفي الصدر منصة مقسومة بيوت مضلعة و مستديرة يشتمل كل منها على نوع من الجواهر التي أعيت أمثالها أكاسرة العجم وقياصرة الروم وملوك الهند وأقيال العرب وحوالي المجلس أطباق تحان من الذهب مملوءة من المسك الأذفر والعنبر الأشهب والكافور العطر والعود العبق وهلم جرا إلى ما يملأ الأبواع والأيدي من أترجات مصوغة ونارنجات مصنوعة وما يشبه الفواكه من عقيان وبذخشي وبهرمان إلى أواني لم يسمع بمثلها رقة أجسام ودقة صنعة وإحكام وطاف على الرسل ولدان كالدر المنثور واللؤلؤ المكنون براح كالماء المعين ورضاب الخرد العين إلى أن اشتفوا من عثرات العقول فاستأذنوا المعقول وصرفهم السلطان بعد هذه المأدبة وراءهم بما أوجبته همته من تحقيق أمانيهم ورعاية حق الملح فيهم وبقي الأخوان على جملتها في المنازعة والمناقرة والمكاوحة والمكافحة إلى أن توسط السفراء

المباحثة في الخصومة

بينهما

بينهما ففصلوا الأمر على ما كف كلا منهما عن صاحبه على ما سنورد ذكره في موضعه بإذن الله تعالى

ذكر قصدار

وقد كان السلطان يراعي ما يتجدد من أخبار الأخوين إيلك وطغان خان فيما تنازعاه من الأمر فلما بلغه استحكام الوحشة بينهما استخار الله في قصد قصدار إذ كان صاحبها قد ألم بجانب الجانبة وأخل بحمل مال المقاطعة اعتزازا بمناعة مملكته واغترارا بحصانة الطرق المفضية إلى حلته وفصل السلطان عن غزنة إلى بست موريا بقصد هراة حتى انتشرت الأخبار بعزمه واستفاضت الأحاديث بظاهر أمره ثم ركض إلى ناحية قصدار في الغلس من رجاله الخفة طوت تلك الجبال الوعرة والمسالك الصعبة فلم يشعر صاحب قصدار إلا بعلمان السلطان حول داره قبل أن يتجلى بضوء نهاره أو يحتفل لشد إزاره فنادى الأمان الأمان وبرز فخدم السلطان والتزم خمسة عشر ألف ألف درهم من جملة ما كان انكسر عليه من أموال عمله فالتزمها ونقد أكثرها وقبض السلطان على عشرين فيلا فخاما ضخاما كان اعتقدها ليومي بؤسه وبأسه

وكل من استوفى المال حمله ورجع عنه بعد أن رعى حق طاعته
ومراعاته باستخلافه على ما كان يليه وبسط يده في أطراف
عمله ونواحيه ورجع عنه إلى غزنة ظاهر النجح فائز القدح
عالي اليد واري الزند صنعا من الله لمن يجتبيه من خيار
خلقه لعمارة أرضه وإنارة حقه والله يعطي ملكه من يشاء
والله عزيز حكيم

ذكر الشارين أبي نصر محمد بن اسد الوالد والشاه بن محمد ابنه وما أفضى إليه أمرهما

قد كان يلقب كل من يلي أمر غرشستان بالشار سمة مصطلحا
عليها تنبئ عن معنى التملك ورتبة الإجلال والتعظيم وكان
الشار أبو نصر واليها إلى أن أدرك ولده الشاه وفيه لوثة
مشهورة فغلب على الأمر لقوة شبابه واستظهاره بمن شايعه
من أصحابه فاعتزل أبوه مخليا بينه وبين ما كان يليه وتفرد
بالنظر والتدبير فيه ومقتصرا على دراسة الكتب ومطالعة
الأدب إذ كان بها مولعا وبلذتها دون سائر اللذات مقتنعا
وكان منتجع الأفاضل من آفاق البلاد ينتابه منهم كل منتدح

خطا وبيانا ومتدرج به بلوى وامتحانا فما خنب بعد أن يغابه
ويشهد بابه حتى يستخصب جنابه ويستجزل بره وثوابه وكان
صاحب الجيش أبو علي محمد بن سيمجور لما انتح الاستعصاء
على الرضي رام أن يستضيف ولاية الغرش إلى ما يليه وأن يجد
من الشارين طاعة له في أوامره ونواهيه فأظهرا التمرد عليه
كراهة لاختياره على أرباب الملك الذين أعطوهم المقادة
قديما وسلموا لطاعتهم تسليما وذلا لأجل حصانة صياصيهما
وقلاعهما ومناعة حواشيهما وأشياعهما وبحماية الرضي على
حقوق طاعتهما وسوابق حرماتهما إن هم أبو علي بما زعجهما
ملكا وراثة أو طمع في فضل مال اقتناه فلم يمنه أبو علي أن جرد
إليهما أبا القسم الفقيه أحد أنياب دولته وأركان دعوته في
جيوش كثيفة وخيول على الآلاف منيفة فناهضهما في عقر
دارهما متوقلا إليهما فوارع تصافح السماء وشوامخ تناطح الجوزاء
ومتوغلا مخارم تمرد على السلوك مرود السموم على غلائظ
السلوك يناجزهما في كل تلك المقامات التي تدار عندها



بالرؤوس وتغشى على النفوس وتلجئهما من مضيق الى مضيق وتفجعهما
بفريق بعد فريق حتى اجلاهما عن قرارة بينها الى قلعة وراثاها السلافها
فى اخريات هاتيك الجبال تزل عن اعاليها اقدام الغيوم وتحلق
دون مبانيها كرام الطيور وملك عليهما صحون جبالها وسهوك
ديارها ومجالها بجيبها وتتبع ما ينتسب الى كل منهما فيها الى ان
صمد الامير ناصر الدين سبكتكين فى نصر الامير الرضى صمد
ابى على فاسترد ابا القسم الفقيه شغلا بالنازل القرم عن ابى
وبالعقاب المنقض عن الكركى وانى الوادى فطم على القرى
وانضم الشاران الى الامير سبكتكين فى نصرة الامير نوح فانتقما من
ابى على حين ولى هزيما وتعرى عما تولاه واقتنا حديثا وقديما
واجفل بنحو جرجان لا يملك دارا ولا عزيما ولم تزل بعد ذلك
حالها على جملتها فى الامنة والسكون والجار المصون الى ان ورث
السلطان يمين الدولة وامين الملة خراسان جعلها الله تعالى فى
ارضه يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين ولما اذعن
ولاة الاطراف للطاعة والتزام حكم المتابعة واعطاء صفقة

البيعة وفرع المنابر باقامة الخطبة وكلهم سمع واطاع وبذل
فى الخدمة والقربة المستطاع انهضت الى الشارين فى اخذهما
باقامة الخطبة له اسوة امثالهما من ولاة الاطراف وضمناء
الاعمال فتلقيا بفروض الطاعة والحرص على الاقتداء بالجماعة
وامرا بالخطبة فاقيمت باسم السلطان بكورة الغرش فى شهور سنة
تسع وثمانين وثلثمائة وورد على الشارين كتب المتجارين الى بخارا
عن جريمة مرو يذكرون انهم على الاستعداد والتجرد للمعاد
فلينتظراهم عن قريب وليأخذا من الاستبصار ودرك الثار بنصيب
فبعث الشار ابو نصر بها الى درج رقعة افردنى بها يسألنى تأملها
وانفاذها باعيانها الى اللطن ليستقر حاله فى الموالاة ومخالفة
ذوى المناواة والمعاداة فكتبت اليه فى جواب رقعته تأملتها
اطال الله بقاء الشار فوجدتها على خدود قد عمل فيها صيقل الوقاحة
للجذل يتوعد صاحبه بان يقرب نكبه ان لم يكف عنه كفيه
وما نحن فى هذا المعنى وفيها اولى الله مولانا السلطان من
الحسنى الا كما قال المتنبى

وَلِلّٰهِ سِرٌّ فِي عُلَاكَ وَإِنَّمَا ... كَلَامُ الْعِدَى ضَرْبٌ مِنَ الْهَذَيَانِ

فَأَمَّا قَوْلُهُمْ إِنَّا عَلَى الِانْتِصَارِ وَطَلَبِ الثَّارِ فَتِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ

إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ عَلَى أَنَّا نَقُولُ

لَئِنْ أَعْجَبَكُمْ حَامُكُمْ فَعُودُوا ... إِلَى حِمْصَ فِي الْقَابِلِ

فَإِنَّ الْحُسَامَ الْخَضِيبَ الَّذِي ... قُتِلْتُمْ بِهِ فِي يَدِ الْقَاتِلِ

فَإِنْ قَالُوا إِنَّ الْعَوْدَ أَحْمَدُ فَذَاكَ وَلَكِنْ لِمَنْ حَمِدَ الْبَدْءَ لَا لِمَنْ ذَمَّ وَمَا دَفِيهِ مَا سَرَّ لَا مَا سَاءَ وَغَمَّ وَقَدْ دَأْوَا فِي بَدْءِ لِقَائِهِمْ كَيْفَ شَرِقَتِ السُّيُوفُ بِدِمَائِهِمْ وَتَحَكَّمَتِ النُّسُورُ فِي أَشْلَائِهِمْ فَإِنْ نَشِطُوا ثَانِيَةً فَهَاتِيكَ الصَّوَارِمُ مَاضِيَةٌ وَالْقَشَاعِمُ ضَارِيَةٌ وَمَا أَشْبَهَ حَالَ الْقَوْمِ بِمَا قَامَ بِهِ ابْنُ الْأَشْعَثِ خَطِيبًا فِي قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ إِنَّهُ مَا بَقِيَ مِنْ عَدُوِّكُمْ إِلَّا كَمَا يَبْقَى مِنْ ذَنَبِ الْوَزَغَةِ تَضْرِبُ بِهِ يَمِينًا وَشِمَالًا فَمَا تَلْبَثُ أَنْ تَمُوتَ وَكَذَا الْمِصْبَاحُ إِذَا قَارَبَ انْطِفَاءَهُ تَوَهَّجَ قَلِيلًا ثُمَّ لَمْ يُغْنِ ذَلِكَ مِنْ حَيْنِهِ فَتِيلًا فَالْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي جَعَلَ سُيُوفَ مَوْلَانَا تَخْطُبُ عَلَى مَنَابِرِ الرِّقَابِ إِذْ جَعَلَ أَلْسِنَةَ أَعَادِيهِ تَخْطُبُ فَوْقَ أَسِرَّةِ الْأَذْقَانِ

وَإِلَيْهِ الرَّغْبَةُ فِي أَنْ يُطِيلَ بَقَاءَ مَوْلَانَا مَا طَلَعَ يَوْمٌ مِنْ حِجَابِ أَمْسِ وَطَلَعَ نَفَسٌ مِنْ قَرَارَةِ نَفْسٍ مَنْصُورًا عَلَى مَنْ نَابَذَهُ وَنَاوَاهُ لِيُودِعَهُ مِنْ بَطْنِ الْأَرْضِ مَلْحَدَهُ وَمَثْوَاهُ وَحَسْبُ سَبَرِي الثَّارِ كَيْفَ يَفْعَلُ اللّٰهُ بِالْغَاوِينَ وَيُلْبِسُهُمْ خِزْيَ الْبَاغِينَ وَيَرُدُّهُمْ أَسْفَلَ السَّافِلِينَ وَقُلْ وَبَعْدُ فَالْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَكَانَ الْأَمْرُ عَلَى مَا حُدِّثْتُ وَتَفَرَّسْتُ فَإِنَّ الْمَلِكَ انْحَدَرَ إِلَيْهِمْ فَمَلَكَ عَلَيْهِمْ دَارَ الْمُلْكِ بُخَارَا وَأَخَذَ مُعْظَمَ الْقَوْمِ أُسَارَى وَشَرَدَ الْبَاقُونَ فِي الْأَرْضِ حَيَارَى نَعَمْ وَطَالَعَتْ الْحَضْرَةَ بِصُورَةِ أَمْرِ الثَّائِرِينَ فِي الطَّاعَةِ حَتَّى حَظِيَا مِنَ الْإِكْرَامِ بِمَا تَوَقَّعَاهُ وَحَلِيَا مِنَ الْإِعْزَازِ وَالْإِيثَارِ بِأَكْثَرَ مِمَّا تَطَلَّعَاهُ وَحَضَرَ الْخِدْمَةَ بَعْدَ ذَلِكَ الْوَلَدُ الْمَعْرُوفُ بِشَاهْ شَارْ فَصَادَفَ مَا اسْتَحَقَّهُ مِنْ تَرْحِيبٍ وَتَرْتِيبٍ وَحَظٍّ مِنَ الْإِيجَابِ وَالْإِيثَارِ رَغِيبٍ وَغَيْرَ مُدَّةٍ عَلَى هَذِهِ الْجُمْلَةِ وَهُوَ بَيْنَ الِاغْتِرَارِ بِسِمَةِ الْمُلْكِ وَلَوْثَةٍ فِي الطَّبْعِ قَلَّمَا يَسْلَمُ أَمْثَالُهَا عِنْدَ الْمُلُوكِ عَلَى الْهُلْكِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ ذَلِكَ مُحْتَمَلٌ وَبِلُطْفِ الْقَبُولِ وَالْإِجْمَالِ مُقْتَبَلٌ وَاسْتَأْذَنَ مِنْ بَعْدُ لِلِانْصِرَافِ



وراءه فصادف ذرا الجبال الكريمة مشفوعا وبالقلع الشريفة
فوق الهمم المنيعة ممنوعا وعاد الى افشين قرارة جنته ومثابة
عزه الى ان عنت للسلطان غزوة احب ان يحتشد لها افضل
احتشاد ويستظهر فيها بما حوله من قوة وعتاد وامراء جيوش
وقواد وامر بالكتاب اليه في استنهاضه اسوة امثاله ثقة
بخصوص حاله ونمرة ما افاض عليه من سجال افضاله فلزمه
الخذلان على المكان ولقيته معاذير واهية الاركان
وظل يتردد بين الحران والاذعان الى ان حقت عليه
كلمة العصيان فاعرض السلطان عند ذلك واقبل على
ما اهمه من امر مسيره حتى اذا دان له ما قصد وظفر بمن
كند وتمرد عاد بالفتح خافقا لواؤه والنجح شاهدا مبينا وقعه
وجدد مكاتبته ايمانا له من خيفة ان اوحشها وايناسا من
وحشة ان لابسها واستبقاء للصنيعة عنده من تخيب عند
انشائها او يقتطع دون انشائها فلم يزدد الا نفورا
ونفورا وكان امر الله قدرا مقدورا وعند ذلك جرد

السلطان حاجبه الكبير ابا سعيد التونتاش وفتاه والي
طوس ارسلان الجاذب بمن ضمهم الى جملتهما وسمهم بالمسير
تحت رايتهما لمناهضة الشارين واستئصال الغرش عليهما واذاقة
وبال العصيان وكفران الاحسان بها فنهضا في العدة والعديد
والبطش الشديد واستلحقا ابا الحسن المنيعي الزعيم بمرو الروذ
لمكانه من العلم بمعاطف تلك السبل ومخارم تلك الشعاب
والقلل فسارا اليهما في رجال قد كدحتهم التجارب ونجذتهم النوائب
يمجون باطراف القنا على الزبر ويدخلون ولو خرجت الابر
ودمرا على الشارين تلك الناحية فاما الشار الكبير الوالد
ابو نصر فاستشف اسرار العاقبة واغتنم شعار العافية
ولاذ بالامان الى الحاجب التونتاش مظهرا للبراءة من
فعل ولده وصادعا بما اشتهر في الخاص والعام من عقوقه وتمرده
وتحمل بشفاعته الى السلطان في ملاحظته بعين من لم يرتكب
جريرة ولم ينغل سريرة ولم يبدل في الطاعة والاخلاص سيرة
فحدره الى هراة بين ترفيه اقتضته طاعته واحتياط اوجبه



خلاف الاين ومبايعته وكتب بحاله الى السلطان فورد في الجواب ما آمنه درك المؤاخذة وعنت المعاقبة وأما ابنه الشاه فتحصن بالقلعة التي آواها اليها أيام السيبجورية وهي التي سبق وصفها في عزة الجوانب ومناعة المناكب وصعوبة المصاعد والسمو على متون الغيوم الرواكد واستصحب اليها خواص غلمانه وخزائنه وسائر حاشيته وبطانته وقصده الحاجب التونتاش وارسلان الجاذب في الجم الغفير من اعيان القواد وابطال الافراد ونقاسا اركان الحصار مذفا بالمجانيق المنصوبة والعرادات الموضوعة ومناوشة الحرب من جهات كادت حشاشات النفوس من هول المقام ان تذوق كؤوس الحمام قبل ذوقها بوقع السيوف والسهام واصلا صبوح تلك الحروب بالغبوق حتى هدما اجدار اسوار الحصار موضعا موضعا بالحجيف من وقع الجلاميد وصدم المجانيق وتسلقها اهل العسكر منحين على سائر الاسوار كالعصم واقلة في شم الهضاب او الارانب هاربة من عضف الكلاب واشتبكت الحرب على تلك الجبال ضربا بالسيوف القواضب

واخذا

واخذا بالنحى والذوائب حتى سالت المذانب من دفع النحور واحمرت المتالع من علق الصدور ورأى الشاه عند ذلك من هول المطلع ما لم يكن ثم كان فدعا الامان الامان هيهات ان غضاب النفوس اذا ما دفت نحو المرام ووجه التشفي بالانتقام لموقرة الآذان او تفعل افعالها وتنال من درك الثار منالها وما زالت تلك دعواه وهذه حالهم حتى اخذوه اسيرا واستنزلوه عنوة وقسرا واستبيح ذلك الحريم بما حواه من درهم ودينار ومال واستظهار واخذ جاجتهم وذريته بل ذرية وسميه بل قبيلة وكثيره فومنع عليه الدهوق حتى اعفي بما عرفه من ذخائره وخيرة من ودائعه وجلب عامة اوليائه وعماله والمتصرفين في امور امواله حتى عروا عن لباس اليسار وعرت اخلافهم دون الاستدرار وقوطع ابو الحسن المنيعي عن ارتفاع الغرش على ما علم ارتفاعه منه قبل الشار فتمكن منها واستخلف هناك من يقوي يده في عمله وشحن الحصار بكوتوال يوثق بامانته وجلده وبعث السلطان بعض خواصه لنقل الشار المأسور الى حضرته

عَلى سَبِيلِ ارْتِفَاقٍ لَهُ مِن جِهَتِهِ فَلَمّا سَلَّمَ اليهِ حَمَلَهُ فِي وَثَاقِهِ
نَحْوَ غَزْنَةَ وَسَمِعْتُ بَعْضَ الثِّقَاتِ انَّهُ اتَّفَقَ لِلغُلَامِ انْ يَكْتُبَ
الَى اَهْلِهِ بِخَبَرِهِ وَمَا لَقِيَهُ فِي حَالَتَيْ وِرْدِهِ وَصَدَرِهِ وَ
يُبَشِّرَهُمْ بِمُنْصَرَفِهِ فَاسْتَدْعَى الشَّارُ فِي عِقَالِهِ وَ اَمَرَهُ
بِتَوَلِّي ذَلِكَ بِخَطِّ يَدِهِ فَانْعَمَ تَفَكُّرًا ثُمَّ اَظْهَرَ تَشَكُّرًا وَكَتَبَ
هَذَا مَعْنَاهُ: اَيَّتُهَا القَحْبَةُ الرَّجْبَةُ اَتُرَيْنِي اَغْفَلُ عَمَّا اَحْدَثْتِهِ
بَعْدِي مِنْ خِيَانَتِي فِي الفِرَاشِ وَتَمْزِيقِ مَا خَلَّفْتُهُ عَلَيْكِ
مِنْ مَالِي فِي كُلِّ مَنْكُوحٍ وَمَجْلُودٍ وَهَا اَنَا عَائِدٌ اِلَيْكِ وَاَيْمُ اللهِ
لَاَمْعَكَنَّ الدَّهَقَ عَلَيْكِ وَعَلى وَالِدَيْكِ وَلَاَدُقَّنَّ يَدَيْكِ
عَلى رِجْلَيْكِ وَلَاَجْعَلَنَّكِ عِظَةً لِرَبَّاتِ الخُدُورِ فِي الدُّورِ بِالكَذَا
وَكَذَا وَاسْتَأْنَفَ الشَّتْمَ حَتَّى عَلِمَ اَنَّهُ قَدِ اكْتَفَى وَاشْتَفَى ثُمَّ
طَوَى الكِتَابَ وَدَفَعَهُ اِلَى الغُلَامِ فَطَيَّرَ بِهِ بَعْضَ ثِقَاتِهِ فَقَامَتِ
القِيَامَةُ عَلى اَهْلِهِ وَخِفْنَ عَدُوًّا اَسْعَى بِهِنَّ وَجَرَّفَ مِنْ سُورِهِنَّ
وَفَكَّرْنَ فِي اَمْرِهِنَّ فَوَجَدْنَ اَصْوَبَ الآرَاءِ تَفْرِيغَ الدَّارِ وَتَقْدِيمَ
الاسْتِتَارِ وَفَعَلْنَ ذَلِكَ دِاِسْبَابٍ عَلى القَلَقِ بِاَبْنَابٍ عَلى الجَوْبِ

وَالارَقِ

وَالارَقِ فَلَمّا وَصَلَ الغُلَامُ اِلَى الدَّارِ فَاِذَا هِيَ كَالقَاعِ القَرِقِ
لَا يُلِمُّ بِهَا نَافِخُ ضَرَمَةٍ وَلَا مُعْلِقُ رَمَّةٍ وَبَقِيَ حَيْرَانَ وَسَأَلَ
الجِيرَانَ فَاَخْبَرُوهُ بِصُورَةِ الحَالِ وَالكِتَابِ وَمَا خِيفَ مِنَ الفَضِيحَةِ
وَالعِقَابِ فَدَعَا وَيْلَاهُ وَلَعَنَ الكَاتِبَ وَمَنْ وَالَاهُ وَالكِتَابَ وَمَنْ
اَمْلَاهُ وَاحْتَالَ فِي رَدِّ العِيَالِ بِضَمَانِ الكَفِّ وَاِحْسَانِ جَدِّهِ وَبَلَغَ
الخَبَرُ السُّلْطَانَ فَضَحِكَ لِاحْتِيَالِ الشَّارِ عَلَيْهِ وَقَالَ كَذَا حَقُّ
مِثْلِهِ مِمَّنْ يَسْتَخْدِمُ الشَّارَ كَاتِبًا وَيَضَعُ حُرْمَتَهُ بِالامْسِ جَانِبًا
وَلَمّا حُمِلَ هُوَ اِلَى البَابِ تَقَدَّمَ السُّلْطَانُ بِتَجْرِيدِهِ لِلسِّيَاطِ تَادِيبًا
لَهُ عَلى مَا اَغْفَلَهُ مِنْ حَقِّ النِّعْمَةِ وَهَتَكَهُ مِنْ سِتْرِ الحِشْمَةِ فَجُرِّدَ
لَهَا وَاَخَذَتْهُ عَذَبَاتُ العَذَابِ فَاَكْثَرَ الضَّرَاعَةَ وَالاسْتِكَانَةَ
وَشَكَا الذُّلَّ وَالمَهَانَةَ فَلَمّا اسْتَوْفَى التَّادِيبُ حَقَّهُ دُونَ اَنْ
يَبْلُغَ الكَثِيرَ مِنْهَا: وَالعِقَابُ اَمَدَهُ وَمَدَاهُ اَمَرَ بِاِنْزَالِهِ وَ
اعْتِقَالِهِ فِي مَوْضِعٍ يَصْلُحُ لِاَمْثَالِهِ وَاَمَرَ بِمُواسَاتِهِ وَالتَّوْسِيعِ
عَلَيْهِ فِي اَقْوَاتِهِ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُ بِاِذْنِهِ فِيهِ وَفِيمَا اَتَاحَهُ لَهُ
مِنَ النَّزَرِ فِيهِ كَرَمًا سَرَى فِي نَفْسِ حَنِيفٍ مِزَاجُهُ سَرَايَةَ الحُمَّ

فى عروق البشر او الماء فى عروق الشجر والتمس اسعافه بغلام كان حظيا عنده فرد عليه واعيد بعض ما يصلحه اليه فاما ابوه المقيم بهراة فاذن له فى ورود الباب ولوحظ بعين الايجاب واتاح السلطان منها خاص ضياعها بالغرش حلالها عن عقدة الشبهة واستضافة اباها الى جملة ضياعه الملكية وامر لهما باثمان ما باعاه نقدا صيانة لهما عن مس الفاقة وذل الحاجة ورفرف الشيخ الجليل شمس الكفاة على الشاد ابى نصر بجناح الاكرام والرعاية حتى اتاه الداعى وقام به الناعى وذلك فى سنة ست واربع مائة

ذكر وقعة نارذين

قد كان السلطان لما استصفى ناحية الهند الى حيث لم يبلغه فى الاسلام راية ولم تتل بها قط سورة ولا آية فرحض منها ادران الشرك وقنع دونها اغباش الكفر وبنى بها مساجد يقوم فيها دعاة الله بالاذان الذى هو شعار الايمان راى ان يطوى تلك الديار الى واسطة الهند منتقما لله ممن يجحد توحيده ويضع لعبادة الانداد من دونه تعالى خده ووريده

يحكم فيه سيوفا طبعت على غرار الاسلام وسقيت بماء الايمان وصينت فى قراب دين الله وانتضيت بايدى الاخيار والابرار من اولياء الله فندب الرجال وفرق الاموال واخلص اليقين واستنصر الواحد المعين ونهض فى الطم والرم والليل المدلهم وذلك فى سنة اربع واربع مائة وجعل المسير فى اخريات الخريف ثقة بطيب الهواء من جانب الجنوب فاتفق عند اقتحامه تلك الديار ان سقطت ثلوج لم يعهد قبلها مثلها فسدت مخارق الجبال وسوت بين الاباطح والتلال وكلح وجه الهواء كلوحا اثر فى الحوافر والاخفاف فضلا عن المحاسر والاطراف وطمست مهايع الطرق فلم يعرف الميامن من المياسر ولا المقادم من المآخر واضطرب الحال الى الانعطاف الى ان يأذن الله ثانيا فى الانصراف ولكل شىء حد يحدوه وامد من المقدور يمدوه واقبل السلطان على استيناف العدة والعتاد واستكمال الميرة والازواد واستدعاء اعيان الغزاة من اطراف البلاد حتى اذا تمت العدة والعديد وباهى العقد باخواته الفريد



وتضامّ الناس كتزاحم الخريف من كل وجه منشورًا وعن كل
اوب محثوثًا ومحشورًا واقبل الربيع بطيب المقيل وبرد الغداة
والاصيل استجاراته في الرحيل وسار كالبحر الاخضر يقربه
الاعاصير والامر الحتم تجنبه المقادير نغدت وحوش
الارض مأسورة وطيور الجو مقهورة ولو احسّت الارض
لرنّت من ثقل الحديد والمشي الوئيد وحثّ الابطال فوق
القبّ القباديد وساق امامه ادلاء يهتدون اعاق
تلك البلاد ولا الشمس طالعة ولا النجوم مستفيضة ولا راجعة
وحثّ الركائب تمدّدن بين انهار عميقة الاغوار بعيدة
ما بين الاقطار وبوادٍ تظلّ في ارجائها اسراب اليعافير وكاد
في دهنائها افواج العصافير حتى اذا قارب المقصد عبّى الخيول
كتائب وميّزها عصائب ورتّبها كواكب وقسّمها مياسر ومقانب
ونصب اخاه الامير نصر بن ناصر الدين في الميمنة في كماة
الفوّاد وحماة الافراد وارسلان الجاذب في الميسرة في البهم
الذكور والبزل الفحول وجعل ابا عبد الله محمد بن ابرهيم

الطائي

الطائي على المقدّمة في مساعير العرب احلاس الظهور وابناء
الصوادم الذكور ورتّب في القلب التون تاش وسائر خواصّه
وغلمان داره رجال اذا اصطفّوا فالجبال الشوامخ او زحفوا
فالسيول الدوافق ونذر بهم عدوّ الله ملك الهند ففزع من
فاجئ الفزع الى من حوله من تكاكرته واعيان جيوشه وناصريه
ولجأ الى شعب جبل لجّ المدخل حشن المتوغّل صعب المرتقى
للمتوقّل مستعصمًا بالانحجاز عن البراز وبالاحتراس من
وقع الباس وسدّ مفغر الجبلين بفيلة لو يراها الراوون
هضابا نابتة وجبالا ثابتة وبثّ النفير في اقطار مملكته
يستنهض من يحمل حجرًا فضلا عمن يلقم القوس وترا او
يحسن بالسيف اثرا ومدّ في طول المطاولة كي يلفي بقوّة
وافية وعدّة متوافية او يلجئ اولياء الله الى الاخلال من فرط
الملال او النفور من ضيق الصدور ولم يعلم ان الله تعالى
من وراء المؤمنين وان الله موهن كيد الكافرين ولما علم اللهان
من نيته في ادجاء القتال وتاخير النزال دلف الى عدوّ الله

بقلوب قد صقلها التوحيد، وبشرها الوعد وانذرها الوعيد
ورماة بالصيلم من رجالة الديلم، وبالسباطين من الافغانية
المطاعين، رجال كالآجال مطوحة بالنفوس، مدللة للامين
السوس، او الليوث احرجها الجوع، واعياها الى اشبالها الرجوع
ينفذون بين الامداد نفوذ المناقب في العيدان، او البيادر في
الجيطان، ويفرعون البواذخ كالوعول، وينزلون عنها منحدر
السيول، وواصلها عليهم اياما تباعا يجذبهم بصدق البراز الى
البراز جذب النار للسليط، والمغناطيس للحديد، فكلما نادوا تلك
المضايق، التقطهم الفرسان كما يلتقط الافراس البيادق، ولم
يزل هذه حالهم حتى انضم الى اللعين اكثر من والاه، ولبى معظم
من دعاه، وعنده احتشد للبروز مستندا الى الجبل ومن حوله
الانيال كالقلل، فجرد المصاع، واجتد القراع، وحمي الوطيس
واستوى المرؤوس والرئيس، وصار اللقاء كفاحا لمن آخذ
بالتلابيب، ومنافر كالمغايب، ومضارب ما بين الرؤوس الى
العراقيب، فكلما انشبت الفيلة للتهويل والتفخيم والحطم بالاملاك

والخراطيم

والخراطيم مطرزها سحايب النايات مثلوثة كالآدار متشابهة
الى حدق العيون او ثغر الحلاقم، ورأى الكافر موقع ابي عبد
الله الطائي من الغناء، وضراوته باسالة الدماء، فانتحاه باخشن
من في جملته شوكة، واعظمهم شكة، حتى اثخنوه ضربا على الهام
وحطما من خلف وقدام، وهو كالحزون ثابت لا يميل شرف
مقامه، ولا يكل دون الضرب بحسامه، متسمحا بالروح في
نصرة الدين، وطاعة رب العالمين، ورأى السلطان انحاء الكفرة
عليه، فامده بكوكبة من خواصه لاستخلاصه، فاستنقذوه
الى السلطان مشقوقا بالسيوف، منقوطا بالاسنة كالحروف
فامر له بفيل يستريح الى سعيه عن الم الجراح بجوارحه
فصار ملكاله يتميز به من اعيان اهل عسكره، ولم تزل الحرب
على حالها حتى اهب الله ريح النصر لاوليائه، واداد دائرة
السوء على اعدائه، فاخذتهم سيوف الحق تخيسهم بين كل
مصاد، ومنعطف واد، ومدخل ومغار، ومختسف ومنار،
وملكت عليهم الفيلة التي اعدوها حصونا واقية فصارت

عليهم عبا قية باقية، وافاء الله على السلطان واوليائه غنايم
رحضت الصدور عن درن الحسد، لاشتراك الكافة في الغنى
المقصود، واستوائهم في كفاية الموجود، وفتح الله نار دين
فتحا طرز به شعار الاسلام، اذ لم يبلغه راية الحق من لدن
عهد النبي عليه السلام الى زمان السلطان عز اكتب الله له
على يده، وصنعا اتاح الله له التوفيق والتيسير من عنده، ووجد
في بيت بد حجر منقور دلت كتابته على انه مبني منذ
اربعين الف سنة فقضى السلطان من جهل القوم اذ كان
اهل الشريعة الغراء والحق المنزل من السماء، على ان مدة
الدنيا سبعة آلاف سنة، وانا منها في الالف الاخيرة، و
كل ما تناذرت به الاخبار من امارات الساعة موجود و
بابصار العيون وبصاير القلوب مشهود، واستفتى فيه
اعيان العلماء فكل اجمع على انكار ذلك المنقور، وعلى تزييف
مثلها من شهادات الصخور، وعاد السلطان ووراءه تلك
الغنائم العظيمة، فكاد عدد الارقاء من العبيد والاماء يزيد

على عدد

على عدد الدهماء، ورخصت قيم المماليك فصار اصحاب الملك
الخاملة فضلا عمن فوقهم من السوقة يعتقدون عدة من
تلك الرزقة وذلك فضل الله الذي اعز به الدين، واذل
الالحاد والملحدين، والحمد لله رب العالمين. **ذكر وقعة
تانيسر** قد كان انهي الى السلطان ان بناحية تانيسر
فيلة من جنس فيلة الصيلمان الموصوفة في الحروب، وان
صاحبها غال بها في الكفر والجحود، وغير الجهد في الطغوى والغنود
وانه يختلج الى ذوقة من كاسه، وحرقة من جمرات باسه، ليعلم
ان عز الاسلام عام، وان له من سطوة الله سهما كالساير
اقيال الهند سهام، فعزم السلطان على غزوة اليه يرفع بها راية
الاسلام، وينسخ معرة لاية الاصنام، ويدع الكفر عليها مجبوب
الغارب والسنام، وسار في اولياء الله الذين قد نشأوا على
القراع نشأ الاطفال على الرضاع، وضروا بدماء الكفار
ضراوة الصقور ببغاث الاطيار، وقطع الى المذكور اودية
لم يقطعها غير طاير، او حيوان جاير، وخرق سباسب لم يطأها

رجل ماشٍ ولا خف حافر وجهدهم في تلك القفار غلالات الشعاء
وبلالات الافواه فضلاً عن سائر الاقوات حتى صنع الله لهم
بأن بدا منها الى فضاء يفضي الى ناحية المقصود ودونه نهر
صحاف ارضه طراب وصفاح كظبي السيوف حداد يلقى
بشاطئيه شعب جبل قد استند اليه الكافر مستظهرا بغيوله و
متكثرا بافناء رجاله وخيوله فاحتال السلطان بفتاك عسكره في
مجاوزة النهر الى اعداء الله الكفرة الفجرة حتى عاركوهم من طريقين
وشغلوهم بالبأس من كلا الجانبين وتماجد الكفاح بين الفريقين
امر السلطان بحملة على الكفار في مخاضات النهر الهائل والماء
الصخب السائل تزعجهم من طرف الساحل وبقحمهم اشداق تلك
الشعاب والمداخل واشتدت الحرب ضربا بالخناجر في الحناجر
وبالقواضب في المناكب واولياء الله في كل حال ظاهرون والكافرون
هم الصاغرون حتى اذا كاد يهزم شباب النهار حمل المسلمون من
جميع الجهات حملة اوجرت بهم لهوات تلك المخارم مضطرين
فحلقوا الفيلة التي كانوا بها معتزين وتبعها اولياء الله يردون

الاعظم

الاعظم فالاعظم منها الى موقف السلطان فلم يفتهم الا ما جد في
الهرب اوضاق دون اقتناصه مجال الطلب وصبّ من دماء اولئك
الارجاس ما نجس به النهر الجاري على طهارته وامتنع من الشرب
على غزارته لولا ان الليل ستر اثرهم لاستلحم الويل اكثرهم
صنعا من الله لدين بعث به رسوله المصطفى عليه السلام وعلى آله
الذين ارتضى مظهرا اياه على الدين كله ولو كره المشركون فهو
على الازدياد الى يوم التناد وانصرف السلطان باولياء الله
غانما موفورا وظاهرا منصورا ومحمود الكافة ماجورا وقد غنم
ما يكل عن ذكره انامل التحرير وتضيق عن اثباته ادراج الاضابير
وتطايرت البشائر في الآفاق وخفقت عليها اجنحة الغروب
والاشراق والحمد لله رب العالمين على عز الاسلام والمسلمين

ذكر الوزير ابي العباس الفضل بن احمد وما انتهت الحاله اليه الى ان مضى لسبيله

قد كان الوزير
ابو العباس من خاصة فائق الملقب كان بعميد الدولة ومن

كفاة بابه وثقات اصحابه وكان على البريد بمرو ايام سالارية
السلطان بنيسابور فنمي الى ناصر الدين سبكتكين خبر قوته وامانته
فكتب الى الرضي يستوهبه لوزارة السلطان وكفاية اعماله وتدبير
امور امواله ورجاله فاوجب اجابته الى ملتمسه وخوطب بالبدار
الى نيسابور على مقتضى مثاله فاغتنمه السلطان للوزارة و
واستكفاه مهمات الامارة بعد ان يرى مقام الشيخ ابي القاسم
احمد بن الحسن في الكفاية كتابة وحسابة واصالة واصابة
وهداية ودراية وحماية وجباية اذ لم يكن على طراءة شبابه
بين لداته اغنى منه غناء وامضى مضاء واذكى ذكاء
وادهى دهاء غير ان الامير سبكتكين جنى عليه في ابيه عند
اعتماده لوزارة بست وتدبير اعمالها واموالها جناية سبق
السيف فيها العذل اصغاء منه الى عداته فيما سفقوه فيه
من دفيعة ولفقوه عليه من سعاية ووقيعة فاستوحش منه
استيحاشا من بادرة فعله والمسيء نفور والقلوب من ذوي
الاساءة صور وكره السلطان الاستبداد عليه في انتضائه

حسب

جنب ارتضائه واستكفائه وفي المحمود من وفائه طاعة له
في اختياره واتباعا لفلك رايه تحت مداره وقضى الله
ان يكون بما يليه حتى يعترف خراسان بانه عذيقه المرجب
وجذيله المحكك ينتزع ما يفسده الغير بالاستصلاح ويسترد
ما اخرمته ايدي الاجتياح ويداوي كل حال بدوائه
ويرد غابر الماء الى جائه فاجرى الوزير ابو العباس الامور
مجاريها على جملة لم يعرف فيها غير الجباية والاستدرار وقصد
التوفير دون الاستعمار حتى جبى ما لا عطيها سنين عدة اذ
كانت خراسان بعد مكسوعة باغبارها لم تترف منها
دواعي اللبن ولم تنتزع عنها كواسي السمن فلما احتلبها انتزافا
واستنفد ما في ضروعها اسرافا ومن قبل ما قد حال بينها و
بين خصب المراتع وبرد الموارد والمشارع وضعت له ما على
ظهورها من فضول دسم وسمحت بما وراء عظامها من نقي
مقشم حتى صارت من فرط الهزال والعجف كالاهلة المحنية
بل الاخلة المبرية وتداعى الخراب معظم الضياع ووقفت

الغني بين القصور والانقطاع وشرّد في البلاد اكثر الاكرة
والزرّاع بعنف ما اخذا الجار بذنب الجار والزم القارّ مؤونة
الفارّ حتى تمّت البلوى وعمّت الشكوى وشملت نوائب البؤس
وذهبت جرايات النفوس وصدمتهم سنة القحط بعقبها
فصار الغني محسوداً والمتوسط مفقوداً والفقير مفقوداً او
كان امر الله قدراً مقدوراً وبقيت في رقاب خراسان بقايا
كلّ متعذّر ومتكسّر وناوٍ ومتحيّر لو اُديت عن آخرها منها
لم يف بعضها فضلاً عمّا جمعته اقلام الاستيفاء منها فاظهر
السلطان ضجراً من تحيّر الاموال وتراجع الارتفاعات وطالب
الوزير منها بما اقتطعه وانواه وضيّعه وهو يرجع القول على
سبيل الدالّة بين البراءة والاحالة فمهما عضّه العتب بنقافه
اظهر الاستعفاء وجلب الى نفسه البلاء واسلم النفس لخيانة
واثر الحبس قراراً وتوسّط الملأ بين السلطان وبينه على ان يجبر
بعض المنكسر من خاصّ ماله ممّا استفضله طول وزارته من مرافق
اعماله فابى ان ينزل عن درهم الا بعد له وحبسه الى ان شاء من

قلاعه ممنع المتبرّم بالعمل المتنغّص بالامل المستسلم للبليّة
المتهالك بالمنيّة واختار عند ذلك السلطان الدهقان ابا
اسحق محمد بن الحسين وهو اذذاك رئيس بلخ لصحابة الديوان
واستنظاف البقايا على العمّال والسكّان فانهضه اليها سنة
احدى واربع مائة فانحدر الى هراة وجبى من الاموال بادرت
اخلافه ولانت عن المسّ اعطافه ولم يلبث الا يسيراً اجتبى
حملاً كثيراً والوزير ابو العباس بعد في صدر الوزارة والشيخ
الجليل ابو القسم يسعى بينه وبين السلطان على سبيل السفارة يروم
استصلاحه اياه كي ينسدّ به مكانه ويستتبّ الى غرض الاستقامة
شانه وهو يابى سوى اللجاج في القاء القول عن حدّ المزاح
حكماً من الله عليه لم يسع ردّه وقضاء سابقاً اعيى العالمين
صدّه وما زالت هذه حاله لزوماً للصدد على ما به من ضعة القدر
الى ان ركب بنفسه الى قلعة غزنة مستروحاً بزعمه الى الاعتقال
عمّا تولّاه ومنتبها بجملة ما حواه واقتناه فلم يسمع بمثله رجلاً
يشتري الحبس اختياراً ويستقبل صرف الزمان بداراً وغاظ

السلطان بما اتاه فاستبدّ له الحظّ بغرامة ما جناه في امواله و
رعاياه فبذل خطّه بمائة الف دينار ثمّ لم يزل يستدرّ الى ان
عرض حال الفاقة وعدم الطاقة ثمّ استحلفه السلطان بحيوة
راسه على ظاهر افلاسه وعلى اغلاق دمه ان وجد على الطلب
له بمال مفرّقاً ومجتمعاً ومدفوناً ومستودعاً وبقي على جملة
جنايته اولاده معفى عن الارهاق والتعنيف مصوناً عن
التحامل والتكليف الى ان ظهر على ما ذكر له مال عند بعض
التجار ببلخ وديعة فاخذوه وامر بو منع الدهن عليه لاستصفاء
واستخراج ما وقاه بنفسه ودمائه وما بقي من رموح جاهه
ومائه واتفقت للسلطان غزوة حالت بينه وبين مشاهدة
حاله واستبراء ما يصدق او يكذب من مقاله والدهن يستمرّ
به على الدوام وينال منه يوماً بيوم حتى اتاه اجله وحاق به
ما كان يستعجله وذلك سنة اربع واربع مائة ولما عاد
السلطان وراه ساءه ما سمع فيه وهيهات اين من المساءة
روح مطموسة ونفس بين اطباق الثرى مرموسة كذلك

من آثر المخلوق على الخالق ولم يعتبر بالماضين في الزمن السابق
وقد كان ادرك له ولد في صدر وزارته يعرف بابي القسم
محمد بن الفضل فبرع على صيغة الشباب في وجوه الفضائل
والآداب حتى استطار ذكره واستطال قدره واستفاض
نظمه ونثره فمن شعره في ابيه قوله من قصيدة

لقد ازبى ابو العباس جوداً على جود الربيع لمعتفيه
ففي احدى يديه ممات قوم وفي الاخرى الحيوة لمرتجيه
لقد خضعت لك الدنيا ودانت فهل مرقى سواه فترتقيه
واقبل نحوك الاقبال حتى غدا بصراً وانت النور فيه
فنون الف نير ونسعدّكا رفيع الجدّ في عيش رفيه

وله احجية

وزنجية قادت الى القوم بضّة لينكحها من كان يعشقها قدما
فقام اليها واحد بعد واحد فلم يرد ذنباً فعلّمهم لا ولا اثما
وادركته حرفة الادب فاختطفته يد المنيّة انضر ما
ما كان عوداً واثبته عوداً وانهى سعوداً وامجد قياماً

وقعودا ويحكى لى بعض اصحابه انه اصبح ذات يوم يروى بيتين تلقنهما فى المنام وهى

أرى الدنيا وزخرفها ككأس يدور على اناس من اناس

فلا تبقى على احد كما لا يدوم بقاؤها فى كف حاس

فتطير له منهما ولما قضى نحبه رثاه ابو الحسن المؤملى الكاتب رحمه الله فيه ابياتا وهى

أبعد محمد بن الفضل ارجو امانا لى من الدهر العماس

اساس الفضل كان به فاودى وابقى الفضل منهدم الاساس

فتى فى نثره والنظم اربى على ابن ثوابة وابى نواس

رأى فى النوم معجزة جرير بقصد ونها وابو فراس

ساحفظ عهده ما دمت حيا وحفظ العهد من كرم الناس

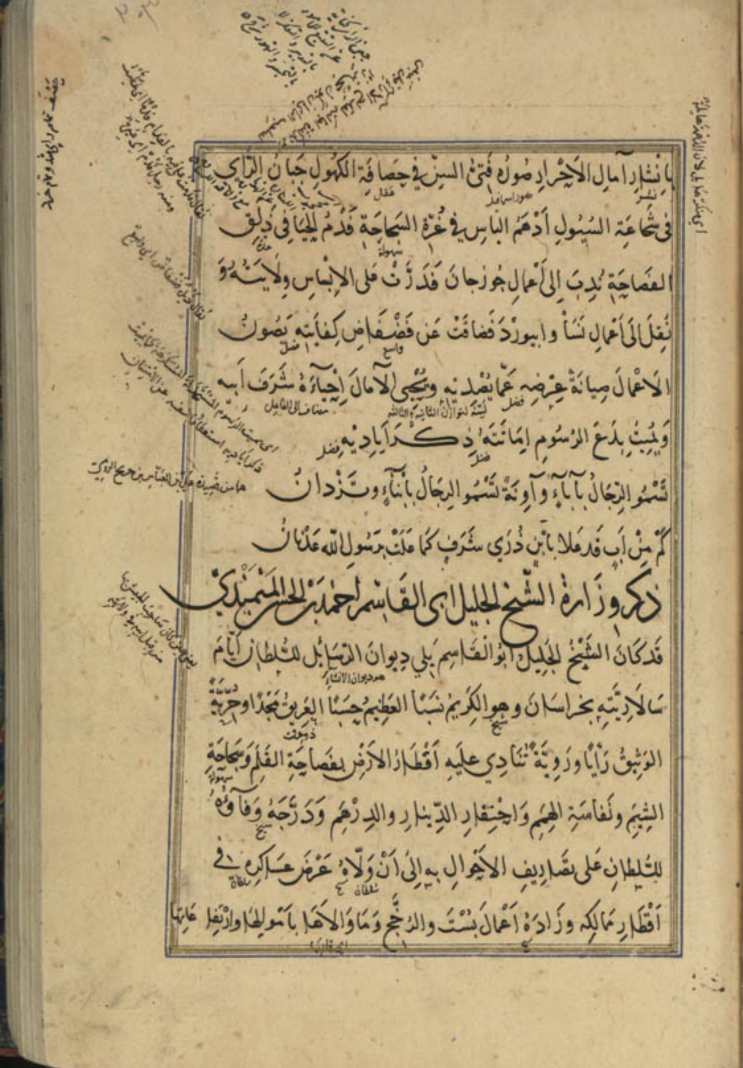
ورثاه بعض اهل العصر

يا عين جودى بدم ساجم على الفتى الحر ابى القاسم

قد كاد ان يهدمنى فقده لولا التسلى بابى القاسم

وقد سد الله مكان الماضين بابى الحسن على بن الفضل المعروف بالحجاج بفضل ساطع نوره وعلم جامع سوره وحلم ثابت طوره وجود موكل

بانشار



بانشار آمال الاحرار دونه فتى السن فى حصافة الكهول جبان الرأى فى شجاعة السيول ادهم الباس فى غرة السماحة قدم الحيا فى دلق الفصاحة ندب الى اعمال جوزجان فدر على الابناس ولاينه ونقل الى اعمال نسا وابيورد فضاقت عن فضفاض كفايته يصون الاعمال صيانة عرضه عما يفسده ويحيى الآمال احياءه شرف ابيه ويميت بدع الرسوم اماتته ذكر اياديه

تسمو الرجال بآباء وآونة تسمو الرجال بابناء وتزدان

كم من اب قد علا بابن ذرى شرف كما علت برسول الله عدنان

ذكر وزارة الشيخ الجليل ابى القاسم احمد بن الحسن الميمندى

قد كان الشيخ الجليل ابو القاسم يلى ديوان الرسائل للسلطان ايام سالاريته بخراسان وهو الكريم نسبا العظيم حسبا العريق مجدا وحرية الوثيق رأيا ورويته تنادى عليه اقطار الارض بفصاحة القلم وسجاحة الشيم ونفاسة الهمم واحتقار الدينار والدرهم ودرجه وفاقه للسلطان على تصاريف الاحوال به الى ان ولاه عرض عساكره فى اقطار ممالكه وزاده اعمال بست والرخج وما والاها باموالها وارتفاعاتها

علاوة على ما ولاه فقام بجميع ما تولاه قيام من وفقه الله وجدا عليه جوده بنى الآمال من اطراف البلاد فوسعهم جداه وعمهم نداه وكتبت لهم اماناً من الفقر يداه واما مروته فلا يؤمن بالمعجزة الصادقة الصادعة منها الا من شاهدها عيانا واستغنى عن دليل احسانه سبرا وامتحانا وكان الوزير ابو العباس لا يصدر الا عن رايه ولا يحتشم غيره فى تصاريف عزماته وانحايه لفخامة شانه ومكانته المعمورة من سلطانه ووساطته بينهما فى معظم ما يزجيه ويرجيه ويحييه ويفنيه ويقبله وينفيه ويدنيه ويأتيه ويقدره ويقربه ولما وهت عليه قوة امره وانكسرت سورة حمره واتفق للسلطان ان يرحل نحو نارداين فى الغزوة التى تقدم ذكرها استخلف الشيخ الجليل على مهمات بابه وامداد صاحب الديوان فيما يليه ويجبيه ويليه بصواب رايه وبعثه على مواصلة المحمول عن فرط جده وعنايته فهو متسم بالوزارة غير متسم بها الى ان اتفق للسلطان استدعاء صاحب الديوان فى عمال خراسان لرفع الحسابات وتقرير المعاملات وذلك سنة خمس واربع مائة فنهض

اليه

اليه كل رئيس ومرؤوس وشريف ومشروف ومستعمل ومعزول ومستمن ومهزول قد اتخذوا الطمع والتمص جرانا وصيغوا الارواح على الراح توكلا واستسلاما ووافق وصولهم ركضة عزمها السلطان الى الهند فشبت عليهم لاذناب اهل عسكر ما داره ووكلهم باستخراجه فى مدة يومين لاهتمام الركض ومبنى رقعة الوقت فعصبوا عصب السلم وسلحوا اسلخ الغنم واقيموا على جمرة الضرم ونكسوا على الهام والقمم حتى اغتصوا وها منهم عن تضاعيف اللحم والدم وعندها امر السلطان فصبت على الشيخ الجليل خلعة الوزارة وفوض اليه مهمات الامارة وامره بمحاسبة العمال ومطالبتهم بما صار فى ذمتهم من الاموال محكما فى الحل والعقد مخيرا بين الاخذ والرد وسار السلطان نحو مقصده واقبل الشيخ الجليل على ما جعل بصدده فهذب الامور ونظم المنثور ووظف الاموال وصرف العمال ورد صاحب الديوان ابا اسحق على جملته الى خراسان مستوفيا عليهم ما بذمتهم من حاصل وباق وعتيق وناض وقعد فى الدست كالبدر المنير والسيف الشهير منفردا بالتدبير محتشدا لروعة الملك وهيبة السرير فلما اتفق

عود السلطان الى قراره عن وشاهد الامور فى كنف وزارته منظومة
العقود مضبوطة الحدود والاحوال وافرة الربوع حافلة الضروع رسم
له الى ان يتجرد الى خراسان مستنطقا ما وهى اووهن صاحب الديوان
فى جبايته واستيفاء آيه وفض او قصر عن تربصه وامترائه فانحدر
الى هراة وهيبته تأخذ النفوس بمخنقها وتخلج القلوب
عن معلقها ويكاد ينطق له كل مال مخزون ويلفظ اليه كل درهم
مدفون فجمع من تسمح النفوس باجمعته واستكراهها منعته
ما لا لم يسمع بمثله محمولا من خراسان اذهابا واوراقا وعضبا
دقاقا وغلمانا وشاقا وافراسا عتاقا وتلاقت الرفايع على صاحب
الديوان بما ناله من صنوف المنافع ووجوه المطامع فسامه السلطان
تصحيحها تسبيبا وحملا الى بيت المال قريبا فانتزل العمل و
نزل عن كل ما حصل وفزع من بعد الى خاص املاكه وضياعه و
مواشيه وكراعه وتجمله واثاثه حتى حل اثاثه فحل ما اعتقده منها
على مال مصادرته وما جمع عليه من بقايا عمله وكان الوزير
ابو العباس قليل البضاعة فى الصناعة لم يعن بها فى سالف الايام

ولم يرض بنانه بخدمة الاقلام فانتقلت المخاطبات مدة ايامه الى
الفارسية حتى كسدت سوق البيان وبارت بضاعة الاجادة
والاحسان واستوت درجات المحجم والكفاة والتقى الفاضل
والمفضول على خطى الموازاة فلما سعدت الوزارة بالشيخ الجليل
اسعد الله جدود الافاضل وورد بمكانه خدود الفضائل
ورفع الوية الكتاب وعمر افنية الآداب فجحم على اوسمجة
ديوانه ان يتنكبوا الفارسية الا عن ضرورة من جهل من
يكتب اليه ويحجم عن فهم ما تعرب به عليه فطارت توقيعاته
فى البلاد ولا سوارد الامثال وابيات المعانى من القصائد
الطوال ففى كل ناد نداء باجابتها وفى كل مشهد شهادة باستحسانها
فاما الشعر فقد نشر عليه ملحوده وسعد به جدوده وفتق بالعذب
الرواء مسحوده فاز بابه كالعنادب تغرد بمناقبه والقمارى
تسجعا على الضرب المادى من ضرائبه فهو بعدله فى الناس جنان
ورحمة وبفضله لاهل الفضل ثمال وعصمة وانفرد بتدبير البلاد
والعباد بناء على الاساس وحملا على الاساس واخافة على الايمان

ومكافاة بالاساءة والاحسان واسو الجراح القلوب بمراهم
الترغيب وانكارا بمعروف العمارة سابق التخريب واشارة على
السلطان فى امور مملكته بما يفيده عاجل التوفير واجل الثواب
الغزير لا جرم انه استتبت الامور بعنايته وانسدت الثغور
على آرائه وكذلك من كان على العلم ايراده واصداره وعلى
البصيرة ارجاؤه وبداره ذكر شمس المعالى قابوس وشمكير
وما ختم به اجله وانتصار الامر فلك المعالى ابى منصور
منوجهر منصبه ووراثته مملكته قد كان ذلك الامير على
ما خص به من المناقب والراى البصير بالعواقب والمجد المنيف
على النجم الثاقب مر السياسة لا يستساغ كاسه ولا يؤمن عال
سطوته وباسه يقابل زلة القدم باراقة الدم ولا يعرف
فى ادنى درجات العثار وان لم يقصد اليه مراد ولم يشترك
فى كسبه اعتقاد غير حز الانتقام بحد الحسام والتعليق
عن مركب الهام لا يذكر العفو عند الغضب ولا يعرف
معنى السوط والخشب ولا يرى للحبس الا باب الصفايح و

والترب وهلك على خشونة هذا المس وصعوبة هذا البطش
فيام من حاشيته لو استبقاهم على خفة اجرامهم لكان اشبه
بالجلالة واليق بالاصالة والعدالة فما زالت هذه حاله حتى
استوحشت النفوس منه وانقلبت القلوب عنه وسمجت
الصدور عليه ومالت عنه الاهواء المائلة اليه اذ كان احد
لا يأمن العثرة ولا يملك العصمة ومتى كان العقاب ملحقا
بالخطاء اليسير صارت النفوس محتاجة والادواح متساهمة
والمرء من البشر لا من ورق الشجر هو اذا مات فقد فات
وليس مما يعود بعد ما عرى العود واتفق ان حاجباله كان
يعرف بحاجب نعيم وهو احد الكراكلة فى حد ودجرجان
عديم الغائلة والعادية سليم الناحية من بين افناء الحاشية
وكان اعتمده لضبط استراباذ وسياستها رفع عليه انه
طمع فى بعض رعاياها فى مال او مال الى الانتفاع منهم
بمال فامر بقتله وتعليقه عن خيط رقبته وهو يستغيث مفصحا
ببراءة ساحته ونقاء جيبه وراحته وقصور ما سعى به عليه

لو صحّ اسناده عن افانة نفسه واراقة دمه فزاد ذلك في
ايغار الصدور واضغان القلوب وتوامر عند ذلك اعيان
العسكر على خلعه ونزع الايدي عن طاعته وكفاية النفوس
شغلها بثقل وطأته وخشونة سياسته ووافق هذا التدبير
منهم غيبته عن جرجان الى المعسكر بجناشك استبدّ الا لهوا بها
عن لفح الحرور وتأثير طلوع الشعرى العبور فعمي عليه وجه
الصورة وشذّ عنه علم تلك المستورة فلم يرعه ذات ليلة غير
زجام العسكر بباب القلعة التي اعتصم بها وانتهابهم امواله
وافراسه وبغاله ومرامهم فسرع واستنزل الله بهم في وجوههم
من كانوا اثر ولايتنا به نحامين من ورآئه حتى انكشفوا عنه
ماغبين وولوا على اعقابهم داخرين ومالوا الى جرجان
فتملكوها عليه معلنين شعار العصيان لابسين غيار الكفران
وبعثوا الى الامير ابي منصور منوجهر بن قابوس وهو بطبرستان
يستحثونه على الورود لعقد البيعة له وزفاف الملك اليه
فطار اليهم بقوادم العقاب استبعاطا ما للحادث بابيه واكبارا

لما نفذ من المكيدة فيه وطمعا في تدارك الخطب وتلافيه فلما دنا منهم
مضربه توافقوا على طاعته ان خلع اباه وابتزاه رداء الملك ان اباه
فلم يجد في عاجل الحال غير المداراة ضبطا لما انتشر ورتقا لما انفتق
وصونا لستر الحشمة من الانخراق وابقاء على سكر الفساد من
الانبثاق واشفاقا على البيت من الضياع وعلى الملك من التخطف
والانتزاع وقد كان شمس المعالي لما سمع نبأ القوم واجماع كلمتهم
على الخلع عطف بمن ومعه من رجال ومال الى ناحية بسطام
ناظرا اما تسفر عنه عاقبة التجرب وتنتهي اليه نائرة التغلب والتوثب
فلما تسامعوا بانه استكر هو الامير منوجهر على قصده وازعاجه
عن مكانه اوردوه فصار معهم اليه مضطرا وداقعا بالشر قرة اكالجمل
الآنف ان قيد انقاد وان انيخ على صخرة استناخ فلما وصل الى ابيه
اذن له دون من يليه من اتباعه وحواشيه اذ قام دونه من خاصته
رجال يرون الموت شهدا دون خذلانه والروح وقفا على شكر
احسانه فلما وصل اليه كفر طاعة وخضوعا واسال اودية الشؤون
دموعا وتشاكيا صورة الحادث وتذاكرا حق الموروث والوارث

وعرض الامير منوجهر ان يكون حجابا بينه وبين اعاديه وان
ذهبت نفسه فيه ورأى شمس المعالي ان العارض قصار امره وختام
عمره وانه احق بوراثة ملكه وولاية الامر من بعده وسلم
خاتم الملك اليه من يده واستوصاه الخير به ما دام في فسحة
من امره وتواضعا على ان ينتقل هو الى قلعة جناشك متفرغا للعبادة
الى ان يأتيه بغيته فيسلم له نفسه ودينه وان ينفرد الامير منوجهر
بتقرير الملك فريا وتقديرا وتقديما وتأخيرا وقدمت اليه عمارية
على هذه الجملة فانتقل الى القلعة المذكورة مع من رضيه لخدمته ومعونته
على تحري مصلحته وعطف الامير منوجهر الى جرجان فولي الصدد
وضبط الامر واخذ يداري القوم ترغيبا وتطميعا وتمنيهم الاحسان
جميعا وهم على جملة النفور خيفة الثبور ما دام شمس المعالي في
فسحة البقاء وزمرة الاحياء وما زالوا في الاحتيال عليه حتى فرغوا
من امره وسلموا كما زعموا من عادية شره ولم يرضوا به وهو في صوان
الاموات حتى كشفوا عن محياه رداء رداه فطابوا نفوسا حين هدموا
ناموسا وواروه في مقبرة كان ابتناها لنفسه بظهر جرجان على سمت

خراسان وغدا الناس في معناه كما قيل
نبئت ان النار بعدك اوقدت ... واستبّ بعدك يا كليب المجلس
وتقاولوا في امر كل عظيمة ... لو كنت شاهدهم بها لم ينبسوا
وعقد الامير منوجهر المأتم ثلثة
ايام على رسم الجيل في حسر الرؤس وضرب النفوس ورفض المنام وهجر
الطعام ولما مضى ايام التعزي لبس المقبور واستونف على البيعة السرور
كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا ... انيس ولم يسمر بمكة سامر
ولما سمع القادر بالله امير المؤمنين بخبر شمس المعالي واستيثار قضاء الله
به خاطب الامير منوجهر معزيا ومسليا ولقبه بفلك المعالي مشرفا
ومحليا وعزم الله له على الصواب في اختياره والرشد في ايثاره ففزع
الى السلطان يمين الدولة وامين الملة معتصما بحبله معتصرا بظله مستظهرا
بطاعته مستنصرا في متابعته مستغشيا رداء عنايته متلافيا وهن
المصاب بقوة اشباله ورعايته وانهض عدة من ثقات بابه بمبار
موفورة ونفائس مذخورة ورسائل على صدق الاخلاص وصفو
الاختصاص مقصورة فصادف ما رجاه رغبة في موالاته وحرصا على
تعمّر مرضاته وتردد السفراء بينهما على ربابة هذه الحال وتوكيد

عقد الوصال واحتكم السلطان عليه في اقامة الخطبة له على منابر ولاياته
امتحانا لمصدوقة عقده في موالاته وانهض اليه ابا محمد الحسن بن
مهران احد ثقاته بما رأى اصحابه من نفائس خلعه وكراماته
فصادف منه قريبا مجيبا وسميعا مطيعا وامر باقامة الدعوة
باسمه على منابر جرجان وطبرستان وقومس والدامغان والتزم
في السنة خمسين الف دينار اتاوة وعلى حكمي الطاعة والاخلاص
علاوة واستدعى السلطان على تعقيبه ذلك وقد عزم غزوة ناراين
انجاد حشمه بطائفة من الجيل والديلم يحسنون حروب المضايق
ويغنون غناء الكماة البطارق فسرب اليه الفي رجل من خلص الجيلين
ان راموا الوعور فوعول او قصدوا السهول فسيول وقد امر بازاحة
عللهم في اعطياتهم ونصب لهم من يقيم اود حاجاتهم ويطلق مدة
الحاجة الى غنائهم واجب ارزاقهم واستحقاقاتهم ولما استحق على
السلطان بآثاره في القربة مزيد الاثرة وبمساعيه في الطاعة
قضاء الحاجة انهض رئيس جرجان ابا سعد التوكلي المقدم فضلا
وادبا المحتشم حسبا ونسبا لاقتضاء مزيد الحال بوصلة تقوم الكفاءة

بخطبتها

بخطبتها عنه والطاعة باستحبابها له فنهض وحقائق الادب تهديه
وكفالة الرفق بما يذره ويأتيه ولم يزل ياتي الامر من بابه ويستطلع
المراد من حجابه حتى اسمحت قرونة السلطان لما استدعاه واوجب
الاسعاف بما توخاه ولما اكتفى الفاضل ابو سعد ورآه بصورة الايجاب
وما صادفه من هزة المجد للاطلاب حشمه الامير فلك المعالي
معاودة الحضرة مع القاضي بجرجان وهو شيخ العلم ورواية الحديث
ورضيع اخلاف التهذيب والتجريب لتنجيز النجاح وتأريب عقد
النكاح فمضيا الى حضرة السلطان مقيمين رسم الخدمة وخاطبين
ضم السدى الى اللحمة فرأى السلطان تحقيق مبذول الحق وعصيان
سلطان النفس طاعة لرب العزة وقلد للامير فلك المعالي حليا من كبده
وسمح له بزهرة الارض من نجوم ولده واي نجم كان في فلك المعالي مداره
لم تعد داره اني ومدار النجوم الافلاك وازواج الملكات الاملاك
وجرى من الاستبشار باتحاد النفوس والديار وصب النثار وصوب
المبار كالغيوث الغزار ما ارخ به كتاب الدهر ووسم بذكره
سالفة العصر وعاد الرسولان بذلك النجح الموقوت ولا السعدان

يقترنان في الحوت وعندها تكلف الامير فلك المعالي حرمة
للقربى ونحلة بين يدي النجوى ما لا يتبين من رآه على اختلاف
اصنافه واغراب نقوشه وافوافه ان له همة الى قمة الجوزاء
مرفوعة ونية على مذاق الولاء مطبوعة ولم يبق احد
من اركان الدولة وحواشيها والرابعين حول مراعيها من لم
يضرب بسهم من سهام اللطف ولم يشترك في البر المعقود بالشرف
لا جرم ان السلطان رعى حرمة قرباه وخراه عما سمحت به
يمناه وافرد كلا منه ومن قواد جيوشه وافراد رجاله بخلع
علمت اجناب الملوك كيف شريطة الجود والسماحة بالموجود
وتقضى المجد بعفو الرأي دون المجهود فاما ما صحب ذلك
الصدف ويا قوتة الشرف فقال طال عهد الدهر بمثله مجموعا
في مكان محمولا من خراسان ولا غرو فالشمس تغني البدر
نورا والبحر يدع الخليج مسجورا وقد كان فلك المعالي بعد
ان استتب له امره واشتد بمظاهرة السلطان ظهره دبر على
اعيان عسكره المتشركين في دم ابيه فصدع ذات بينهم بوجوه

الحيل

الحيل وانواع العلل حتى ابا دخضراءهم وسقى ظمى الارض دماءهم
واحس ابن حكاش وهو القريب العاق والنسيب المناق بالداهية
الدهياء فانسل بابها بين سمع الارض وبصرها تاباه الرعان
والاباطح وتلفظه القيعان والصحاصح فمهما مس جانب الفرار
طلبته هامة الماضي بالثار فهام على وجهه ولا فقيد ثقيف بين
تشريق وتغريب وتصعيد وتصويب وكان احد من اثار الشر
على قابوس على ما تشاهدت به الاخبار ابو القسم الجعدي
وكان صاحب جيشه فانحدر الى راس الحد كبارز على قفاز يرى
كل صيحة عليه وكل حشيش يسهم اقواس جنبيه فامهله الامير فلك
المعالي زمانا حتى ظن ان له دون شؤون الآخرين شانا ثم انبراه
بتطميعه وترغيبه حتى اعلقه حبالة الاقتناص وآيسه من
الطمع في الخلاص وان لله حكما في امور عباده معلقا بامارات
معلومة وغايات محدودة فليس قبلها مستقدم لما تأجل
ولا بعدها مستأخر لما تعجل فاحتال ابو القسم حتى انسل هاربا
واعتسف البيد جانبا ثم جانبا وما زال على حالة واحتياله حتى ورد



بنيسابور يظن وبعض الظن اثم ان انقطاعه الى السلطان على تغلل
ذوى اهله وازدهائه بسالف فعله وقابله مع ما تمهد في ذات
البين من عقود وتأكد من عهود واشترك فيه من طارف
ومتلود يحل عنه عقال آثامه ويكف عنه ما حق عليه من بأس
الله وانتقامه كلا ان سوء الفعل خذول والقاتل لا محالة
مقتول وشر المحن ما اومض بالخلاص قبل اباته واستبغاء
مدة النفع على نجاته انه ليوهم الفكاك ثم يعقب الهلاك
كالهرة تطمع الفارة في الخلاص حتى اذا كانت منها على غلوة
لحقتها بعدوة لا جرم ان السلطان لما انهى اليه صورة حاله
ومن قبل ما سمع بسوء فعاله امر برده وراءه في عقاله ولقد
احسن ابن الرومي في مقاله

الخير مصنوع بصاحبه فمتى فعلت الخير اعقبكا
والشر مفعول بفاعله فمتى فعلت الشر اعطبكا

ذكر دارا بن شمس المعالي قابوس بن وشمكير

قد كان دارا بن قابوس بعد استيمانه من جانب ابي علي محمد بن

محمد

محمد بن سيمجور الى الامير نوح بن منصور مقيما على خدمته
ساهما في نعمته الى ان فتح الله على ابيه جرجان وطبرستان فانحاز
اليه مستغنيا بخدمته عن خدمة غيره وصادف من الاشبال
والاقبال بما اقتضاه حكم الابوة والبنوة ثم جدده قابوس الى
طبرستان فاقام بها سدا دون مخالفيه وزماما على اوليائه
ومعامليه واستنهضه منها على فريقة القيت اليه فاتاه وهو
باستراباذ يريه صحة اديمه واستواء حديثه بقديمه فاحسن
استقباله وانزاله ثم دعاه في وقت ارتاب به فركب على
قصد حضرته ثم عطف عطفة الليث الخادر نحو خراسان
بين غياض تشكو الاراقم بينها ضيق المجال والمضطرب في صعوبة
المنساب والمنسرب واستصحب من رافقه ووافقه من
غلمانه واهل الثقة به فالى ان عرف شمس المعالي خبره واستدرك
لاقتناصه عسكره ما قد طار به الركض وحالت دون مناله
الارض ولما شارفه حد خراسان رفرفت الامنة عليه بجناحها
الى ان ورد حضرة السلطان فقبله احسن قبول ولقاه حسن

مقول ومفعول وما زال يرفع منه تمويلا وتخويلا وتفخيما
وتبجيلا حتى افتنه فضل الانبساط وعز الانتساب بامد
قربته وهدم رتبته فاستوحش من عارض الاعراض
واشفق من رهق التغير والانقباض فلاذ بطي الليل هاربا
وبات يطوي الارض تقريبا وخببا وامر السلطان بطلبه
واتباعه في وجوه مهربه فالحق حيث قامت الخيول تعبا ولم
تجد السيوف عليه مضربا فقر هو على وجهه ملتجئا الى
الشار المعروف بالشاه لحال بينهما في الصفاء مغموزة واصول
ود بالوفاء مأبورة فلما استقر به المكان وخبر حاله السلطان
كتب الى الشار باسترداده وخوفه ان يأبى عليه بما بعده
فاضطر الى رده واسلامه عن يد صاغرا فبقي في الحبس مدة يكابد
بؤسها وشدتها الى ان وجد فرصة الانفصال عن رق
العقال ففارق معتقله من حيث لم يطمع فيه احد
ولم يكن يغني عنه لولا المقدور راي ولا جلد وابت عليه
لجاجة المحنة ان يتم خلاصه ويستتب له مناصه فاعترت

عليه

عليه حتى اعيد في وثاقه وزيد في ارهاقه والاخذ بخناقه
الى ان شرح الله صدر السلطان لاطلاقه فانشأه نشأة ثانية
وانبت ريشه قادمة وخافية واعاد حاله بالاحسان حالية ويده
على ايدي الاضراب عالية ووجهه لولاية جرجان وطبرستان
معقودا بارسلان الجاذب وذوي النجدة من كماة الرجال وكفاة
الابطال لولا ان فلك المعالي منوجهر سبق تمام الراي باطها بالطاعة
وعرض ما وراء الوسع والطاقة ولما حال بين جرمة التقرب دون
الاخبار عليه استرده السلطان الى حضرته فجرى مجرى
اركان الدولة واخدان العشرة لا يفارقه في حفلة ولا
يزايله في خلوة ولا يقعد عنه في وقت ركوب ولا ينفرد دونه
في ركوز وركوب الى ان ورد الامير ابو الفوارس بن بهاء الدولة
حضرة السلطان منتزحا عن كرمان لقصد عسكر اخيه اياه
مستظهرا به على معاودة مملكته وارتجاع بيته ونعمته
فجمعهم ليلة مجلس دارت فيه الكؤوس وطابت النفوس وجرى
حديث السلف والخلف واغراق من اغرق منهم في الشرف

فنطق دارا بما لو سكت عنه لكان اشبه بحق الخدمة وحكم
الحشمة ووقف الاجتماع على رضاع العشرة وحمله زمر الانكار
عليه على قصد المراداة وركوب المحاقة حتى تأدى به الامر
الى ازعاجه من مكانه واشجائه بغصة المذل على سلطانه
وامر به في غد فردّ في العقال وحمل الى بعض القلاع وقبض
على ضياعه فاجريت مجرى الجوزبات تستغل اسوة سائرها
الى ان سأل الشيخ الجليل الوزير في بابه فامر بردها عليه معونة
له على مصلحة حاله ومؤنة اعتقاله وذلك في المحرم سنة تسع
واربعمائة

ذكر مجد الدولة ابى طالب بن فخر الدولة

قد كان فخر الدولة كتب الى ابى العباس تاش وهو بجرجان متجرده
اليها عن خراسان على لسان الصاحب يبشره بولادته واجراء
الله اياه في الصنع له على كريم عادته وكان مما كتب به وقد
رزقني الله ولدا كنيته ابا طالب طلبا للسلامة في مدته وسميته
رستم لانه من اسماء نصابه واكارومته فلما اخترمته المنية بايع
الناس مجد الدولة الا ان التي قامت عنه كانت اختا للاصبهبذ

بفريم وسائر مملكة الجبل وهي في منعة من اهلها وعزة من جانب
ارضها فتملكت على الديلم واستأثرت بالامر والنهي والحل والعقد
وجرت بينه وبينها مكاوحات تأدت بها الى استنهاض بدر بن
حسنويه اليه وامتلاك الري عليه وجرت بينها مناوشات
افضت بالديلم اولا وباهل الري ثانيا الى بؤس وفاقة ودماء
مهراقة وفتن ليس فيها قدر فواق من افاقة وعن كل قرب
يعود الخلاف جذعا وحبل الصلاح منقطعا فتنتج عنه ابادة
الرجال واستباحة الاموال وشرود الصلحاء في البلاد ومداواة
السفهاء بالافساد ولما غرض مجد الدولة بالامر وبانقلاج
الدوم من شرر الشر آثر البر في الاعتزال على سمة الامارة
وجعله الاعتراف لها بالطاعة على العقوق المفضى بمن يحسد ولايته
ورعايته الى خطة الاحتناك المشفى بهم على خطة الاجتياح والاستئصال
فلزم البيت منفردا بالكتب والدفاتر ومبيضا وجه العقل بسواد
المحابر وانفرد اخوه شمس الدولة بولاية همذان وقرميسين وما
والاها الى حدود بغداذ وورث بدر بن حسنويه اموال الاعظية

طال ما حفظتها صدور القلاع مكتومة وختمتها خيوط الاكياس مختومة
فلم يلبث الا قليلا حتى استغرقتها صلات الرجال واستنفدتها حقوق الآمال
بشيمة له في التحقق بالفضل والتخرق في البذل وقد كان ابن فولاذ فخم
في دولة آل بويه امره وارتفع قدره وانتشر صيته وذكره والتفت
عليه صناديد الديلم ومشاهير الاكراد والعرب فسأل مجد الدولة
والكافلة بالتدبير ان ينزلا له عن قزوين طعمة له ولمرعية ليتفرد
بولايتها وجبايتها ركنا من اركان دولتها وظهرا من ظهور حوزتها
يذب عنها بسيفه وسنانه متى دهاها خطب او دخن على نارهما
حطب رطب فضنا عليه بها لضيق رقعة الملك وبكور درة الدخل
واذلا اليه بظاهر العذر فقصد اطراف الري على جملة العصيان
يفسد ويغير ويقطع دون اهلها سبل من يمير وملك عليها ما يلي
جانبه من قرى وضياع وربع وارتفاع الى ان استعانا بالاصبهبذ
المقيم بفريم فاتاها في رجاجة فخمة من الجيلية اولي البأس
والحمية فاوسعوا القراع وصدقوه المصاع وجرت بينهما في دفعات
ملاحم استلحمت كثيرا من الفريقين واصاب ابن فولاذ في ساقه

بشابه اثخنته فولى فيمن تبعه على سمت الدامغان حتى الم بها وقد
التأم الجرح وعالج المرمّة وكتب الى فلك المعالي منوجهر يستمده على عسكر
الري على ان يقيم له الخطبة ويظهر الطاعة ويلتزم الاتاوة فامده
بالفي رجل يوزن آحادهم بالالف وافرادهم باضعاف يرون الشرف
قرما المزمات تحت المشرفيات والترب جفا على من حاد عن
اليثربيات ووصل جناحهم بمال قضى به حق انقطاعه اليه واعتماده
عن ظهر الثقة عليه ونهض نحو الري حتى اناخ بظاهرها فاعاد
الاغارة ومنع المائرة والمادة وغادر الديلم بها في ضنكة البلاء
وضيقة اللأواء حتى اضطر مجد الدولة ومن ولي التدبير الى
انحيازه باصبهان فعقد له عليها وخلى بينه وبينها استمالة لقلبه
واستعاذة من شره فطارت عند ذلك نعرة الخلاف عن رأسه
ورحلت وحرة العناد من صدره واقبل يروض عسكره على رشاد
وسداد ويغل ايديهم دون امتداد الى فساد وصرف عسكر
الامير منوجهر وراءهم يذكر صلاح حاله واستغنائه عن رجاله
وعطف الى اصبهان خاطبا لمجد الدولة على منابرها وذلك في شهور

سنة سبع وأربعمائة وكان نصر بن الحسن بن فيروزان قد انقطع إلى
السلطان يمين الدولة وأمين الملة فأقام على خدمته إلى أن جعل ناحية
بيادوجومند برسمه فنهض إليها وأقام بها يستغلها ويتوفر عليه دخلها
إلى أن دعاه مجد الدولة من الري فاعتسف البيداء إليها عرفا له
حق قرابته وقوبل بما اقتضاه حكم طاعته واستجابته فبقي هناك
سنين مرجوعا إليه في الرأي والتدبير موثوقا به في التقديم
والتأخير إلى أن عثر منه على ممالأة لبعض المخالفين فقبض عليه
وحبس في قلعة استوناوند وما زال بها محصورا وفي مخلب الامتحان
مأسورا حتى عفي عما جناه ورد ثانيا إلى ما تولاه ووافق ما به
خلع الديلم لجام الهيبة لعدم السياسة وانفراد مجد الدولة في
بيته بالدراسة وتبسط الديلم فيما شاؤوا من غصب وقطع ونهب
وكبس ونقب لا يرتدع منهم إلا من أشعره الله المخافة وأودع
مدرعة الرحمة والرأفة فانبرى نصر بن الحسن لقمع أولئك الضلال
فاجتاح منهم فريقا وأوسع آخرين تمزيقا وتفريقا فلما رأى القوم
ما دهاهم في أضرابهم من حصده واستيصاله تجمعوا على قصده

وقتاله وأحاطوا بداره فدافعهم بخاصته مليا ثم انثنى عنهم منهزما
وغادر ملكه في الدار منهوبا ومغنوما وما زال يتطوف في محنته
إلى يوم منيته

ذكر بهاء الدولة وما أفضى إليه أمره

قد كان بهاء الدولة بعد أن فتح الله على السلطان سجستان راغبا
في موالاته خاطبا لمصافاته مؤثرا لمكاتبته حريصا على مقاربته بحكم
الجوار الواقع بين الدولتين والصقب الحادث بين المملكتين
ووافق ذلك من السلطان رغبة في مثله من جهته لشرفه بنفسه
وسلفه ولما جمع لهما من الكفاءة في الملك والملاءة في سعة الملك
فسفر بينهما السفراء على إحكام سدى القربة واحصاد قوى المودة
حتى خلصت القلوب ونقيت الجيوب وتأكدت العقود وتأكدت
العهود وعندها أحب السلطان أن يجعل المصافاة مجاهرة والموالاة
مصاهرة فأنهض القاضي أبا عمر البسطامي شيخ الحديث بنيسابور
إلى فارس وهو النبيه فضلا والوجيه محلا والإمام علما وتحقيقا
والتمام لسانا فصيحا ورأيا وثيقا وصادف من إجلال بهاء الدولة
وإكرامه وإظهار التلطف عليه في مرامه ما اقتضته جلالة من أمليه

ومساعدة القدر له في كل ما قدره وأقام عليه مقفولا من
محل الإيجاب إلى متوسد الإكرام ومن راحة الإشبال إلى
عاتق الإكبار غير أن تعبد طلوعه عليه وافق منه علة أحدثها
سوء المزاج بين إلف الراحة والراح فأعياه نجح المراد على العارض
العائق وقد كان نحى الملك مقيما ببغداذ وهو الوزير والنصير
ومن إليه الرأي والتدبير فجشم القاضي إلى ما قبله ليتفاوضا
فيما يوجب صرف الرأي إليه وتأريب العقد عليه فاتفق مع
وصوله استيثار قضاء الله ببهاء الدولة وانتقال روحه إلى جوار
ربه وبايع الناس ولده أبا شجاع ولقبه القادر بالله أمير المؤمنين
بسلطان الدولة فاستتب له طرق الأمر واعتدل عليه عمود
الملك وجرى له الطير بالإقبال وحسن الفال ولما عاد القاضي إلى
ما قبله لم يملك له من ذاته جوابا يغنيه وجوارا يشفيه إذ كان
دونه رسولا إلى أبيه فصرفه محملا من رسائله في رائحة الود
والوفاء بسالف العهد واستبراء الخلوص بناصية الجهد ما اقتضاه
حكم الابتداء بغرس الوداد واستمداد الوفاء على ظهر البعاد وقد كان

الأمير أبو الفوارس أخو الأمير سلطان الدولة مقيما بكرمان فجرى
بينهما خلاف اقتضى سلطان الدولة تجريد الجيوش لقصده واستصفاء
تلك النواحي منه واستخلاصها من يده فنهض هو للقاء منهم وكف
عادية بهم وأوقدوا بينهم حربا أفنت الرجال أكلا وشربا واجتاحت
الأرواح طعنا وضربا واستمرت الكشفة بأتباع الأمير أبي الفوارس
فانقلبوا منهزمين وأقبل الأمير أبو الفوارس نحو سجستان
يؤم حضرة السلطان يمين الدولة وأمين الملة ممتطيا رجاءه
مستنهضا كرمه لرده وراءه فلما شارفها وقد أنهي إلى السلطان
خبر إقباله أمر أبا منصور نصر بن إسحق النائب عن الأمير أبي
المظفر نصر بن ناصر الدين بخدمة استقباله وتكلف الواجب من
إنزاله وإقامة أنزاله وأنزال من معه من طبقات رجاله ونثر
عشرة آلاف دينار له من خاص بيت ماله فبلغ من ذلك مبلغا
شهد من كان شاهدا بسجستان من قرابها وطرابها أن أحدا من
ملوك هذه الأقاليم لم يتكلف مثله لأحد من أولاد الملوك ولم يحمل
أن مثله يسمح به تيار البحور فكيف أقطار الصدور واكتسب

ابو منصور بذلك لنفسه ذكرا اعقد بالنجم صفائحه وافاض
على الشرق بعضه وعلى الغرب سائره ولما وصل الى حضرة
السلطان اوجب قضاء حق مقدمه بالاستقبال وتلقى عظم
قدره بالاجلال وحمل اليه من الذهب والفضة والخيل المسومة
والانعام والانعام بكل ما ينتمي الى قبيل الاكرام ما وقع عند الخاص
والعام موقع الاستعظام ما خلا الهمة التي ترى الدنيا خارجة
عن ملكها شعرة من اشعارها وصوفة من اوبارها وغرفة من
بحارها بل قطرة من امطارها واقام عليه قرابة ثلثة اشهر
ضيفا لا يتميز عن الادنين ارحاما ووشيجة وانسابا فسيحة حتى
اذا انبسط للانصراف والنفس معونته على عارض الخلاف ارتاح
السلطان لما استدعاه فاعطاه فوق رضاه اموالا احفت اقلام
الكتاب واوهت انامل الحساب وانهض في صحبته ونصرته
واقامة خدمته ابا سعد عبد الرحيم بن محمد احد مشايخ بابه
وافاضل كتابه في رجال قد تعودوا النصر منذ خدموا رايته فلم
يعرفوا وجه الانقلاب الا بالانفال على الاكفال

تحملت

تحملت صهوة اخرى شواكلها من طول ما حملت سيبا على الكفل
وتوجه الامير ابو الفوارس فيهم وفي سائر خاصته نحو كرمان فجلا
عنها من كان ولي عملها علما بعجزه عن المقاومة وافتضاحه ان
يعرض للمحاكمة فملك تلك النواحي ملكه اياها من قبل واقام بها
ابو سعيد الى ان تمت تلك الامور ودرت الجبايات الشطور
ثم كر وراءه فيمن كانوا برسمه وتحت قيادته واتت على ذلك مدة
من الزمان تمنع حشمة السلطان وحرمة الناهضين من اتباعه ورايته
في امره ونبهه بعز عنايته ان يقصد بما يوهم خلافا عليه حتى اذا
غادرت تلك الجيوش غرته وانفرد الامير ابو الفوارس بالتدبير
وارتاش بعد التخيير سوب سلطان الدولة عسكرا ثانيا ليحاولوا
استخلاص تلك المملكة عن يده فتلاقيا على حرب اشابت
القرون تخلبها لظى الصفاح في مخارج الطلى وتحوها اشطان
الرماح على موارد الكلى حتى تشورت الارض من صبيب
الاوراد وتمعرت من رشاش الاكباد وعندها زلت قدم
ابي الفوارس فولى كسيرا لا يعرف قبيلا ولا دبيرا وانتهى به

الركض

الركض الى همذان حضرة شمس الدولة بن فخر الدولة فقضى فيه
حق القرابة اعظاما لقدره واهتماما بامره واغتناما لشكره
واستعدادا لنصره واقام مدة مديدة على هذه الجملة حتى استشعر
او استشعا انه مغرور ومقصود والى اخيه سلطان الدولة مردود
فنفر نفار الايم من ضربة القاتل والوحش من كفة الحابل
وفارق مظنته قاصدا قصد بغداد وسنشرح من بعد حاله
وما انتهى اليه امره بما كان عليه اوله

ذكر ايلك الخان وما انتهت اليه حاله

قد كان ايلك الخان بعد الكشفة
التي انحجت عليه بباب بلخ فركب نهر جيحون وعاد وراءه يضطرب
على نفسه غيظا بما دهاه واسفا على ما اعياه وما زال يعاتب
طغان خان اخاه ويستنصر قدرخان على ما اوهن من قواه و
فوته مراده ومغزاه والقدر له معاند والزمان له مناكر و
مناكد حتى طرحه الكمد على فراشه ونجعه من قرب بطيب
حيوته فاشبعه التراب بعد ان جوعه الحرص والاضطراب
همة كانت معلقة بالاثير معلقة على فلك التدوير غير ان يد

القدر

القدر فوق يد التدبير وما يصنع المرء بالجد اذا وافق الجد سافلة
البئر
فمه رحى يجري بها اليم ماؤها وليس لها قطب بها اذ يديرها
وقد ينهض العصفور كثرة ريشه وتسقط اذ لا ريش فيها نسورها
وكانت وفاته سنة ثلاث واربعمائة وولي مكانه اخوه طغان خان
فمالأ السلطان ووالاه وهاداه متلافيا بزعمه لما اخل به اخوه
ومتوددا من حيث ركب الخلاف ذووه وجاشت من جانب الصين
جيوش لقصد طغان خان وبلاد الاسلام من ديار الترك وسائر
ما وراء النهر يزيد عددهم على مائة الف خركاه لم يعهد الاسلام
مثلها على صعيد واحد يريدون ليطفئوا نور الله بافواههم بغيا
طال ما صرع اهله واوردهم كما يورد الهدي محله فاستنفر من
خطط الاسلام حتى اجتمع اليه من رجال الترك واحرار الغزاة
والمطوعة قرابة مائة الف رجل فاشتكت اسماع المسلمين من فظاعة
ذلك النبأ الهائل والنبأ المائل فارتاعت له القلوب وانتاعت النفوس
وتناصرت الادعية والذكور وسار طغان خان مستقبلا من اقبل اليه
من جموع الكفرة الفجرة بنيات مقصورة على الاستقبال واستقبال

الاجال او ينزل الله نصره ويظهر حزبه تحقيقا لما وعدهم على
لسان نبيه محمد صلى الله عليه وسلم حيث يقول وقوله الحق انا لننصر
رسلنا والتقوا اياما تباعا على ملاحم لم يذر من فتق العروق
وضرب الحلوق وشد الحبول على الخيول امؤب انواء ام صب
دماء ولمع بروق ام وقع سيوف وظلمة ليال ام رهج قتال وفي
كل ذلك يتولى الله عباده بالايد المتين والنصر والتمكين حتى
وثقوا بالصنع المستبين وطلوع النجح مشرق الجبين وتلاقوا
ليوم منصوص عليه على فيصل الحرب فتداعوا لها بطاقة وادان
على الفريقين دهاقه فاما اعداء الله فسكروا اسكرا استوجبوا به
الحدود بالحدود البواتك صبت عليهم من لدن لاح جبين الشمس
الى ان ذكت سراجا وهاجا وكادت تصير على قمم الرؤس تاجا واما
اولياء الله فانتشوا نشوة طربوا معها للضرب فوق الهام والعبث
بطلايع الحمام لاجرم ان الله حماهم ونصرهم وآواهم واظفرهم
فغادروا من جماهير الكفار قرابة مائة الف عنان صرعى على وجه
البسيطة عن نفوس موقوذة ورؤس منبوذة وايد عن السواعد

مجدودة

مجدودة تغتري للصباح بل حفلي للسباع والوحوش الجليح وافاء
الله على المسلمين مائة الف راس غلمانا كالبدور واللؤلؤ المنثور وجواري
كالحور والبيض المكنون وسوايم غصت بها اقطار البيداء وضاقت
عنها اطراز الدهناء وشرد الاكوان ورآءهم تتلم السيوف شلل
الانعام وتختطف ارواحهم بايدي الحمام وتطايرت بهم البشارات
في ديارات الاسلام فنضرت لها الوجوه وضحكت القلوب وعم
السرور وتوفر الشكور وتباشرت الدور حتى القصور والخدور لطفا
من الله تعالى لدين ارتضاه ووعدا ان يصل بيد التاييد قواه ولم ينشب
طغان خان بعد ان فرغ من هذه الحرب العظيم باسها الشديد مراسها
ان استاثر الله به فنقله الى جواره وبوأه مبوأ الصديقين من دار
قراره ختما له بالشهادة وحتما عليه بالسعادة وورث مكانه اخوه صنوه
في التقية وتلوه في الامور الالهية ثبت المقام في دين الاسلام
لا يعرف لجاهلية ولا تنتمي منه عنجهية ولا عجرفية يقيم الصلوات
جماعة ويفترض العدل سمعا لله وطاعة وعمر الحال التي كانت
بين طغان خان لاخيه وبين السلطان يمين الدولة اظهار المصافاة

واستشعار المواخاة وايثار الاشتراك على تصاريف الحالات
وخطب السلطان اليه والى اخيه ايلك كريمة لولي عهده الامير ابي
سعيد مسعود بن يمين الدولة وامين الملة فاحسنا الاجابة
واغتنما القرابة وتردد السفراء في ذلك مدة على جملة التهادي
ورض الحال باقتسام الايادي الى ان حقت الحقيقة وتمت
العقدة والوثيقة وانهض السلطان من اختارهم من ثقات
بابه لينقل اليتيمة الكريمة فجهزت وديعة تتلاح عليها ملكان
هذا صدر الملك وذاك ملك الترك يختص بها الشبل بن الليث
والوبل بن الغيث والتيار بن البحر والصباح بن الفجر الامير
الجليل ابو سعيد مسعود بن محمود ونقلت الى الحضرة ببلخ وقد
صحبها من فقهاء تلك الدولة واعيان رجالها من عدوا ائمة
المشدق والمنطق فادوا امانتي اليد واللسان على ما الحمت
الحال بين الحسنيين ورفضت الحشمة في ذات البين وامر السلطان
اهل بلخ قبيل الوصول بعقد الآذين وتكلف التنجيد والتزيين
فبلغوا من ذلك مبلغا لم يستبق فيه من الوسع مذخور ولا من

الرسم

الرسم مذكور ومسطور ورأى السلطان بعد ذلك ان يعقد للامير
مسعود على هراة سرة مملكته ونواحيها وسيره اليها بعد ان وصله
بمال عظيم يعده ذخيرة ويوسعه تجملا وزينة فنهض اليها منبلج
السيرة حميد السريرة عادل الطريقة فاضل الخليقة خليقا
بالملك على الحقيقة وذلك في سنة ثمان واربع مائة **ذكر الامير
ابي احمد محمد بن يمين الدولة وامين الملة** جملة ما يمكن
الافصاح به والايضاح عنه من حاله وذكر خصاله قول القائل
ان السري اذا سرى فبنفسه وابن السري اذا سرى اسراهما
قد جمع الله له من الميل الى خصايص الادب والسعي لمعالي الرتب
والبعد عن مكامن الريب ما دل على انه ابن ابيه شرفا سمقت
على النجوم شرفاته وكرما تعرفت لاهل الفضايل عرفاته خروج
من حضن الكفالة خروج الابريز من جمرات السبايك والهلال
من تحت الشعاع المتشابك لم تعرف له طول ايام الايفاع غير
الارتفاع الى اليفاع تعرفا على كرم الطباع وتقييدا للمأثور
بالسماع وبذلا لما لفظته يد الطباع وارتياضا بآداب الثقافة

والمصابح وتمرين البنان بين القلم والعنان وتعويد اللسان ذكر
الاصابة والاحسان لاجرم انه لما ترعرع بداة برد الحداثة ولبس
خذاة طوق الشهامة رأى السلطان ان يوفيه حق النبوة وبنيه
شرط المروة ويجذب بضبعه الى حيث اقتضته الفراسة فيه
واستدعته العناية به والرعاية له فزوجه كريمة الامير ابي نصر
الفريغوني والي الجوزجان وهي التي تجمع الى الاصالة جلالة والى
الكفاية كفاءة والى النغمة همة وعقد له على اعمال الجوزجان كما
عقد للامير الجليل ابي سعيد مسعود على هراة وهي التي وليها
آل فريغون وهم الذين حكوا في العز افريدون وفي الهمة المنجنون
وفي الغزارة والسماحة جيحون وولى ابا محمد الحسن بن مهران
كفاية اموره وولاية تدابيره فبرز اليها بروز السيف من يد
الصاقل وهمى على اهلها همي السحاب الهاطل فاحياهم بندى
العدل الشامل وعدل في العطف عليهم بين الايامى والاراامل
فعلقته قلوب الخاص والعام وكفته النفوس مؤونة الاستخدام
ولما رأى السلطان حميد اثره ورشيد مختبره ازداد شغفا

باثارة

باثاره وحرصا على اصطناعه وايثاره فلم يخل من جديد انعام
ومزيد حفاوة واكرام وسيأتي بيان خبر الاخوين الجليلين في
موضعه من بعد باذن الله ومنه

ذكر التاهرتي الرسول الوارد من مصر

قد كان السلطان يمين الدولة
وامين الملة منذ شحذ الله عزيمته لغزوات الهند محييا لسنة
ابيه ومقتفيا نهج آثاره ومساعيه باحثا على طريق النظر
وسبيل الجدل عن سنن الاسلام وماحيا للبدع المعترضة
عليها في سالف الايام استبصارا منه في الدين واستظهارا
على قمع الملحدين فقرأ الكتب وسمع التأويل وتتبع القياس
والدليل وعرف الناسخ والمنسوخ والخبر الصحيح والموضوع
وتلقن من اصول الدين ما لم يسمح معه في الدين بدعة و
رأى كل ما خالف ظاهر نكرا وشنعة والقي اليه ان في غمار
الرعايا بخراسان اقواما ينتحلون مذهب الباطني المنسوب
الى صاحب مصر ظاهره الرفض وباطنه الكفر المحض بتأويلات
موضوعة تؤدي الى رفع قواعد الدين ودفع معاقد الحق

واليقين وابطال معالم الشرع وتتبع احكام الله بالرفض
والنقض فامر ببث العيون عليهم والصاق الطلب بهم وعثر
على رجل كان سفيرا بين المذكور وبين اوليائه والملبين
لندائه يعرف القوم بسيماهم واسمائهم فنص على عصابة
منهم مختلفي البلدان والاوطان فاشخصوا الى الباب فرجموا
تحت الصلب بالاحجار ولم يزل يفعل مثل ذلك بامرائهم ومن
كان يخرج له ذكر بالقابهم حتى التقطتهم حجارة الرجم والرض
عن بساط الارض وقد كان الاستاذ ابو بكر محمد بن اسحق
بن محمشاد زعيم اصحاب ابي عبد الله بن كرام عزيز الفضل
كبير المحل مذكورا بالديانة الوافية والامانة البادية الخافية
مشهورا بالنيقظة على الفرق الغالية والبدع الجافية فوافق
رأى السلطان على اجتياح من ركب بنيات الطريق وعدم
في العدول عن مثل مخارف النعم مساعدة التوفيق ونبه على
عدة زعموا انهم ضلال ولهم في فضول القول وهذر المحال مجال
فسلكوا في اصفاد الآخرين ونصبوا عبرة للناظرين وازداد

ابو بكر

ابو بكر فيما تقرب به من ظاهر المحاماة على دين الله والمراماة
دون حق الله وتطهير بيضة الاسلام عن كل ذي ريبة بعيدة
او قريبة حشمة اطمعت فيه الرجال وامالت اليه الآمال داية
حشمة وضع الله عليها طابع النبي فهي في جوار النجم علو مكان
وسمو شان وكفاك بها فجاجة ما ورد في الخبر المروي ان الله
تعالى قال للدنيا من خدمني فاخدميه ومن خدمك فاتعبيه
او فاستخدميه واتفق بعقب ذلك ان طلع رجل من ديار
العراق ينتسب الى شجرة العلوية يذكر انه رسول صاحب مصر
الى السلطان يمين الدولة وامين الملة بكتاب يحمله وسر تزوده
فورد نيسابور مدلا بسبب النسب ومدليا بصلف الشرف
فاستوقف الى ان انهى الى السلطان خبره ووكل الى ما يرد من
مثاله صدره ونهض من بعد ذلك الى هراة متنذا الى الحضرة
فامر برده الى نيسابور لتقرير ما تحمله على رؤس الاشهاد
وبمرأى ومسمع من كل حاضر وباد صيانة لحاضر مجلسه عما عسى
ان يضاف اليه من اجابة وسر تحت رسالة فلما رد القهقري

وفتش عما صحبه عثر على تصانيف الباطنية واغاليط في الشريعة
الحنيفية امج منها في الاسماع جباط المجانين ووسواس المبرسمين
لا توخذ في محصول ولا توجد في معقول ومنقول وناظره
الاستاذ ابو بكر على امور من جهة مرسله تفاوتت فيها الفاظه
فلم يوجد لها على نار الامتحان ثبات ولا الى وجه التحقيق وجانب
التمييز التفات وما زال يضرب اخماسا في اسداس الى ان تبين
له انه قد اخطأ في تحمل تلك الرسالة وجرم التوفيق في تقلد تلك
السفارة وقضى الله ان اشخص الى حضرة السلطان فلما وردها
استحضر مجلس حفلة وقد غص باعيان السلطان سادتها وكبرائها
وقضاتها وفقهائها وغزاتها وزعمائها وهناك الحسن بن طاهر بن
مسلم العلوي ومن قصته ان جده مسلما لم يكن في الطالبية
من اولاد الحسين الاصغر رضي الله عنهم بناحية مصر اوجه
وانبه منه ولا اغنى واقنى عنه فلما استقر معد ابو تميم المعز
بمصر خطب اليه بعض بناته على ولده ابي منصور الملقب بالعزيز
وسبب ذلك على ما قيل انه وجد في داره رقعة فيها

ان كنت من آل ابي طالب فاخطب الى بعض بني طاهر
فان رآك القوم كفوا لهم في باطن الامر وفي الظاهر
فانت من سفه خوزية يغص منها البطر بالآخر فنسبهم الشاعر
الى انهم الخوزية بالعسكر لان كورتها خوزستان وهي ام محمد بن عبد
الله بن ميمون فاعتل مسلم عليه بان ليست واحدة من بناته
الا وهي في حبالة وتحت عقدة تفاديا من اجابته وتحاشيا من
مصاهرته فلما عرف امتناعه ذهابا بنفسه عن مصاهرته
وترفعا بنفسه دونه وضع عليه يد الاستيفاء بعد ان اودعه
الحبس سنين وخبطه خبط العصا ورق السلم والبسه عن فضفاض
الغنى غلالة العدم وهلك من بعد على يده فقال قوم غيب من
مجلسه فلا يدري كيف صار امره واين جعل قبره وزعم آخرون
انه هرب من المحبس على طريق الحجاز فاحتضر في الطريق وعند
ذلك لجا طاهر والد الحسن المذكور الى مدينة الرسول صلى الله
عليه وسلم فتأمر على اهلها ومعه ابن عم له يعرف بابي علي بن طاهر
وهو ختنه على اخته فلما مضى طاهر لسبيله ورث ابو علي مكانه من

الامارة الى ان لحق به وورثه ولداه هاني ومهني دون الحسن
لاستضعافهما اياه وتفوقهما بالحال والمال عليه فرحل هو نحو خراسان
ملتجيا الى السلطان يمين الدولة وامين الملة سنة ثلث وتسعين
وثلثمائة فلما ورد التاهرتي بزعمه رسولا صغر الشريف الحسن
شانه ووضع فيه لسانه وابى ان يكون له ثبات على دوحة الرسالة
وانتساب الى نبعة النبوة وادعى عليه الكذب وتحمل الزور والتقول
وعزاه الى فساد الدين واستحقاقه ضرب الوتين فخلى السلطان
بينه وبين ما يستجيزه لنفسه ودينه فيه فقام الى جيده بضربة
غرقته في دم وريده وقد كان القادر بالله امير المومنين
كتب الى السلطان بما تراءى اليه من خبر الرسول ما يقتضيه الدين
من التصلب عليه وتقديم الجد في الانتصاف للاسلام والمسلمين
منه فلما ختم امره بما تقدم ذكره انهى الى مجلس الخلافة صورة الحال
وكم السيف افواه العذال فقوبل من القبول بمقتضاه وجزي
الخير على ما اتاه وتوخاه فكان مثل التاهرتي كما قيل
ومن يشرب السم الذعاف فانه حقيق بانياب المنايا النواهس

ذكر الامير ابي العباس مامون بن مامون خوارزمشاه وما ختم به امره الى ان ورث السلطان مملكته

قد كان ابو الحسن علي بن مامون لما ورث اباه مامونا مملكته وقد
كان استضاف خوارزم الى الجرجانية خطب الى السلطان احدى
اخواته تقوية لعمدة الحال وتشديدا للحمة الوصال فاوجب
اسعافه بما استدعاه استكفاء اياه وتوخيا لرضاه وزفت اليه
من خطبه ووصل باسبابه سببه ودر التهادي بينهما حتى صارت
الديار واحدة والاسرار لغير الاخلاص جاحدة وعبرت الحال
على جملتها في الاتشاج والامتزاج الى ان قضى خوارزمشاه نحبه
ولقي بانقراض الاجل ربه وورث ابو العباس مامون بن مامون
مكان اخيه وولي ما كان يليه فكتب الى السلطان يسأله ان يعقد
له على شقيقته عقدة على اخيه من قبل فهو تاليه في الطاعة
بل اتم اخلاصا وثانيه في القربة بل اشد اختصاصا فشفع
السلطان فيه داعي الكفاءة واستجد للحال دونق الطراءة

وعقد له علیها عقد الخلطة فیه بنفسه وفرغ له فریقا من قلبه وخلبه وما زال الامر علی جملة الاشتراک والاشتباک الی ان دعا السلطان داعی الاختبار الی سومه اقامة الخطبة باسمه وانهض رسولا یتنجز العمل بما یقتضیه ظاهر حکمه فصادف ذلک منه حزما علی الاجابة وانتزاها لحق الطاعة غیر انه عرض الحال فیه علی من حوله من اعیان اشیاعه واتباعه فاظهروا نفارا وامروا واستکبروا استکبارا وقالوا نحن اتباعک واطواعک ما سلم لک الملک عن الاشتراک فاما اذا وضعت خدک للطاعة وضعنا السیوف علی العواتق خلعا لک وتملیکا علیک وجهادا فیک فعاد الرسول الی السلطان بما رآه عیانا وسمعه بغیا وعدوانا واحس القوم بحمرة الدم من وراء جرائهم علی ولی نعمتهم بالقول الفظیع والرد الشنیع وزعیمهم فی الامر یومئذ نیالتکین البخاری حاجب الجیش فاوجسوا خیفة وتوامروا علی الفتک به غیلة وما زالوا فی التدبیر علیه الی ان دخلوا ذات یوم الیه علی رسم السلام فاذا هو صریع کاس الحمام لا یدری کیف قتل ومن ای

وجه الیه قد وصل فبادروا الی العقد باحد ولده وبسطوا ایدی الاصفاق علی بیعته وعلموا ان السلطان یمتعض للحادثة ویقصد قصد الانتصاف للوراثة فتحالفوا علی مقارعته ان غزاهم فی عقر دارهم وجراهم علی مسخوط آثارهم ولما انتهی الی السلطان خبر صنیعهم بولی نعمتهم وهو قیم شقیقته وحامی حقیقته ازعجته قوة الحفاظ للانتقام من اولئک الغدرة الفجرة والمردة الفسقة فجاش لمناهضتهم علی حمیة مسجورة وحفیظة علی ابتغاء ذات الله مقصورة وکانت سعادة ایامه قد لقنت اولئک العتاة البغاة بما اتوه استحقاقا للنقمة وبراءة من العصمة وتمهیدا لعذره قربا وبعدا فی استخلاص مملکة کانت الی عز ایالته نازعة ولباب الاقبال برفق سیاسته قارعة وجر الجحافل کالجبال سائرة والبحار زاخرة حتی اناخ بعقوتهم مستعینا بالله علی قتالهم واستنزالهم الی منا آجالهم وشاور صاحب الجیش البخاری عامة قواده فی رکضه علی طلائع السلطان بیاتا تعضهم بانیاب الحدید ان لم تسلمهم

للتشرید والتبدید وطار بجناح اللیل حتی انقض علی ابی عبد الله محمد بن ابرهیم الطائی وهو طلیعة السلطان فی کماة العرب حین اغمض الکری رؤسهم وشغل برد الصباح نفوسهم فاختلط البعض بالبعض ضربا بالسیوف الفواصل وطعنا بالرماح الذوابل فطار الخبر الی السلطان برکض القوم فزحف بجیوشه الی معترک الحرب وثبت الخوارزمیة من لدن طلوع الشمس الا ان حمی وطیس النهار جاهدین فی القراع ومجاهدین دون المسالک والربائع یظنون ان یظفروا وقد غدروا بمن رباهم فی حجور الانعام وارواهم من ثدی الاکرام هیهات ان الغدر قلادة منظومة احد طرفیها عاجل العار وثانیه آجل النار ولم یشرف الشمس علی التکبید حتی انجحت الخیول عن الفیول رجالا کحواجالا قد قصفت اصلابهم وانتهبت اسلابهم وفلقت بالسیوف هاماتهم وبضعت بها اجسامهم وانهزم الباقون فی خمر الغیاض علی شاطی جیحون والصوارم من ورائهم تخطب ازواجهم حتی اذا واقعتها نحلتها الطلاق صداقا واستاسر

زهاء خمسة آلاف رجل حتی الله دماءهم عبرة للنظار وعظة لامثالهم من الغدرة الفجار ورکب البخاری ظهر الماء مؤئلا فی الهرب ومقدرا خلاصه من العطب ولم یدر ان فعله السوء محیط به وان اقدامه علی ولی نعمته یردیه وان حافر البئر لاخیه ساقط لا محالة فیه وجرت فی الزورق بینه وبین بعض اصحابه منافرة حملته علی الاستیناف منه وبعث الملاح علی استقبال المعسکر بوجه الزورق فلم ینشب الا یسیرا حتی حصل فی ید السلطان اسیرا واحضر السلطان بمجلسه فی سائر القواد المأسورین یسأله وایاهم عن استحلالهم دم صاحبهم من غیر داعیة واجترائهم علیه من غیر وطأة عاتیة فرد جواب المستبسل المستقتل واما الباقون فسقط فی ایدیهم لا یدرون ماذا یردون وامر السلطان بضرب الاعواد والجذوع تجاه مقبرة صاحبهم ابی العباس مامون بن مامون خوارزمشاه وصلبهم اجمعین علیها مع عدة ممن اتهمهم بالدین وعدهم معد الناکبین عن قصد السبیل

وأمر بالكتابة على جدران تلك المقبرة بأن هذا قبر فلان
بن فلان بغى عليه حشمه واجترأ على دمه خدمه فقيض الله
يمين الدولة وأمين الملة أبا القسم محمود بن ناصر الدين
سبكتكين حتى انتصر منهم وصلبهم على الجذوع عبرة للناظرين
وآية للعالمين وأمر من بعد بالأسرى فوضعت الأغلال في
أعناقهم يقادون إلى غزنة دار الملك فوجا بعد فوج حتى إذا
حصلوا بها وقد امتلأت منهم العيون وغصت بهم المجالس
والسجون من عليهم بالإفراج وفرض لهم في جملة سائر الحشم
والأجناد ووضعهم مواضع أمثالهم من ديار الهند ذبابا
يحمون أقطارها وينفضون عن عيون الغيث مناكبها
وأطرافها وولى خوارزم حاجبه الكبير أبا سعيد التونتاش
فأقام بها قامعا نجوم الفساد وفاقئا عيون البغي والعناد إلى
أن نضب ماؤهم وأذعن للسلطان أفناؤهم واتسقت تلك
الأسباب ودرت الأحلاب وذلك تقدير العزيز العليم
يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد

ذكر فتح مهرة وقنوج

ولما فرغ السلطان من مهم خوارزم وقد انضافت كإحدى أخواتها
إلى سائر ممالكه المتوشحة بآثاره وولايته الموشعة بأصباغ عدله ورعايته
رأى أن يختم صحيفة العام بطابع الاهتمام إجماما للركاب والركب
وتقليبا لرأي الغزو بين جوانح القلب فعدل إلى بست كالشمس
قد جنحت للشمال وجاوزت نقطة الاعتدال فالدنيا بها حواشي
المطارف أو عواشر المصاحف أو عقود المخانق أو نهود
المعصرات العواتق يدبر أعمالها ويروي فيما صار أحمى لها إلى
أن أذن الله تعالى له في معاودة غزوة منشئا سحاب الفكر
في غزوة يحقق إعجاز القرآن بما تضمنه من وعد الله المنان
في إظهار دينه المرموم بسيد البشر ومولى البدو والحضر
محمد تاج الأنام وسراج الظلام صلى الله عليه وعلى آله
الخيرة البررة الكرام على الدين كله وإن سخطت نفوس وضرعت
خدود ورغمت معاطس وأنوف بعد أن كانت الشقة قد
بعدت عليه وعلى أعوان دين الله السائرين تحت رايته إذ
كانت الهند قد تخيفت من سواها وأطرافها سبيا وانتهابا

وملكت على أربابها سهوبا وشعابا فلم يبق إلا ما أجنته صمير قشمير
ومن دونها فياف تفصم عن كل خريف وصفير وتفل بينها وفود
الرياح إلا بخفير واتفق أن حشر إليه من أدنى ديار ما وراء
النهر إلى أقصى حدوده زهاء عشرين ألفا من مطوعة الغزاة وقد
وضعوا سيوفهم على عواتقهم محتسبين للجهاد منتدبين في ذات
الله للاستشهاد يخطبون الجنان بصداق الأرواح ويستامون
الغفران بحدود الصفاح فحرك من السلطان نفيرهم وذمر
نفوس المسلمين تكبيرهم واقتضى رأيه أن يزحف بهم إلى قنوج
وهي التي أعيت الملوك الماضين غير كشتاسب على ما يزعمه المجوس
وهو كبش أقرانه وملك الأملاك بزعمهم في زمانه فسار وبين غزنة
دار الملك وخطة قنوج مسيرة ثلثة أشهر للركائب العود والجوائف
السود فاستخار الله وسار وهجر النوم والقرار واستصحب
من شهد من أنصار دين الله وأعوان حق الله رجالا لا يقتحمون
أسدات المنايا شوقا إلى السعادة بالشهادة وحرصا على الموعود
من الحسنى والزيادة وعبر مياه سيحون وجيلم وجندراهة

والراوة وبيت هوزر وشتلدر سالما في سالمين وهذه أودية
تجل أعماقها عن الأوصاف ويمتنع أطرافها على الأطواف منها ما يغمر
غوارب الفيول فكيف كواهل الخيول ويدهده أثقال الصخور
فكيف خفاف المطايا والظهور منبها من الله لمن والاه وغرر
دروجه في استدامة رضاه ولم يطأ مملكة من تلك الممالك إلا
أتاه الرسول واعتاد الطاعة عارضا في الذمة كنه الاستطاعة
إلى أن جاءه جنكي بن سمهي صاحب درب قشمير عالما بأنه بعث
الله الذي لا يرضيه الإسلام مقبولا والحسام مغلولا فأظهر
العبودية عن جامر التوفيق وضمن الإرشاد بأنقي الطريق
وجعل يسير أمامه هاديا ويجزع واديا فواديا وكلما انتصف
الليل أذن بالمسير خفق الطبول واستوى أولياء الله على ظهور
الخيول يحتشمون تعب الركض والسلوك إلى أن تجنح الشمس من
غد للدلوك حتى استظهر ماء جون لعشر بقين من رجب سنة
تسع وأربعمائة وما زال يفتح الصياصي والقلاع مبنية على
ربود الجبال وجروف القلال بحيث تألم منابع الأعنا في متي

شخصت اليها نواظر الاحداق الى ان شارفه قلعة برنة من ولاية هردت وهو احد الراين اعنى الملوك بلغة الهند فاطلع على الارض الطلاعة وهي تموج بانصار حق الله مسومة من فوقها الترائك ومن حولها الملائكة فتزلزلت قدمه واشفق من ان يستباح دمه فراى ان يحتمي بالاسلام بأس الله وقد شهرت جدود ده ونشرت بعذبات العذاب بنوده وزليه بجوعشرة الآف منادين بدعوة الاسلام منقادين عن ولاية الاصنام فحقق الله ميعاده واحسن بفضله لسعادهم واسعاده بهم وامتد به الوجيف بعد الى قلعة كلجند وهو من اعلام الشياطين واعيان اولئك الملاعين يدل على الملوك بعزائفس ويزنوا الى الغروم بطرف اشوس قد قضى في الكفر معظم عمره وغني بهيبة الملك وبسطة الامر عن تجشيم بيضه وسمر لم يقصده احد الا ارتد عنه مغلولا وعاد عقده عنه محلولا عزة جاه وكثرة مال وقوة رجال وعدة افيال ووثاقة معاقل وحصون ومنعة عن مطامع الانام ومطامح الوهم والاحلام مصون فلما

راى السلطان قد قصد قصده وجرد المجاهدين جنده رتب فوله وخيوله وراء غياض لوزميت بافواد الابر لا تقتها الارض باوراق الشوك والشجر واغرى السلطان به بعض طلايع جيوشه فنادوا اليهم يخرقون تلك الآجام خرق الامشاط منابت الشعور بل الاشافي مخارز السيور واعرض للسلطان طريق من فوق القلعة المذكورة فلم يرع اهلها الا البحر الاخضر والله اكبر والسيوف لا تبقي ولا تذر فنبتوا الجلاد مستقتلين وتواموا بالمنايا مستبسلين والسيوف تاخذهم من فوق ومن قدام و تصفحهم ما بين لحوم وعظام وحملاتهم بينها تتمثل انصباب الكعوب وضربا تهم تتوالى توالي الغيث المصبوب غير ان الله تعالى منزل الحديد ذي الباس الشديد هو الذي اذا شاء قطع واذا شاء نبا وامتنع كذلك سيوف الهند تنوط نباتها وتقطع احيانا مناط القلايد فان نالت من اولياء الله فلاجر الاستشهاد وثواب المعاد وان نبت فلاعجاز القدرة واظهار العبرة ليعلم ان الحكم لله في كل مخذول ومعصوم ومحروس

ومقصوم وظل المخاذيل يتنامسون بينهم وقد عاينوا سيوفهم نابية وسيوف اهل الحق عليهم ماضية وحملاتهم واهية وحملات اهل الدين اولى وثانية ما هؤلاء من جنس الانس ولا من زمر البشر هيهات ان وقع الحديد ليحز في الجبال ولا حز له في هؤلاء الابطال حتى اذا مثل لهم شخص الطغيان في صورة الخذلان تواموا باقتحام ما وراءهم من زاخر الماء يظنون انها تقيهم باس الانتقام وتحميهم كاس الحمام اولا يرون ان الكفر لا يهدي سبيله وان الله يردي بكثير ما يحيي قليله لا جرم ان صفائح الماء وافقت صفائح الدماء فاوسعوا قتلا واسارا واغرقوا فادخلوا انارا ولعل عدد القتلى والغرقى يزيد على خمسين الفا اصبحوا طعما للنسور والضبعان واقواتا للتماسيح والحيتان وعمد كلچند الى قالته فاهلك بها عرسه ثم كر فالحق بها نفسه واغنم الله السلطان مائة وخمسة وثمانين راسا من الفيلة الفخام مضافة الى سائر ما اطرد عليه حكم الاغتنام من نعم الله

الجسام وقسمة الراجحة بالانفال ولما وضعت تلك الحروب اوزارها وحلت له الغنائم ازرارها عطف عنانه الى سمت البلد الواقع عليه اسم المتعبد وهو الذي بناه مهرة الهند يطالع ابنيتها التي يزعم اهلها انها من صنع الجان دون الانسان ابداع اساس وسقوف وانجاز اوساط وحروف فراى ما يخالف العادات ويفتقر دونها الى الشهادات بل المشاهدات بلدا مبني السور من صم الصخور وقد اشرع بابان منها الى الماء المحيط به موضوعة ابنيتها فوق شواخص القلال صيانة لها عن مضار سيول الماء ومعار غيوث السماء ومن جنبتيها الف قصر شبيهة بسائر الابنية في الوثاقة مشتملة على بيوت اصنام قد هندمت مفاصل اجرامها بمسامير تساوي سطوح البناء وتواري ما وراءها من الجزء وتحت الخفاء وفي صدر البلد بيت اصنام تخلل الجواهر او احسن وتجري مجرى اضرابه بل انقش لا يهتدي الكتاب باقلام الدواة ولا النقاشون باطراف الخامات الى امثالها تحسينا وتزويقا ونقوشا تخطف الابصار بريقا وكان فيما كتب

السلطان به انه لو اراد مريد ان يبني ما يعادل هذه الابنية لعجز عنها بانفاق مائة الف الف درهم في مدة مائتي سنة
على ايدي عملة كملة مهرة سحرة وفي جملة الاصنام خمسة من
الذهب الاحمر مضروبة على خمسة اذرع في الهواء منصوبة
قد الحمت عينا واحد منها ياقوتتين لو سيم مثلهما على السلطان لابتاعه
بخمسين الف دينار استرخاصا ولم يستشر فيه دركا ولا خلاصا
وعلى آخر قطعة ياقوت ازرق رائقا من رونق الماء وبريق الهواء
تتزن اربعمائة وخمسين مثقالا وخرج من وزن قدمي احد
الاصنام المذكورة اربعة آلاف واربعمائة مثقال فكانت جملة
الذهبيات الموجودة من اجرام الاشخاص المنصوبة ثمانية
وتسعين الفا وثلثمائة مثقال وزادت الفضيات منها على مائتي
قطعة لم يمكن وزنها الا بعد التفصيل والعرض على كفف المعايير
وامر السلطان بعد بسائر بيوت الاصنام فضربت بالنفط والضرام
وجعلت سقوفها مواطئ الاقدام وسار من بعد قدما يروم قنوج
وقد اشتق له الفال من تصحيفه فتوحا وحل من الله ممنوحا

ممنوحا

ممنوحا وخلف وراءه معظم العسكر تطميعا لراجيال ملكها في الثبات لحقة
الزحام وتقبيحا له قبل اللقاء صورة الانهزام اذ كان امراء الهند
على غلب رقابها وقوة اسبابها واصحابها اطواعا لراي قنوج اعتزازا
بمكانه واغترارا بفخامة شانه ولم يعبر على قلعة من قلاع تلك
الرباع الا وضعها بالارض وعرض اهلها على الاسلام او السيف
وحاز من السبايا والنهاب والنعم الرغاب ما يعجز انامل الحساب
ووصل ثامن شعبان الى قنوج وقد فارقها راجيال حين سمع باقدامه
فراق من لا يرى الهزيمة عنه عارا ولا يعتد الفضيحة به شنارا
وعبر الماء المسمى كنك وهو الذي يتواصف الهنود قدره وشرفه
ويرون من عين الخلد في السماء مغترفه ان احرق ميت منهم ذر رمده
فيه بعظامه وظنوه طهرة لآثامه وربما اتاه الناسك من بعيد فغرق
نفسه فيه يرى ان ذلك ينجيه وهو في العاجل يرديه وفي الآجل
يصليه ويخزيه ثم لا يميته ولا يحييه وتتبع السلطان قلاع قنوج
فاذا هي سبع موضوعة على الماء المذكور كالبحر المسجور وفيها قرب
من عشرة آلاف بيت للاصنام يزعم المشركون انها متوارثة منذ

مائتي الف سنة الى ثلثمائة الف سنة كذبا وزورا وقولا موزورا وعدولا
عن سنن الهدى وكفورا وبحسب قدمها كانت عبادتهم لها واجهاشهم
بالدعوات اليها وقد شرد عنها اكثر اهلها خيفة الايم واليتم
وحلول النكير بآلهتهم الصم البكم فمن بين ناج اعانه نجاؤه وثاو اباده
ثواؤه ولم ينجه من سيوف الحق ارضه ولا سماؤه ففتحها كلها في يوم
واحد ثم اباحها لاهل عسكره يتناهبونها طلقا حلالا ويتناولونها
وقما واذلالا وركض منها الى قلعة منج المعروفة بقلعة البراهمة
وهم حي لقاح وعتاة ما لهم عن العناد في تلك البلاد براح فثبتوا للقراع
اشباه العفاريت عارجة والشياطين ماردة او ما رجة حتى اذا اعوزهم
الثبات واحرجهم النجاة وعلموا ان ليست لهم بالمسلمين طاقة وان دماءهم
لا تشك مهراقة تهاووا من عرفات الجدران وشرفات البنيان على
شبا الرماح وظبى الصفاح استخفافا بالنفوس والارواح واستسلاما
لامر الله المتاح لا جرم ان السيوف اشربت الارض دماءهم
واطعمت النسور اشلاءهم كذاك المنايا امهار من خطب اليها لم ترله
ردا ولم يجد من انكاحه بدا واخذ على تفيئة ذلك نحو قلعة اسني

وصاحبها

وصاحبها المعروف بجندال بهور احد انياب الهنود وارباب الجنود لم
يزل ذا امنعة بالملك وسعة في الملك فعرض له راي قنوج منازعا
وماده في الحرب مكاوحا ومقارعا فلم يزد على ان انعب اولياءه ونكل
على الخيبة وراءه وقد احاط بهذه القلعة غياض متكاثفة كاعراف
الجياد ومتد اخلة كاشعان الجداد لا يستجيب الا فاعي بينها للرقاة
ولا يستنير البدر عندها للسراة قد احاطت بها خنادق فغرات
الحفاير فسيحات الدوائر احاطة النور بالثريا فالله عنها انفراج و
لا لجياد دونه انعراج فلما شعر المذكور بزحف السلطان اليه في كواكب
دولته ومواكب جملته فقد قلبه فرط الجذاذ وحس بغضه فكان
ذنب الغار ورأى الموت فاغرا فاه فلم يملك الا ان يوليه قفاه فامر
بقلع قلعته من اصولها وتعويرها على من يهم ان يتخلو لها وقفا ان
بعقارب اصحابه ينهبون ويغنمون ويقتلون ويأسرون حتى علم الكافرون
انهم هم الخاسرون وكان المخذول يرى ان اعوانه من كماة المقانب
وحماة للاشاحب ورماة الكتائب حتى رأى عسكر السلطان بين تلك
المشاجب وآثارهم بالقنا والقواضب والقسي المواطر كالسحائب

فعلم ان ضرب اللاعب خلاف ضرب الثائر الغالب وقوس المحلج غير قوس
الناشب ولما فصل السلطان امر جند بال واذاقه في مهربه الذاء العضال
عطف على جندراى احد اكابر الهنود في قلعة شرق وهو يظن بنفسه ان
القائل يعنيه بقوله عطست بانف شامخ وتناولت يداي الثريا قاعدا غير قائم
قد ذهبت بها عن ان يعطي عين مقادة او يالف غير التعزز عادة وكانت
في غابر الايام بينه وبين بروجيبال مناوشات تحاجش عن خطوط الرقاب
فدامت حتى استلحمت رجالا واصطلمت ابطالا ابطالا ثم قام دست
الحرب بينهما فاضطر الى التوادع والتكاف حقنا للدماء وصونا للاطراف
وخطب بروجيبال اليه ابنته على ابنه بهيمال استدامة للالفة واماطة
للفرقة واستدفاعا للشر والفساد واستبقاء للسيوف والاغماد
وسرح ابنه اليه على نجح عقد الوصلة وشرط الانتاج في اللحمة
والاشتراك في البيت والنعمة فلما حصل الختن في يده جعله تحت قيده
وكانه يعوض ما ذهب له على يد والده فعجز بروجيبال عن قصد قلعته
وافتتاح بغيته واستخلاص ابنه من اسار محنته غير ان المنازعة
لم تنفك بينهما قائمة الى ان طلعت رايات السلطان يمين الدولة على تلك الحدود

وسفر صنع الله له في المقصود بعد المقصود فاما بروجيبال فلحق
بهذا جندراي احد المتعززين بحصانة المعاقل وحزونة المداخل وخشونة
المواقل خلا ما بمهجته واعيا ضاربا خبه على من هم بافتتاح من اثره
واما جندراى فانه استعد للمدافعة واحتشد للممانعة اعتزازا
بوثاقة قلعته ولو ثبت لاقتلعته واذلا لا بمنعته ولو وقف لاختلعته
فراسله بهيمال بان يمين الدولة محمود ليس من جنس اكابر الهنود وامراء رجالهم
السود ان السلامة من مثله تغتنم والجيش باسمه واسم ابيه ينهزم
وقد رايناه من كان اقوى منك حكمة واعلى اكمة لم يقم لضربة من
ضربات جدوده ولم يف بهضبة من هضبات جنوده فان اردت
الافتضاح فشانك او الكلام فغمض ما استطعت مكانك فعلم ان الرجل
قد نصحه وانه ان خالف الحق فضحه فسرب اثقاله وامواله وخزائنه
واقواله بجبال تناغي كواكب الجوزاء واجام تواري خد الارض
عن عين السماء وركب بوجه معصفك فلم يدر اين سار والى اي الاقطار
طار امتطى الليل ام اقتعد النهار وكان غرض النصيح المظلوم في تهريبه
استفاقة من حبالة الاقتناص فيئام من كلمة الاسلام ما سبهم

اعمامه وافاده به حين امنطر والى الاستيمان والاستسلام فلما احاط السلطان
بتلك القلعة وافتتحها على حصانة قواعدها ومناعة مراقيها ومصاعدها
وتوسع منها في علف كثير ومال على اختلاف اصنافه خطير لم يهنه الموجود
وقد فاته الكافر المقصود وضاقت به الارض دون طلبه وانتزاعه من
يد مهربه فاقتص اثره ركضا بنحو خمسة عشر فرسخا من بين منابت
اشجار تصك الوجوه فتدميها ومساقط احجار تصدم الحوافر فتحفيها
ولحق القوم ليلة الاحد لخمس بقين من شعبان وهم يطاون بمجاهل
الارض هبوطا وصعودا ولاطئ البحار بحضرموت برودا
واهاب باولياء السلطان الاسلام وابناء الصلوة والصيام الى اقتصاصهم
وادرع الظلام في اقتصاصهم ثقة بالله الناصر لدينه القاضي على الكفر
بتوهينه فكم من قتيل هناك قبل ان يمسه حر الحديد واسير بقيد
قبل شد التقييد فاما الاموال فباتت نهبا دون الادراج وستر ادون
حد السلاح وجر الجراح ولا يعبا بها او تشفى النفوس من غزوة
الكفار وعبدة الشمس والنار وظل الاولياء يتبعون طرائح المخاذيل
ثلثة ايام تباعا تنفلا واغتناما وحلالا بعد ان جمعها الكفار حراما

واما الفيلة فمن بين مقهور ومردود ومتطوع بالعود الى السلطان محمود
لطفا من الله تعالى يتيح له غنائم الاموال حتى يسوق اليه بهائم الافيال لاجرم
انها سميت خداي اورد شكرا لله على الهام ما لا يمسك الا بالمقامع ولا يملك
في المرابع لا بالحيل الخوادع ان ياتي طوعا فيهجر الاصنام ويخدم الدين
والاسلام ولقد احسن من قال قل للامير عبدت حتى غدا كالفيل عبدا
سبحان من جمع المحاسن عنده قربا وبعدا
لو مس اعطاف النجوم جرين في التربيع سعدا
او سار في افق السماء لانبتت زهرا وورد
وبلغ ما رد من خزائن الشارب الهارب ذهبا وفضة ويواقيت مجمرة
وفرائد مبيضة قرابة ثلثة الاف الف درهم فاما السبي فالشاهد على
كثرة عدده ووفور مدده وقوع الاستيام على الواحد منهم ما بين درهمين
الى عشرة دراهم ذلك فضل الله الذي ذخره لايام السلطان يمين الدولة
وامين الملة وهو المليء له بتمام الثواب يوم قيام الحساب فالحمد لله خير معبود
ومحمود وله الشكر على ما اقر به عين محمد صلى الله عليه وسلم بمحمود
ذكر المسجد الجامع بغزنة ولما عاد السلطان على تعبئة النصر

المؤكل بفنيع الكافور المغتري المكلل بسعدي السماء الزهرة والمشتري إلى
دار الملك بغزنة وقد كاد أن يفيض سيحها على عدد الأرقاء من العبيد
والإماء حتى استغرقت عليها أكياس التجار الضاربين إليها عن نوازح
الديار ونوازع الأمصار فحص ما وراء النهر إلى مرابع العراق ومبادي
الإشراق منها ما خلط بيضهم بالسود وعد لعز التمليك بين المسود والسود
أحب أن ينفق ما أفاء الله عليه من أنفال أولئك الغلف الأغفال
في عمل بر يشيع جدواه ويربع إلى أمد الاحتساب معناه وكان قد أوعز
باختطاط صعيد من ساحة غزنة للمسجد الجامع إذ كان ما اختط
قديما على قدر أهليها حيث عدت من دمعات البلاد سحوطداد و
وشطون مزار فوافق عوده من مغزاه حصول المراد من تقطيعه
وتوسيعه وإقامة الجدران على مرابعه فصب بدر المال على الصناع كما
صب دماء الأبطال يوم القراع ونصب لمشادة فيهم أجلد الزعماء بحضرته
فهو يطوف عليهم مطالبا بصدق العمل ومعاتبا على ذميم الخلل حتى إذا توسدت
الشمس قلة الجبل أقام ألسن الموازين ناطقة بالإنصاف وآذنه بالجزاف
فيمسون بين أجرين عاجل على السلطان معقود وآجل على الرحمن موعود

وتعلو

ونقل إليه من أقطار الهند والسند جذوع توافقت قدودا ورصانة وتناسبت
تدويرا وثخانة كأنها استودعت أرحام الأرض لأمر معلوم وجمعت بأعمارها
ليوم محتوم فجاءت ولا الحق كالألاء والعدل استقامة واعتدالا
أثنى عليها الملاسة والسداد وكأن بها منهما بني لا تنتمي ولا تكاد وقد
فرشت ساحتها بالمرمر منقولا من كل فج عميق ومضرب سحيق
على تقطيع التربيع أشد ملاسة من زجاجة القناة وصفحة المرآة و
عقدت عند منتهى الأبصار طاقات كما تقطع الدوائر على نقط المراكز
فلو عاش سنمار لعد في جنبها معد الواهن العاجز فأما الأصباغ
فطالع دومة الربيع ضاحكة الثغور باكية الجفون تستوقف
الأبصار وتقيد النظار وأما التذهيب فحسبك به أن صناع
الوصافة قد عزت عليهم الحقاق وصح لهم تكليف ما لا يطاق وليس
بصفائح الزرياب فقط لكنه صبات الذهب الأحمر انتزعت
عن صور الأصنام المجذوذة والبددة المأخوذة فطفقت تعرض
على النار بعد أن كانت آلهة للكفار وتضرب بالمطارق بعد أن
عبدت بالخدود والعنافق أوليس الذي ينفق على جدران مساجد

الله عبرة للموحدين وغيظا على الملحدين أتم سماحة وأكرم راحة
ممن يفرغه معبودا وينصبه للنفع والضر مقصودا نعوذ بالله من
رب سواره عابد وهو محتاج إلى سعايد وجزى الله عن الإسلام
ملكا هذه أفعاله وأعماله وامتهان الروح والممنوح في سبيل الله
دأبه وآدابه وقد أفرد السلطان لخاصته بيتا في المسجد مشرفا
عليه مكعب البناء موسع الفناء متناسب الزوايا والأرجاء فرشه
وإزاره من الرخام كدت عليه الظهور حتى نقل من أرض نيسابور
وقد أحيط بكل رخامة مربعة محراب من الذهب الأحمر مكللا
باللازورد في تعاريج من ألوان المنثور والورد من يرها بعينه
يقل بلسانه لاستحسانه لا زال هذا الأستاذ ممتعا ببنائه إلا
من رأى مسجد دمشق فراعه مرآه وشاقه النظر حتى تاه وقضى
بأن ليس يوجد شرواه دونك هذا البيت بلونك المشنوءة وتعلس
عليك القصة وينبك أن الحسن بعض صفاته والإبداع أحد
سماته وأنفال الهند من خدم نقوشه والهمة العلياء قد سمت
بعروشه وأمام هذا البيت مقصورة يتعارج عليها منصوبة

تسع

تسع ثلاثة آلاف غلام متى شهدوا للعيد من أخذوا أماكنهم منها صفوفا
وأقبلوا على انتظار الأذان عكوفا وأضيف إلى المسجد مدرسة فيحاء
يشتمل بيوتها من بساط الأرض إلى مناط السقوف على تصانيف الأئمة
الماضين من علوم الأولين والآخرين منقولة عن خزائن الملوك
الصيد نقروا عن ديار العراق وربيع الآفاق حتى اقتنوها
بخطوط لفرائد سموط مصححة بينها ذات التقييد وعلامات
التخفيف والتشديد يتناهبها فقهاء دار الملك وعلماؤها
للتدريس والنظر في علوم الدين على كفاية ذوي الحاجة منهم ما يهمهم
جراية وافرة ومعيشة حاضرة وقد اقتطع من دار الإمارة إلى البيت
الموصوف طريق يفضي إليه في أمن من ابتذال العيون اللوائح واعتراض
الرجال من بين صالح وطالح فيركب إليه على وفور سكينة وشمول
طمأنينة حتى يقضي المكتوبة ويقتضي الأجر والمثوبة فأما سائر
دور الحجاب وقصور القواد فما شئت بحقائق الإنفاق عليها إلا من
أتاها اعتبارا وشاهدها اختيارا فيرى ملأ الأباطح أبنية يشرف
على الهضاب شرفاتها ويكاد يغترف من نهر المجرة غرفاتها وناهيك

من بلد يحتوي على مرابط ألف فيل يشغل كل منها بسياسته ومداراته دارًا
كبيرة وخطة وسيعة إن الله تعالى إذا أراد عمر البلاد وكثّر
العباد وهو على ما يشاء قدير

ذكر الأفغانية

ولما قضى السلطان
وطره من القيظ بغزنة وأقبل الخريف بشفيفه وسجى الوقت بحاضر
ريفه وقد كان طوائف من الأفغانية المستوطنين قلل تلك الجبال
الشوامخ والرعان البواذخ تعرّضوا فعل القطيع لذنابى عسكره
منصرفه عن غزوة قنوج اغترارًا بمناعة أماكنهم وحصانة مساكنهم
وتطنيبًا لخفاء أفعالهم والتباسها بمناكير أمثالهم رأى أن ينتقم
منهم بركضة تبيح حليهم أو كادهم وعلاجيهم وتخضب بدماء النحور
جاجيهم فعزم على ما دبّر وصمّم على ما قدّر وورّى بنهضته نحو الجدي
أقطار بنيضته ثم ركض عليهم في خاصته ركضًا صبّحهم في مراقدهم
فلم يشعروا إلا بجرّ الصفاح على برد الصباح ضربات يقطف
الرؤوس عن النحور وتفرغ النجود على الجحود
صرعى إلى صرعى كأن جلودهم طليت بها الشيان والعلام
فيالها نعمة أتمّت عليهم الرفود وألحقت الأقعود أو تشهد

اليوم

اليوم الموعود فكم من جثث فوق الأعلام ورؤوس تحت الأقدام حتى
إذا اصطلحت السيوف أجسامهم ولم تستبق إلا الماطم وأبناءهم
كفّ كفّ الاجتداد وملاذ ذروة العز الأنجاد وعادت تلك الوعور
سهولًا وكان أمر الله مفعولًا وعطف إلى غزنة ممثلًا للرأي بين
أن يشتو ببلخ مستجمًّا ولعابر السنة في القرار مستتمًّا وبين أن يركب
بنية يمينية في غزوة تقشع بواقي ضبابات الكنود عن ديار الهنود
مجهزًا على من كان يضرب بذنبه في مجرّه كالوزغة المنخنقة
لا يلبث أن تموت فأبت عليه حمية الإسلام أن يسبغ على النعود
جريضه أو يستبقي به بحاير الأخماد بيضه وثنى عنانه نحو الهند
في رجال يرون منتهى الشهوات مهوات الخيول وقصوى اللذات علالة
النخول ويجتزون بالظهور أسرّة مرفوعة وبالأكوار وسائد موضوعة
وبالسموم رياحين مقطوفة وبالآجن الطرق مهنّا مرشوفة
وبالعرق السائل ماء ورد وبالقسطل الثائر مثار عبير وفتات ند
وبالليل سكنًا وقرارًا وبالنجوم ندامى وسمّارًا فمن يمنه نسب
فإن آباءهم المشرفيات البواتك وأمهاتهم الذاعبات الفواتك

وأعمامهم البيض الجوازع وأخوالهم النبال النوازع وما زال يخوض
أنهارًا هايجة ودوافع مايجة وأودية هادية لم تتمرّن قطّ من غرقاها
دية ومن الله نزعاه في كل سعي يسعاه حتى اقتحم معادات أولئك
المعاور بل ديادات أولئك المدابر فظلّت ردايا الفيل يصيحون بالويل
والثبور وتضجّ النوق رواجع بيت الله المعمور وما زال السلطان
يمسح بمن آمن وأطاع ويفضح من أظهر الامتناع بعد أن أصاب
غنائم لا يضبطها حساب ولا يطعمها ماء ولا تراب حتى انتهى المسير
إلى ماء يعرف براهب غائر المخاض حمي القرارة كالحضاحض
يبتلع الحيف والحافر ويقتلع الدارع كما يقتلع الحاسر فإذا هو
هلا وجيپال من تلك الحيونة في رجال كالصريم وأفيال تحت الأديم قد
أخذ من فاجي الركضة حذره وأسند إلى أخر النهر ظهره ورام أن
يمنع السلطان عبوره ويشغل من اقتحام الغمر جمهوره حتى إذا التحم
الليل بقاره مريغ ذمة استتاره مرور مروان على حماره فلما علم
السلطان ذلك من فضله ورأى استعداده واحتشاده لصدّ أمر
بالأطواف فهيّئت للعبور وأهاب بعدة من غلمانه للركوب

فامتثل

فامتثل الأمر ثمانية منهم بجنب دون العدوة القصوى ويلتزمون كلمة التقوى
فلما رأى بروجيپال استقلال الماء بهم رماهم بخمسة من فيلته المجففة
وفوج من رجاله المصففة فأراد الله أن يحقق قول نبيه الأمي الأمين
ورسوله المؤيد بالتمكين حيث قال صلى الله عليه وسلم زويت لي الأرض
فأريت مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك أمتي ما زوي لي منها فألهم تلك
العدة أن استوقفوها على أماكنها حرزًا للأطراف ما بين الأحقاف
بالنبال وغرز الحابعد في وجنات أولئك الضلال معجزة لم يسمع بمثلها
قبلها ثمانية تحاج سيلًا وتدفع فيلة وخيلًا وبعد من لفظ السلطان
عند عيان ذلك البرهان أن قال من قدر على السباحة فليتعب اليوم الراحة
فإذا هو بخاصته ومعظم عامته خائضين ولصعب الماء رائضين فتارة
يسبحون بالأطواف وأخرى يستريحون إلى الأعراف حتى لقطعوا النهر
سالمين لم تتحت لهم حبّة ولم تعطب بهم جربة ولم يذهب بحمد الله
سبية وحمل السلطان بهم وقد برزوا إلى الظهور حملة توزعتهم
بين عقير سكران من عقار الحدود وأسير حيران من أسر القدود
وطريد نحاف وقع القواضب وقتيل بمرأى النجوم الثواقب وصار

ما حصل في الوقعة من عدد الفيلة مائتين وسبعين ثقال الأجسام
كثقال الغمام وطار الكافر هزيماً لا يملك عزيماً ولا يفقد ناخيراً
ونقيراً وقد كان السلطان قبل أن لقي الكافر ولبس جوشنه
الدروع والمغافر أخذ فالاً من كتاب الله تعالى بعاقبة
ما ينويه فخرج له قوله تعالى عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم
في الأرض فينظر كيف تعملون فلما حقق الله وعده ونصر
بفضله جنده ممن على نفسه أن يفي بواجب عمله قد لابرفه
الأيام وعز وأيد الإسلام وشكر بتقييد الإنعام لا جرم
أن الله حافظه وحاميه ومصيب به أغراض آماله وأمانيه
والذي يذخره له من ثواب المعاد أربح مقادير وأرجح مكايل
ومعايير

ذكر أبي بكر محمد بن إسحاق بن محمشاد والقاضي أبي العلاء صاعد بن محمد وما انتهى إليه أمرهما بنيسابور

قد كان أبو بكر محمد بن إسحق مرموقاً بعين النباهة في صدر

هذه الدولة لمكان أبيه من الزهادة وضمه الأطراف على العبادة واقتفاؤه
نهج أبيه فيما كان ينتحله وينتحيه وكان الأمير أبو منصور سبكتكين يرى
من عصابته في الزهد والتعفف والتقشف ما قل وجود مثله في
كثير من فقهاء الدين وأعيان المتعبدين فحلا ذلك في قلبه كما حلي
بعينه والمجاهد في الله محبوب وقد يكرم أهل الشفاعات من له ذنوب
واستمر السلطان بعده على وتيرته في ملاحظتهم بعين الاحترام
وإيثار طوائف الكرامية بالإكرام حتى قال أبو الفتح البستي فيما شاهده
من نفاق أسواقهم

الفقه فقه أبي حنيفة وحده ... والدين دين محمد بن كرام
إن الذين أراهم لم يؤمنوا ... بمحمد بن كرام غير كرام

وانضاف إلى هذه الوسيلة القوية والذريعة الإلهية أنه لما نوزل
جيوش الخانية خراسان عند غزوة السلطان ناحية الملتان قبضوا بنيسابور
على أبي بكر احتياطاً لأنفسهم من شيعته واحترازاً من غامض مكيدته
ونقلوه في جملتهم حين طلع رايات السلطان من مغاربها وأومضت
سيوف الحق عن مضاربها إلى أن وجد منهم فرصة الإفلات والسلامة

على رسن تلك الآفات فاعتد السلطان ذلك له في سائر مواته وأوجب
له حقاً يلحظه بعين مراعاته وتجعجت من أرباب البدع الباطنية
على ما تسامعت به البلاغات والله أعلم بما يحته الضمائر والنيات
رفائم وافقت تصلباً من السلطان في استيصالهم وتعصباً لدين الله
في اجتياح أمثالهم فجروا من أطراف البلاد وصلبوا عبرة للعباد
وكان أبو بكر أحد أعوان السلطان على دابر حشر إليه وتصويباً
للرأي عليه فصار البري كالسقيم مذعوراً وعاد الملأ في عارض
الخطب شورى ورأى الناس أن ريقته السم القاتل ومدته
السيف القاصل فبخعوا له بالطاعة وقرشوا له خدود الضراعة
وانعقدت له الرياسة في جنسه الصوف وحطته الخاصة والعامة
بعين المرجو والمخوف ووجدت حاشيته سوقاً للأطماع بعلة الابتداع
فاستريبوا الناس واستفتحوا الأكياس فمن ألظ منهم بمكايس رئي
بفساد معتقده أو يعطي الجزية عن يده وعبرت على هذه الجملة سنون
لا مطمع لأحد في تبديل شكلها وتحويل فادح الحال عن أهلها ولا علم
بأن الزمان بتغيير الأحوال ضمين وبالخلاف على صورة المعتاد رهين

ومن صبر على الأيام رأى الرفيع وضيعاً والضليع ضريعاً وشاهد
عن سموم القيظ صراً كالحاً وصقيعاً واتفق للقاضي أبي العلاء
صاعد بن محمد أن حج بيت الله الحرام سنة اثنتين وأربعمائة
وهو الإمام المرموق والزاهد الموموق والفاضل الجزل والباذل
الفحل قضى أكثر عمره على الحظ النفيس من شرف الدرس والتدريس
يتطفل عليه الأعمال فيأباها وتنصب إليه الأغراض فيري الحياد
فيما عداها ومن حاز شرف العلم لم يشتر به ثمناً قليلاً ولم يعدل
به حظاً وإن كان جليلاً فلما حصل بدار السلام وأنهي إلى القادر
بالله أمير المؤمنين خبره في حجيج بيت الله الحرام قوبل بمقتضى
حقه في الإسلام من واجب الأثرة والإكرام وظاهر التوفير
والإعظام وعضد بالكتب إلى حضرة السلطان بما تقرر من حاله وفي
بهات أوجب الاحتياط شرحها على لسان مقاله فلما عاد من
وجهه شخص إلى حضرة السلطان بغزنة فعرض ما صحبه وقرر ما
تحمله وأدى من حق الأمانة ما لزمه وبها الأستاذ أبو بكر محمد بن
إسحاق فجرى في مجلسه ذكر الكرامية وإطلاقهم القول بالتجسيم

وتفويض الله تعالى لما لا يليق بذاته الكريم فأنف السلطان لهذه الشنعاء
من مقالهم والعوراء من فحوى جدالهم ودعا أبا بكر بالأعنة
وباحثا صورة الحال منه فأنكر اعتقاد ما نسب اليه وأظهر البراءة
عما أحيل به عليه فسلم مع الإنكار عن مس العتب والانكار كأنما
الباقون فان الكتب نفذت إلى العاملين بتقديم الاستقصاء عليهم
فمن أظهر البراءة من قول التشبيع واعتقاده الموجب للتبديع
ترك وشأنه من عقد المجالس للتدريس وتسنم المنابر للتذكير ومن
أصر على دعواه ولم يختر لنفسه سواه جعل مغناه عليه حصيرا
ورد لسانه دون الفضول قصيرا وخلع السلطان على القاضي أبي
العلاء خلعة لائقة بجلالة قدره وزخارة بحره ورعاية أمير المؤمنين
لحقه وإيعازه بتمهيد أمره وصرف كلامها على جملة الإيناس والتفخيم
على أعين الناس ولم تزل عقدة القول بالتجسيم ناشبة في صدر أبي بكر
تصارع الأيام على نهج المكافاة بها إلى أن استتب له الأمر في عقد
محضر على انتحاله مذهب الاعتزال وتحزب خطوط قوم من الأعيان
سلكوا فيه طريق المساعدة أو تنفسوا به عن وغرة المنافسة فغيظ

ما لا

ما لا يطاق داء دخيل وهم على سر النفوس نزيل واحتيل في عرض المحضر
على السلطان استنفاد الصورة لديه توقع التدبير موقعه من الاحتياط
عليه ورأى أن يبحث عن صورة المرفوع في احتفاف من صور وإبطال
من زور فانهض قاضي قضاته وأوحد ثقاته أبا محمد الناصحي من لم
يشركه أحد في اصطناعه والجذب إلى العلاء بباعه فانه استخصه
على طراءة شبابه لخلتين قلما توجدان في فرح الأسنان فضلا عن لدات
الفتيان والشبان وهما العلم والورع أخوان دونهما الدر بالياقوت
والصحة بكفاف القوت وأقعده بغزنة دار الملك للتدريس والفتوى
وأصباح الناس من ساطع نوره في التقوى حتى اذا بهر كماله وطفح
بالفضل مكياله ولاه القضاء في عامة دياره ممالكه ثقة بقوته وأمانته
وورعه ونزاهته فتولاه بنفس كصفحة الشمس طهارة ونقاء وروضة
الحزن ديمتها السماء عشاء نعم وأمره بأن يستحضر القاضي أبا العلاء
صاعدا وأبا بكر الأستاذ في وجوه الرتوت وأعيان الشهود ويطالب
بإقامة الشهادة على الدعوى المذكورة على رؤوس الملأ من غير محاشاة
أو جنوح إلى مداهنة ومحاباة فقابل الأمر بالامتثال وتجافى عن

حرمة العلم لحشمة الملك وهيبة الجلال وسأل أرباب الحفوظ عما
عندهم من قضية الحال وجلية المقال فأما أبو بكر فانه أراد أن
يتلافى باغي الحطب فزعم أن الاشتراك في رتبة العلم أحدث بينهما
منافسة تنازعا معها مذهبي التجسيم والاعتزال فلا صح ما نسبني
اليه ولا تقرر ما ادعيته عليه وأما الآخرون فمن جاد على حكم
المساعدة في المحاباة والمهاودة ومن جادر لثام الاحتشام في التصريح
وإطلاق الدعوى باللفظ الفصيح مكاشفة عدت الشهادة إلى
التعصب وجاوزت حد المعلوم إلى التغضب وسيئ لذلك وجوه
أهل الرأي حتى كادت تثور فتنة لولا أن هيبة السلطان
أخرست الألسن الطوال وضربت على النفوس التطامن والانخزال
وتلطف قاضي القضاة لعرض الحال وتقرير صورة المحال واتفق
أن تحين الأمير أبو المظفر نصر بن ناصر الدين في مجلس السلطان
فرصة القول في باب القاضي أبي العلاء صاعد فنبه على سمته
وسيماه وأنبأ على ورعه وتقواه والتمس على سبيل التلطف أن
يقع تلاف للغضاضة به وتدارك للمهانة الطارية عليه بعز كمن

تصدى

تصدى لمكاشفته وتعرض لاستنفاد مكانته فوثق به السلطان فيما
قال وحدس أن صاعدا أجل من أن يعتقد الاعتزال وأمر بإشخاص
من انتدب لمراغمته ومقابلته بما اقتضاه حكم وقاحته واستجلس القاضي
قرارة بيته فلم يكن يبرز إلا لغرض يقضيه أو علم يمليه مجتزئا بالله
عن غيره ومقتنعا بما أدره عليه من خيره ورأى أن بقية العمر
أعز من أن تضيع على القيل والقال وخدمة فضول الآمال
ومزاولة ما يغض قدر العلم بالابتذال واستتب ولديه له كالفرقدين
أو الشعريين أبا الحسن وأبا سعيد شريكي عنانيه في المروءة والفتوة
ومنيبي لبانيه في أوامر النبوة وأحكام آيات الله المتلوة في قضاء
المواجب واحتمال النوائب فغني له عن حقوق الناس وفرغ للعلم
النظر والقياس وحظي بمثل ما أنبأ عنه أبو الفتح البستي من حاله

قد جمع الله تعالى فيه عزي وحسن حالي
بلاغ علم ومبلغ شرب وأبلغ عيش وفرغ بال

نعم وأطلق تمادي الأيام على نباهة أبي بكر وارتفاع مكانته واتساع
حشمته ومهابته وانبساط أيدي حاشيته في أموال وأعراض أهل

ناحيته واستمرار العناد بينه وبين أعيان الأشراف في جمهور الناس الجمهور
بحضرة السلطان بما طغى من حاله وبغى من خرج حاله إدلالا بأفاعيله واعتمادا
بزعمه على ما سبق العلم به من خلوص ضميره ورشاد سبيله فتداركه الاحتناك
مدة من الزمان مديدة محافظة على الصنيعة من الانتزاع والعارفة
من الارتجاع وإبقاء على المحل المرموق فيه الله من أن يلم به انحطاط
أو يحل له رباط حتى إذا جاوز الاحتمال حده وامتنع المستمر اد بعده عقد
السلطان رياسة نيسابور لأبي علي الحسن بن محمد بن العباس وقد كان جده
في دولة آل سامان محدودا وفي جملة الأعيان والثناء معدودا وأثره
فيما بين آثار الرجال محمودا ووافق أبو أيام السلطان أول مقدمه خراسان
وانتصابه منصب أصحاب الجيوش لآل سامان فاتصل خلقاهما على مناسبة
الشباب وعرف السلطان له حق الخدمة والاصطحاب غير أنه اعتبط
في شبابه فعاد كما بدا وكل امرئ يوما مداه إلى الردى وكان يقرب
أبا نصر أحمد بن ميكال بقرابة وأواصر متشابهة فنشأ في حجره نشأ النبيل
وخرج خروج القدح قدح ابن مقبل وأحدث له شكر النعمة حشمة وصفو
الخدمة أدبا وحشمة فلما مضى أبو نصر لسبيله انتهى إلى السلطان حاله في كيسه

وذلاقته

وذلاقته وظرفه ولباقته فاستحضره للخدمة فوافق أولي النظر قولا وطرفا
بمورد الإعجاب مكحولا وازداد على طول الخبرة وفاقا وعلى سوق الخدمة نفاقا
فمما نموت الأشياء أصلحها التدبير ولقحها التأثير والآراء النمير حتى سمت به المراتب
وتوجهت إليه الرغبات والرغائب وقابلته حشمة حشمة أرباب الجنود
وسادات الأقلام والجدود وكان غرض السلطان في عقد الرياسة له أن
يقمع به من انعقدت له بدا له التألم والتعبد وسابقة الترهب والتزهد
فقدر أن الذي حظي به معقود بالدين فلا سبيل إلى حله ولا انحلال أبدا
لمنتهله ويرجع به إلى ما يوجبه حكم التقية من رفض المراتب العلية
والمطامع الدنياوية فلما وردها ساس أهلها سياسة لو عاش الحجاج زياد
لعاد على سياسته بعين استزادته فخفت عليه حتى صرصر الجنادب وسكن
حتى دبيب العقارب وهدأ حتى شغب المراب وسكن حتى ذوي المذاهب
وكأنما أقل به شفيف الشتاء فلكل سامة أو هامة في الوجار انحجار وبالمغار
استتار لقد بث عبد الله خوف انتقامه على الليل حتى ما تدب عقاربه
ها إن هيبة السلطان هي التي حطمت اللهاميم وخطمت الأقاليم فلو وكل جميع
بعض حشمته بذوابي الجبال لأصبحت منسوفة أو بطوامي البحار لعادت منزوفة

فما خطر خطرة ينبو بها عن الرشد نابيه ويعمى عندها عن قصد الصواب
به أو نابه ومن أحسن في جنب مثاله فعن عون القدر وحكم الفلك الدوار
على البشر أبى الله أن يحمد على رجم المريد شهاب أو يمدح على سقي المحل
ذهابات وتطوف الرئيس حواشي المقصود ينتزع منهم بعض ما أخذوه
رشى واحتسوه نزوا وكشى ثم نقلهم إلى بعض القلاع عبرة لمن أكل بالله
وأظهر الزهد ثم لم يتوكل على الله وهم بصاحبهم فأخذ جذرا
وأدحى من دونه سترا ولم يقصد السلطان قصد استيصاله ونفضه
عن فضول ماله فترك من وراء الحجاب على قدم الزهادة وعصم
الفطام عن العادة وعطف من بعد إلى جماعة الأشراف العلوية
ذوي الأقدار العلية فأشعرهم أن حشمتهم بالطاعة موصولة
وحرمتهم بلزوم القصد وترك تعدي الحد مكفولة فتلقوه بالإجلال
وقابلوا أمره بالامتثال علما بأنه أمين ظل الله في أرضه فما يغني
عنه غير الانقياد والميل على الغلو للاقتصاد واستخلف على
الرياسة عند الشخوص إلى الحضرة أبا نصر منصور بن رامش وهو
يقرب بقرابة إلى السلطان إلا أفضلها عليه صيانة له من تغيير

الكرام

الكرام وتثريب الرجال عند ذكر الأجرام وطوع له قياد الأحرار والأشراف
الكبار والزعماء أن يخدموه بكرة وأصيلا ويختصوا بطاعته بطاعته جملة
وتفصيلا فمن ورم أنفه دون طاعته شريفا كان أو مشروفا نفي عن بلده
وعزي عما تحت يده فسحت إليه الأعناب وأحدقت بفنائه الأحداث
واستتبت له رياسة لا عهد لأحد بمثلها من رؤساء خراسان إلا أبا عبد
الله العصمي فإنه بلغ مثلها ولكن على عمر مديد وعز عتيد وباس شديد
وخدم وعبيد ومال ينادي على العفاة هل من مزيد وفرش في أيامه
بساط العدل فقواعد الأخفاش كرحالات الثروة والرياش اشتراكا
في الإنصاف ونفقت سوق الاحتساب بالدرر فوق الأكتاف فمن
بدعة مرفوضة ودنية مخفوضة وحدود على الحق مقامة وعيون دون
الفضول منامة وبطلت معها الحانات والمواخير وخرست العيدان
والمزامير وركدت لحان النايحات والمكاري واستوى في الانجاد والقياد
بها وراء الأستار عون النساء والعذارى فأما شوارع أسواق البلد
فقد كانت منذ بنيت نيسابور فضاء لا يكنها غطاء ولا يظلها دون السماء
سماء تحرقها الأعاصير تارة وتردعها الأعاصيب أخرى فأما التراب

مثارًا وإنما الانداء تلوحها وأمطارًا لم يفطن أحد من ملوك خراسان وأصحاب
الجيوش بها لإلحاقها بأخواتها من ديار خراسان تسقيفًا لها وتستيرًا و
تنظيفًا من الاقذار وتطهيرًا حتى ورد الرئيس أبو علي فطالب أهلها به فلم
يمض شهران حتى سقفت بنحو السكاك سقوفها وقامت على دكاكين الاسواق
جروفها فمن بين منقش ومزخرف ومدبج بالاصباغ ومثقوب تنفتح
منها فرج بقدر ما يملئ ضياء النهار على الابصار دون ما يوسع لدرور
الغبار ويمكن لدرور القطار وحمن البصراء استغراق قدر العمارة
مائة ألف دينار عن طيب النفوس وفضل الكسوب لم يكلف أحد عليها
ولم يستكره دون المثال فيها بل عمتهم المباهات وشملتهم المباراة فانفقوا
موقرين ومستبشرين ولا نفسهم على العجز دون المراد مستقصرين فمن
تسوق تاسعًا أو عاشرًا ليس بادئًا أو ثانيًا رد إلى الكاهل قذاله وترك
على شغل النظر اشغاله فيا لها من سكك شاخص بنحو السماك وزائد فلكا ثامنًا
على الافلاك ولما عاد الرئيس إلى الحضرة وقد رجا ما سولاه ومن عزله
وولاه وافق هوى السلطان ورضاه فصادف تقريرًا وتمكينًا وإحمادًا
واسعًا مستبينًا وسنورد شرح ما تجدد من هذه الاحوال إذا أراد

اسر

الله ويسّره

ذكر الأمير صاحب الجيش أبي المظفر نصر بن ناصر الدين سبكتكين

قد كان السلطان يمين الدولة وأمين
الملة لما ملك خراسان وأخلاها من سرادقات آل سامان عرف له موالاته
إياه ومحبته بها إسماعيل بن ناصر الدين أخاه إعظامًا لحق الكبير واعترافًا بواجب
الفضل فولاه نيابة منطقة أصحاب الجيوش الاكابر على وجه الزمن
الغابر سادًا به مكانه من قبل إذ هو سائس الجمهور ومدبر مهمات
الامور ومن وضع أخاه موضعًا قد سلكه قبل بنفسه ورآه أهلا لبعض
قدره فقد بالغ في البر والتوفير وخرج من عهدة التقصير فوليها
سنين عدة حميد السيرة في الخبرة كريم الفعال في سياسة الرجال وجرى
على يده من حميد الآثار في مطاردة أبي إبراهيم المنتصر عند ذكره
وكفايته ما كان يطرأ من معرته ويتداركه ما تقدم شرحه ثم رأى السلطان
بعد ذلك أن يجمع به شمله ويصل بمشاهدته حبله فاستدعاه وأقربه
مستجمه ومغزاه فلم يزايله بعد بحال ولم يفاصله في حالتي حل وترحال
وكان يراه في مقاماته أول سيخ بروجه في الحمامة على دين الله والمراماة
من دون حوزة الله ووافياته بمهجته أن كشف زحام أو عظم على جيوش حوزة الله

استلحام سقفة يجيش بها الحمية الغرى وتحنه من الرحم الدنيا وكان
ينصر مذهب أبي حنيفة اعتقادًا ويرى الاستمساك به رشادًا
فأمر بمدرسة بنيسابور في جوار القاضي أبي العلاء صاعد بن محمد
وأنفق ما لا حتى ابتناها وحبس حبايس على من آواها ودارس بأمالي
العلم في ذراها فبقيت تذكرة عنه تغذي بالعلم وتراح وتحيى عليها
الامساء والاصباح ولم ينقم السلطان طول أيامه منه قولا بحالا
ولفظًا دون الصواب منتحلا ولا شكا أحد من الكبار له جانبًا وفعلا
لاشفاق الرؤوس على الاتباع مجانبًا وقضى الله تعالى أن خانه الشباب
ولما استوفى أمده ونفض باقي العمر فيه يده فلحق بالواحد
الغفار أن الكرام قليلة الاعمار وكتبت في مرثيته رسالة سئلت
إثباتها في ذكره ففعلت إذ كان يتضمنها ما يفي بشرح حاله وتقرير
بعض خصاله وهي

آه من سفرة بغير إياب — آه من فرقة على الآداب
آه من مضجع الامير المفدى — فوق فرش من الحصى والتراب
نصر بن الامير ناصر دين الله — صدر الحروب والمحراب

صاحب

صاحب الجيش ذروة الشرف تاج الفخر غوث الكرام والكتاب
نعاء يا ساسة الرجال يا سادة الفعال يا أعيان العلوم يا إخوان النجوم يا شيوخ
الإسلام يا عيون الكرام يا أحرار الزمان يا أنصار السلطان
نعاء إلى كل حي نعاء فتى الكرم احتل ربع الفناء أتدرون أي ركن انهدم
وأي جذ انثلم وأي عقد انفصم وأي سوار انفصم وأي دوح ذبل وأي نجم
أفل وأي بحر نضب وأي طود تحصب وأي خطب نزل وأي نهر جل رجل
والله نصر بن الامير الجليل ناصر الدين الامير بن الامير والشهاب ابن الاثير
والبحر بن العبير والحبر بن النحرير والعنبر ابن العبير مرخ الملك أو
عفانه وسور الدين أو سواره وركن العز أو غرانه ونور المجد أو غرته
غادرت به بحيرة الادب التي استعذبها البلغاء ومكت دولة العلم التي
وليت سطرها الحياة وعريت دوحة الكرم التي خبطتها العفاة وجفت
طينة الفضل التي خدمتها الكفاة وطلقت كريمة البر التي درس عليها التوحيد
وغذي بها اليافع والوليد وأجنيت عليها فواصل النهار وجليت عواطل الاسحار
وأقشعت سماء شام أبناء الدين بوادقها وخاف أحزاب الكفر والجحود دمها
فلا نار ولا ماء ولا خوف ولا رجاء فأضحى به جيب النهار مشقوقًا وسكر

الجدثان مبثوثا وبناء العز منقوضا ولواء المجد مخفوضا ودمع العين مسفوحا وطرف الإسلام مجروحا وأهل العلم في لبسة الفجوع وبث الخشوع يفترط خطوه ويشتكي إلى أهله شكوه متفرقا في صعداء تذوب لها جوامد الدموع وتنقد عليها لو أجيب الضلوع

ولو غير المنون أتاه أهوى إليه أخوه بالبيض البواتر
يمين الدولة الملك المرجى صباح الدين مصباح المفاخر
ولكن القضاء له مضاء يذل لعز مضربه المناخر

ألا يا صاحبي سمعكما إلي إن كنتما مستعدين وجامعين إلي كلتا اليدين
ألما على نصر وقولا لقبره سقتك الغوادي مربعا ثم مربعا
ويا قبر نصر أنت أول حفرة من الأرض خطت للسماحة مضجعا
ويا قبر نصر كيف واريت جوده وقد كان منه البر والبحر مترعا
بلى قد وسعت الجود والجود ميت ولو كان حيا ضقت حتى تصدعا
فتى عيش في معروفه بعد موته كما كان بعد السيل مجراه مرتعا
بكى الجود لما مات نصر ولم يدع لعينيه لما أن بكى الجود مدمعا
ولما مضى نصر مضى الجود وانقضى وأصبح عرنين المكارم أجدعا

لئن جاز للموت أن يغصب الأمير نصرا اليد ساغ لي أن أغصبها معنا وأن تعن من شقيق ملك الشرق وسائس جمهور الخلق والقاعد من قمة الفرقدين على الفرق سلطان الزمان يمين الدولة وأمين الملة من دانت لعزه القروم واستكانت لهيبته الترك والروم ففي بعض خصاله المقنعي لم يرق البيم معن بهمته ولم يبق له ذكرا في ديوان نعمته نال خطوة من سلطان زمانه بانقلاب إذا الحرب قامت على ساق ودارت كؤوسها بين حابس وساق وقد فضحه أن بان في جوده وفضله بالسخاء عن موجوده ثم لم يعترض له قط لغاله ولم يتبرت عليه من بعد ذهابا بعز حاله وجماله ما أن الأمير نصرا ورث العز اباه ولم يخدم مدى العمر إلا أخاه ولم يشتغل غير فراغ الأكياس عن شغل المواهب وفلول الأسياف من قراع الكتائب وقطيعة الدنيا في صلة الرحم وعصيان الهوى في طاعة السلطان وفي النعم ثنائين القرآن والتفسير والإيمان والتذكير والعلم بالصلوة والصيام والفرق بين الحلال والحرام وسحر الورى بطرف العيان وسن البطل بحد السنان قد اقتسمت أيامه شرائط السلم بإسمة الثغور والحرب طاهرة الستور فأما المعاهد والبواتر وأما المحابر والدفاتر وأما المحاضر

والمنابر وأما القماطر والمساطر فيوما في جحيم الغضب ويوما في نعيم الأدب ويوما بين ظلال السيوف ويوما بين معاني الحروف رفيقه إذا اختفى زج أو قبيعة ونديمه إذا اختبى حكمة أو شريعة فكم في ديار الهند له من وقائع أنطقت الحديد وأخرست الوليد وسكرت البثوق وفجرت العروق وغادرت بيض الرباع في فحمة الليل وخضبت لحى بي عن تميلة الكحل وكم في نوادي الفضل له من محاسن لثم أطرافها الكلم وتعشق أوصافها الأمم وتسجد لأعقابها الحكم وتأوي إلى برد ظلالها الكرم قد غنيت بذوب العقول عن صفو الشمول وبحلو المقال عن كعب الغزال وبغرر البراهين عن نزه الرياحين فالخليل على ذكره محشور وكان سيبويه من طيب نشره منشور وآية الهدى عليه عكوف وملائك العرش حوله صفوف في صحيفة للذكر منشورة ومن أخرى بأقلام العدل مسطورة لا لغو فيها ولا تأثيم إلا ملأ صوابا وحديثا كخالص التبر مذابا نفس عليه الدهر مكانه إن الدهر غيور على عقائل الزمان جسور فصرعه كيادا للنظار وأضجعه عنادا للأحرار شاغلا عن الجود يمينه وعن

السجود جبينه وعن الذكر لسانه وعن الغزو سيفه وسنانه حتى إذا كاد يطمع في انبعاثه واستمكانه وقد وزن على معيار الفداء بأضعاف جثمانه نجعة بزوجه الطاهرة ونفسه التي لم تتخذ إلا النعيم الآخرة نسخى عن العمر أنضر ما كان غصن شباب وأطلقه فصل خطابه والرمة عود نضار وأحفظه حق ذمار وأوثقه بالدنيا دار قرار فكم هنالك من ستور مهتوكة ودموع مسفوكة وجيوب مشقوقة ورؤوس محلوقة وصدور مكلومة وخدود بنعال البيت ملطومة

دهى الحدثان نسوة آل حرب بمقدار سمدن له سمودا
فرد شعورهن السود بيضا ورد وجوههن البيض سودا

حتى إذا انتشر رداء الردى عليه وقربت حمولة الليل إليه تنازعته أكف الرجال كما تنازعته قبل طوارق الآمال فكأن الشمس غراء بين حشو التراب والأرض غرقى بدموع المصاب والآذان موقورة من رفع العقائر والأبصار مخطوفة من نقض الغدائر وقد غدت الوجوه مشقوقة للنظار والجموع محشورة للاعتبار والعيون بين جموم تجري سوافيه وجمود لا تندى مآقيه وودت زهر النجوم لو صادفن لا مدعون

وبلاد ثنا وخرّ على الهضاب خيلاً فخيلاً فاما الليل فقد احسن فيه من قال

وإن ركب الانجال

لقد بكت الليالي في دجاها لموت القرم مصباح الانام

فاشخاص النجوم الزهر مما تجسّم من مدامعها السجام

ويظل هجيري كل ثاكل ناير وصاير الي الموقف الوداع جاير

من كان مسرورا بموت اميرنا فليأت نسوته بوجه نهار

يجد النساء حواسرا يندبنه بالصبح قبل تبلج الاسحار

يخمشن حر وجوههن على فتى عف الشمايل طيب الاخبار

قد كن يخبان الوجوه تسترا فاليوم حين برزن للنظار

فانا لله وانا اليه راجعون من شعوب تركت القلوب شعوبا و

اوسعت الاكباد ثقوبا وكظمت النفوس كروبا وسفحت العيون غروبا

ونضحت الوجوه قطوبا ونكرت في الاصلاب اثوبا فاثوبا وساور

شخص العلي الى فرصة البلى فريدا وحيدا لم يغن عنه جوده ولم يجد

عليه جنوده ولم تتزايل عنه قبوله ولم تناضل دونه مرده وكهوله

خلا انه فلج ذكاء ما ترع كما فلح حياء كباء بمحاسره ووهت على عرشه

الرقاب كما وهت حين انقلها النعم الرغاب

فليس نسيم المسك ريح حنوطه ولكنه ذاك الثناء المخلف

وليس صرير النعش ما تسمعونه ولكنه اصلاب قوم تقصف

ايا ويل العفاة من بعده ماحالهم وما فعلت آمالهم لقد انقصم والله

مجالهم وانقطع دون هاتيك المواتر حقهم ومجالهم كاني بهم غادين

على سدة كانت بالانواح تترنم وبالافواه تستلم وبعثير ذكاها

تستمسك وبخدمة اركانها تمتسك قد اقفرت فلا باب ولا بواب

ولا حجاب ولا حجّاب يسألون اين الامير وما فعل السرير واين

الحاجب والوزير واين المنادم والسمير وما هذه الوحشة المستطارة

والعبرة المثارة والظلمة الساجية والغمة الشاجية يقولون

ركب الامير يزور اباه ويحيي بالسلام محياه ويقضي نذر الاعتكاف

على ثراه ويعتذر من هجرة طال عليها مداه افمن ركب للسلام

تخذل ابوابه ويعدم بوابه ويعزل حجابه ويوحش منتابه هل

انه الركوب فمتى المعاد يقولون ميعاد والله المعاد الم يروا عروشه

بالامس مهدودة وعروسه مخضودة وجياده مهلوبة وسروجه

مقلوبة واياماه منجوعة وايدي يتاماه فوق الهام موضوعة هنالك

نادوا ثبورا وعلموا انه الحق مقدورا وعقدوا دون حامة البيت

مناحة وندبوا عين الورى ادبا وفصاحة وكرما وسماحة وافعالا كأنها

اسفر الصريم وانوار كانه الكليم مغداه ومراحه يعتبون على الحجاب

وقد غدوا في بيض الثياب اينزع السواد وقد كذب الحداد الان

احوج ما كنتم اليه نزعتموه هلا خالفتم الرسم للوجوب ولبستم

لبسة المنكوب ووقفتم وقفة الحجاب لسيد المحجوب

ياقوم ليس بياض الثوب زينكم وقد فجعتم بمولى كله كرم

ردوا عليكم جميعا فضل لبسكم ان الحداد على المفقود ملتزم

فطفقوا يتناشدون بينهم عتبا على الزمان وندبة للفضل والاحسان

يا دهر دونك ما فعلت فقد غدا بك كل ما يخشى الرجال سليما

من ذا الذي يرجو فداك بعدما غادرت نفرا في التراب رميما

ما كان اعذب شيمة وسجية والذ مكرمة واطيب خيما

ومن العجايب والعجايب جمة ان لا تلام وقد غدوت مليما

يا دهر مالك طول وقتك ترتعي روض المعالي بارضا وجميما

يا دهر مالك والكرام اولي النهى ماذا يضرك لو تركت كريما   ليس سرّ

الامير اباه بلقياه وشفى غلة لوعته وصداه لقد ساء اخاه بان

عدم مثواه وافتقد مصبحه وممساه ووكل من بعده الى هواجس

الارض ولو احس التراب قراه لكنه ما يصنع وسيف القضاء احد

وحكم السماء حتم لا يرد   ومن قبله ما قد اصيب نبينا

ابو القاسم النور المبين بقاسم   وخبر قيس بالجلية ابنه

فلم يتغير وجه قيس بن عاصم   وقال علي في التعازي لاشعث

وخاف عليه بعض تلك المآثم   اتصبر للبلوى عزاء وحسبة

فتوجر ام تسلو سلو البهايم   لا درّ درّ الموت من وقح وقرب

كفلج ما انشب نابه الا افترس ولا الح مخلبه الا انتهس سواء عليه

الملك المحجب والسلطان المغلب والفقير المستضعف والسوقة

المتنصف

الا تعس هذا الموت كيف ارتقى الى حمى قصره العالي المنيع الجوانب

فمر على تلك القنابل والقنا وجاز على القواضي العواضب

عجبت له والموت ليس بمعجب وفيه اذا فكرت كل العجايب



لعمري لقد حَزاه جبن غزا على نهاب النفوس واغتيال الكتائب

وفهمه فتح للحصون وانها سوامي المرامي هاميات المراتب

وبصر بالفتكة غزواته ورمى الرزايا وافتراض المضارب

فكرّ عليه بشدة الليث وانحى كطوف بجول السوجول الغرائب

ومن عجيب الامور في حكم المقدور ان اخترم الامير الماضي برّد الله

حفرته ونوّر غرته حتف انفه مع اخطاره بنفسه في فحم الحتوف

واعتراضه للشهادة بين الاسنة والسيوف كما لابن الوليد حين

وافى اجله اذ قال ثاورت الحروب منذ عقلت فما في بدني مغرز ابرة

الا وفيه جرح ضربة او وخز طعنة وها انا اموت ميتة الجماد

ان الحكم الا لله الواحد القهار او كلا ما شبيه به اما ان خالد المبدد

ان سيف الله لا ينثل بالسيف وكذلك القتل يربو الى موت الشباب

من حصاص الجبن وان الله لما جعله اكرم النفوس مناقبا قيض

له احمد الامور عواقب وقد فرغ ابن الرومي من هذا المعنى

المجود وبيض وجه البرهان بما سوّد

ان لم يكن طرف الهيجاء منيته فاكرم النبت يذوي غير مختضد

اماترى

اماترى الغمر لا يذوي كرائمه الا مل سوقها في آخر الأبد

ليتة السيف قوم يشترون بها ليسوا من المجد في غاياته البعد

عن الحياة وعن الموت بما اجتمعا اسنى واسنى لذي العزم والجلد

موت السلامة للانسان نعلمه وانما القتلة الشنعاء للاسد

لم يعل السيف طلا في صرايبه فلم يسلط عليه كف ذي قود ولعمري ان

الرزية به قدس الله روحه لقاطعة الغموم مشاطرة بين الرجال على العموم

غير ان القاضي ابا العلاء وسائر شيعته والسائرين من ذلال شريعته

اوفر من الاحزان اقساطا واشد على مزود الاشجان ارتباطا فقد كان

عرف الله تربته لهم ظلا ممدودا وسترا موزودا وكهفا مقصودا ولواء

على نصرة الدين معقودا ولولا ان الله تعالى سد ثلمة المصاب وجلّله

الاكتئاب بملك الشرق وسيد الغرب وحجة الله تعالى في الارض سلطان

الزمان يمين الدولة وامين الملة اطال الله بقاءه وحفظ على الدين والدنيا

بهاءه وسناءه ففي بقائه عوض من كل شاجب وخلف من كل عازب

اوغارب لا تسع القولة بعظم هذا النعي وقمد ذلك الشهاب المضيء والنقاب

الالمعي غير ان النعمة بحمد الله فيما بقي ضافية اللباس نامية الغراس

باطراف الاكناف بجائلة الاخلاف فلا زال فضل الله عليه عطفا وصنعه
لديه جسيما ولطفه كريما ولا خلف عنه الزمان يتيما والهمه الله فيما عراه
راجحة الصبر وعرفه بما غاظه فائحة النصر ولقاه بلى الوهم مواهب
تحوط الدنيا له سلك ملكه وتقرر ما يحق الوجوب في قبضة ملكه ورحم الله
ذلك الامير العديم النظير والجليل الفقيد المثل والبديل رحمة تبرد
ضريحه وتقدس روحه وريحه وعرف له مساعيه في الذب عن دين
الله والسعي في سبيل الله والقرض من ماله لاولياء الله وعوض الله
المشايخ السادة عمادها فادعاهم ثوابا يحفظ عليهم دينهم ويثقل في
موقف العدل موازينهم وجعلنا من المستعدين ليوم الدين انه حكم الله
يفتري بالجفل والحق فيها شرع والآخر للاول تبع والحمد لله تعالى
على كل حال والصلوة على نبيه محمد وآله حسبنا

ذكر ما انتهى اليه امري بعد بلوغ هذا المكان عن شرح
اخبار السلطان من قصد الوزير شمس الكفاة واقتضائه حق
الخدمة والموالاة قد سبق في اول الكتاب ما سلف لي الى الامير ناصر
الدين ابي منصور سبكتكين اثار الله برهانه من خدمته وتمهد من ال

وذمه

وذمته وغرست اثناء ذلك في التقرب الى الوزير شمس الكفاة والتكفل بما
رآه والتجرد لما ارتضاه ما رجوت على الايام ابراق نجمه وايناع نور
وثمره بعد ان صادفت من آثار رعايته ما لم يكن يليق الا بهمته وما
نشأ من كريمة المجد في ضمان ذمته فرآني عند وصولي اليه وعرضي
موضوع الكتاب ومجموعه عليه ان يسمني بالتقليد ويسيرني الى الكنج
رستاق على البريد وعليها فرعون بوزن ابو الحسن البغوي الغوي شيخ
ظاهره نوره وباطنه ديجوره ومنطقه متن السيف ومخبره رد الزيف
واوله منثور العاسل وآخره قرون السنابل فافتتح موفدي عليه
باقتها نبوة لم تناسب حشمة الامير ولا حرمة الاقلام والمحابر بوهم
من جانب انه مبعوث ومن آخر ان الحقد موروث وقد كذب ان الزعاف
من منبع الشرب محال وورائه مجات الاولاد جلال وما علم ان
موالاة الابناء معاداة الاباء وان والد الكاشح ولد ونطوى
على الداء الدفين معتقده حتى باغض من رافقه او عاهده وضرب على
وجوب عقد الموالاة يده وسامني خيانة الدين بمواطأته على ما يخلق
الرقاب ويوجب في عواقبها العقاب حتى اذا علم اني متلي على الباطل ولا ارضى



بأشكال الأدباء والأراذل رام أن يغض في مدة دولته من أبي نصر
فاحتال والكال وحرش على الأمراء الأقيال وأبى الله لعلمه بعباده
إلا أن يحيق به مكيدته وينكشف عن إقواء الزور وإبطاء الغور قصيدته
ولما أيس عما رامه وأيس دون ما جرد له اهتمامه واعتزامه عرج على
استنزال شمس الكفاة بسحر التمويه وعرض صور تعليه في معرض
التشويه مموها إياه أن أبا صيغوا في بعض من ناطح يوما على رتبة المقابلة
أو وازنه بمعيار الموازاة والمماثلة علما منه بأن حلمه لا يستخف الأجهلا
التأويل وأن رأيه لا يستنزل إلا على مثل هذا التخييل حتى نفذت فيه
رقيته وعملت في استنزاله رخيته فضرب جلدا وألا الأرض
من صوب العهاد والكف من وشم السواد والثوب من لون الجساد أو صبغ
الفرصاد وعلم الله تعالى أنه لم يكن لاحضر كدرا على صفائه أو استرخوا
في ارتقائه أو استحجز محتضا لصنيعته أو وطأ على عين شريعة عبرى من
نكب عن نهج الوفاء وعتب دون فرض الثناء ودفع حق المنعم المنيب
ورد الجحى على قرابة النليب ونزعى عما قذفته بقدم من أهل جرجان
لا يعرف الرشد من الغي ولا الطل من الوبل ولا التبر من الطين ولا النقد

من الحلي

من الحلي ولا الإثبات من النفي ولا الرجحان من الرأي متوجهة توجهه قد
صبغ من طول القناة وزرقة البزاة ولسعة الدواة وصفاقة الصفاة و
تجدير الصحف بالعثرات طالما خر على العثنون نسيما للتراب وتكفيا
للعصابة للحراب ونفرقا على العكس بالظروف ونحيا الألف يتقطب
من بين الحروف وطفق من بعد يرتضح لكنة عجمية في شعر كشعر
الموصوف بونارة الصوف مستنسجا كل ضراب وإسكاب وعطارد
ويتطاير على شعر صنفته الأولى إذا السلعة قائمة والحلة رائسة
والسبخة ممطونة والنحلة مأبونة وغيرها على هذه الجملة في
الوقاحة والوقاحة ثم انتجع خراسان ببضاعته المزجاة فوافقت على
النظر للحذاق قبولا ولبست من عز العطاء عزا وحجولا فلما تعقبها
التأمل علم أن خرق الانتقاد ضيع المال وأورث الوبال فأهمل
مجدود لا وعود دونه فذاد شعره مردودا إلى أن عز شمس الكفاة عن
نفسه فاختاره على ونفذ معه مكيدة البغوي الغوي في قصدت
من المكروه في الزوج دون سائر الممنوح بها لولا مكان الأمير السيد
أبي سعيد مسعود بن يمين الدولة وأمين الملة وفضل إحسانه واستنقاذه



إني من فجوات أشداقها أجد فيها به لنزاقي الخطب إلى ما يعز تلافيه
ولعلق رمق الحيوة بما فيه ولو كنت علمت من سير البغوي قبل ما عرفته
بعد لاستعفيت من جواره واحترست من ساقط أحجاره لكن السرائر
بيد الله لا يكشفها إلا الاختبار شعر
والظلم في خلق النفوس فإن تجد ذا عفة فلعلة لا يظلم . وكتبت
إلى جماعة الأفاضل في ذكر المذكور وشكواه ونشر بحابا ماهذه نسخته

بسم الله الرحمن الرحيم

لجماعة أرباب الصناعة وعصابة أعلام الإصابة من بادي الإشراف
إلى أقاصي العراق من محمد بن عبد الجبار المعروف بأبي النصر العتبي رسالة
تخص كل حاضر موجود وتعم كل لاحق مولود ما سمع للبحر أذان وأطلق
على الكفر عنان وشيم في سبيل الله حسام وأقيم على كتاب الله نقط و
إعجام سلام عليكم ما ذاق شارق مصقوب وأدق أفاوق سكوب
ودر على الإنس حلوب وكر في حومة الناس فارح يعبوب سلام تميد
على نفحات السحر قضبانه ويتم على نفحات المسك والعنبر أردانه
أما بعد فإن لله تعالى إلى علمها ذا آء بعيد التي يتبلج الناس من صباحها ويتأرج

وشاحها

وشاحها معذ له الندود موردة الخدود مصفرة القرون ميوته الشؤون
مختلفة العوارض مدبجة المعارض مخضبة الأطراف معطرة الأردان
والأعطاف يتأسه من عباد ابتداء يقتضيه حكم كرمه أو ابتلاء
لآدم في جنب نعمه يقا فأيدها شوم الخذلان وسابقها لوم
الكنود والكفران تخالط أنبارها مشوهة المطالع منقشة
القنازع مرزوقة المكاسر مقلصة المشافر معولة المعادي والمحاسر
تفرقهم بين أخلاق مذمومة وأخطار مثلومة وأعراض مكلومة
وأفعال بعاجل العار وآجل النار مختومة وقد يستحيل النعم بأعيانها
نقما مشكورة كما تستحيل المحن على أربابها منحا مشكورة نطبعا على
خلق المكان ونزوعا على عادة المقصود بالإحسان كالجعل يعطر
من نوافج الذرود المعطرة والجوبذ قر من روائح الحشوش المقبرة
والمزن تسقط على عرصة الروض فيوليه طهارة ونضارة ويهبط
على قمة الكلب فتعديه نجاسة وقذارة والمياه المتراح يسقي عروق
الشجر فينقض عليها باختلاف الثمر فيقبل كل منها على ما كتب له من حال
وحلاوة ومرارة وحرافة وكثافة ولطافة تسقى بماء واحد ونفضل بعضها

على تعجيبه الأكل نذر من البدي الأول والأبدي الموجود في الأزل
إن شر خلق الله نفسا وشيمة وأخبثهم ذاتا وقيمة من يضيفه صنع الله
وبان من ماء الطلاقة نشوان من صهباء اللباقة فبان من خلل السجاجة
مبان ببرخلل الصباحة حتى إذا حط رحله وخالطه بالبشر الخصيب أهله
قراه من بؤس الخصال وعبوس الملال وضرة الاستبدال ومعرة الابتذال
ما يطير واقعه ويهيج وادعه وينشر ودوده ويعثر ولوده فيرحل
في سواد الحداد شاكيا سوء الجوار وخفة الذمار وذلة المقدار وغلظة
الأحجار والأصهار ورانا على ثنية الوداع صلفه متمثلا بقول القائل
نعمة الله لا تعاب ولكن ربما استقبحت على أقوام
لا يليق الغنى بوجه أبي يعلى ولا نور بهجة الإسلام
وسخ الثوب والعمامة والبرذون والوجه والقفا والغلام
ولولا أن العتاب نبع للخطاب وأن التأثر على الأعراض مجهول في
حكم الاعتبار ونقر الكتاب وأن مجاز الشعراء غير حقائق الكتاب
لادعيت غضب الله على نعمه حين ابتلاها بمحاورة الأرذال وزواها
عن مظان الاستحقاق من كرام الرجال غير أن المقصود فيها بالكرامة

وقد

وقد قابلها بالاستخفاف وكابر عقله في جوارها بعين الإنصاف
أولى بأن يقهره عاجل الغضب ويصهره آجل اللهب فكم من وارد ماء
أشرقه نميره وقادح زند أحرقه سعيره وماجد جد قطع به
وريده وراكب جواد قصم عليه جيده وقد تختلف مواقع النعم
من أربابها على شيئها من صارت إليه وتنبها ممن مالت بسوء الحسبان
وقبح آثاره عليه فالأحداث منها أحسن حالا وأزين خصالا
من الكهول الطاعنين في الأسنان والشيوخ الحالبين أشطر
الزمان فلبس من فرح وحنك وسبر وسبك وأخذ على وجه الاختبار
وترك كالغر لم تلفحه هواجر الأمور والعزم لم تردعه زواجر
الدهور والعقل لم يدربه الحادثات بأخوالها والمهر لم تروضه
الرجال بأكفالها وقد يعذر النازي في طول الجهالة بالشباب
الذي هو طليعة الجهل وشريعة الشهوات واللذات وأن
سائس العقل لم يضرب عليه عقاله وصيقل التجريب لم يحكم على
متنه صقاله وأن الرأي برعومة لا يفتقها إلا كر الجديدين
بدر يدور وشمس تطلع ثم تغور وموسم زمان ينفق فيه



النوك والنوك وأن الشباب شعبة من الجنون وأن قلم التكليف
مرفوع عن المجنون والحدث الغر كالعجماء جرحها جبار
وعجمتها دون جنايتها اعتذار فما بال من خلع لباس الحداثة
ووضع جلباب الطراءة واجتلى نهار المشيب عيانا وأفنى ثلاث
عمائم ألوانا شعر سوداء داجية وسحق مفوف وأجد لونا بعد
ذاك هجانا وحان له أن يصحو عن صبوة البطالة وينزل عن
صهوة الاستطالة ويكل لضحك المشيب برأسه ونصول الأنقاس
من قرطاسه وتمشي الوهن في عظامه وقعود القوى به عند
قيامه واصطباحه على خمار ندمه واقتضاحه بعثار قدمه وبداء
برهان الله عليه بانسلاخ محجته وانقطاع حجته وإتلاع النار
أعناقها لالتقاطه واختطافه هاويا عن صراطه يستحب العمى
عن سبيل الله والصمم دون أمر الله خبطا في ليل الجهالة وحطبا
في حبل الضلال ورجوعا في حافرة الخسار وولوعا بمعاقرة الآثار
وخلاء في سنن العتو والغلو وإباء إلا على النفس الأمارة بالسوء
فلا در در الشيب مشوبا من وقاحة بدنس الجيب ولا نورت

اقاحي

أقاحي البذال إلا على مكارم الأفعال شعر فأقبح بما اجتلاء الطرف يوما
بناء الشيب في حلك الغراب الخصال نعوذ بالله من غضب الرحمن
وختم العمر بطابع الخذلان ونعوذ به من المشيب لا يهتك من أستاره
ويكشف من أسراره ويمحق من نواره ويحرق من نوره بناره
وعصم أقواد الكرام وأجواد الأنام عن مصرع الغوي أبي الحسن
البغوي دلة الاحتيال وسلة الانتحال وجراب المخاريق وجذاب
التخاليط وعقرب التضريب ويلمع الأكاذيب وشبه التدليس
وزيبق التمويه ومرآة التريب ومقراض المغيب وآفة الجود
وخرافة الموعود وحرباء الإلحاد وكيمياء العناد ويربوع النفاق
ويعسوب الشقاق وضبة العقوق وفأرة الفسوق وثعلب الخداع
وخنزير القباح وكلب الهنات وأسود التراث وحرضة الأنذال
وفرضة الجبت والخبال وسكين الأرحام ويبرين الدم الحرام ولعل
بعض من يتصفح هذه الألفاظ منسوقة والأسجاع مجموعة
ومعزوفة يظن بها ركوب البهت في حلبة الاقتداد وعصيان
القصد في طاعة الإهجار إذ لا لانتضاض البلاغة وإعمالا



المفترض السفاهة بالفصاحة وجدوا على عرار الشعراء في
استعمال المجاز وأغفال التحفظ والاحتراز إنكاراً لانتقاء هذه
المساوي السود في مخص قد شرى على تصاريف الزمان وجرب
وأكل على طعمي أحواله وشرب ولم يعلم أن الله تعالى إذا أخذ شخصاً
ممن يشاء من عباده لم يبق منه إلا جاماً مسنوناً وجلداً على أخلاط
الفساد معطوناً وعلى متكشف حاصرة الشك عن واضحة اليقين بالإفصاح
عما أبهم والإصباح على ما أظلم تحذيراً للغفلة الأنام وتيسيراً للشاكلة
الاستخصام وتنبيهاً على مزلة الاغترار بظواهر النعم والانخداع
لزواهر الأحاظي والقسم فكم من صنيع يروق العيون نوره ويروح
النفوس منثوره وقد قطف عنا قيد ذووه وأراق أباريق
عروق وفوق المنايا عن عضل من الأنياب ذوق ومن شهاب كما
خط بالإبريز كاتب أو حل عن معقود اللواء راكب يستوقف
الأبصار ضياءً ممدوداً وبهاءً بأفق السماء معقوداً قد ريم
من طاد بطوان وهمد من دام التحير في جوان وكذلك الدفل
يغر الناظر مجرده وينفر عن عتيق الورد زبرجده ثم هو الداء

المجلوب

المجلوب لمن حبر والسم المقشوب لمن فكر واعتبر ولولا أن قصد
الشريعة أن تسمح بحظرها على العموم ونكافي أبن الكافة في فضلها
المعلوم إباحة للكتابة التي هي قيد العلوم وصيد الحكم المبثوثة
في الرقوم لقلت لله در ساسة العجم ورفعهم أقدار الدواة
والقلم حين حبسوهما دون ذوي الاستخفاف وحظروهما
إلا على الكرام العفاف لله در أنوشروان من رجل ما كان أعرفه بالدون والسفل
نهاهم أن يمسوا بعده قلماً وأن يذلل بنو الأحرار بالعمل
فما كل تحين لها كفاءة في مناكحة الآداب وملاءة في متاجرة
الكتاب ولا كل مسك يصلح للمسك وعاء ولا كل ذرور يصلح
للعين جلاء وأضيع شيء عقد في نحر خنزير وجد بكف ضرير
وخطر بجنب قبر ونقش على بنان فاجر شرير ها إن المذكور
معدي الأجناد بخراسان دناءة همة وبذاءة قيمة وخساسة
مفعول وحصاصة معقول نشأ في بيت الفضل والنعمة ونما على فرش
اللين والنعمة فرق عليه نعيم النشب وعلق به نسيم الأدب
فأصبح مخيلاً لصوب الصواب في أفعاله جديراً بالحكم الانتخابية



أمثاله يظن به وبعض الظن إثم أن الفرع إلى الأصل نازع والغيث
للغيم مضارع ولا علم يقضي بأن النار تخبو عن رماد ماثل والخمر
تطفو على عكر سافل حتى إذا أينع وأينع جلته بذالة الطباع
وجاءته السنخ تحت يد الطباع على عقوق أبيه سعاية به إلى السلطان
فما يحوبه وإنما غاليه بأملاكه وأملاك ذويه فاستولى عليه قبل الاستحقاق
ماله وضم مجالة وأحال حاله وفجع به أمته وكانت عياله وأجحف
دون ما اقتناه على كبر سنه وضعف أساسه واستعجل للمسبب
بأسه وشرب قذى العمر آخر كأسه فطفق يمري الشؤون
دموعا ويقتضي أجل الكتاب مخمصة وجوعا ويزجي مطايا الاستجابة
بين برد اليأس وحر الأنفاس بدعوات لم ترجع مجانبها الانقاص
الظهور وجالبة الدين لا جالبة السعود وعطف بعد على من
طلعت عليه شمس والده ودفت عليه أعضائه فوائد فيجتهم تحت
السلم وفرضهم فرض الحلم وعركهم عرك الأديم وقشرهم قشر القلم
فغادروا أعرى من الصحن معصورا والسيف مشهورا والنطع
مبسوطا والدجاج على السفود مربوطا كل ذلك بين يديه ونصب

عينيه

عينيه حتى أضمرت له الأرض بذيا للزفرات كظيما بالحسرات غرقا
بالعبرات شرقا بآثار الحيف وعقد على مال حطته بلحج رستاق عقدا
اشترى به أهلها وأخذ يطيبهم بما يريهم من سداد البيعة ورعاية
حق الجيرة ذريعة إلى استكمالهم واستيصالهم دون جرائهم وأموالهم
وساعده عدة من شيوخ تتابعهم بعض ما لزمهم استمالة لهم على بؤساء
معذورين وضعفاء مضرورين وساءهم بعد الاحتكام عليهم في التزام
برعايته والتواصي بطاعته عقد الوثائق عليهم بتصحيح ما لزم ضمانه
بنكسر وجيران حتى من عنده بنجبه حتى إذا استتب له ما أراده واستوفى
عليهم الحق وزاد وضع عليهم يد الاستصفاء بعلة حاصل وباقي حاير
وباقي فأخذ ما وجد من صامت وناطق وصاهل وناهق حتى إذا الرث
كل من ذي يديه وبادر غير أطلال الضياع والرباع عليه دائم
استنزالهم عنها طواعية أو كراهية فمن اهتبل منهم فرصة الخلاص
على التظلم بما دهاه فأوهاه وعراه فعراه سبقه بمحضر العصبة
القائمة بالإثكية خفارة التوفير وكفالة التزوير فارتد على
عقبيه خزيان قد سال به السيل وأسوأ أن طاف به الويل ولج



عليه النهار والليل فإما أن يزول على كرب وقلق، وإما أن يؤول على غيظ
وحنق حتى استخلص الضاحية والضامنة، واعتصر البادية
والكامنة، وغادر الضياع حشين، وشرّد عنها الزرّاع حزين،
وأخرس الثغاء والرغاء، وأنطق الهام والأصداء، وطمّ المنابع
والمشارع، وحمى المراعي والمراتع، فلو ملك عصافير الهواء، أو
يعافير البيداء، لاستكرهها عن طعوم القوانص، وحقوق الملاجي
والمفاحص، قد تجافا للأطماع، ولامد إلى الكهوف، ومفالح الولايج الجوف
كالحوت لا يرويه شيء يلهسه، يصبح ظمآن وفي البحر فمه، ومابه
التخيب لولا اجتياح المالك بجوعه، واستحلال حرام الملك بربوعه
كأنما عقد على الدهر حلفا لا يخونه، واتخذ عليه عهدا يصونه ويحامي
من دونه متونه، وهيهات إنها مظالم جديدات الشفاير ومغارم
تبيلات الغرائر، ومصايد طالما خنقت مخارجها وضرّت عليها الشاء
رخاصها، ومطاعم ظاهرها الأري، وباطنها السم، وإن من الربيع ما
يقتل حبطا أو يلم، نعم، وأما سوق الفسوق خاصة وعامة، وإباحة
حمى الفجور بطانة وجماعة، ملتزما سمة الشطارة ومستنبطا بغية

الحجارة

الحجارة، ومصاحبا ثنوس المجوس في حب الإلحاد، وصلة الأخوات والأولاد
بلا غايتهم نقاب خديه، وأذنيه على وجه الإكبار حيزا نجرمه
وربما أراد والله في السر ملاما وراموا من تجذيب حدود الله وتخويفه
مراتما يزيدهم ميطامرين عاهرين لجذب الجاد ما لهم أجفان
توادبها ولا أهداب نبينها تصلفا بركوب الآثام وتكلفا بحظوظ الحرام
وأما أنت لفظ التكلف قطعا على ما سمعته بعض مشايخ الأدب يحكي عن مالك
أبا حاتم السجستاني عن قول رسول الله صلى الله عليه وسلم أبغض الأشياء
إلى الله شيخ زان وعائل مستكبر وفقير فخور وزعم أن القياس يقتضي
كون الشاب الشديد الفحولة القوي المنة أبغض إليه من الشيخ المضعوف
والمعتجر المنزوف فقال هو بناء على قوله عليه السلام أبغض الأشياء إلى الله
التكلف فأبغض الشيخ لأن فعله تكلف وتقدمه استكراه للطبع وهو
تخلف كذلك هذا الخرف المتكلف والشر المنوّه قد قص شيبته على
اجتراف المحارم واقتراف المآثم حتى إذا وضح القتير وزاح المسير والحلّ
المرير وأفرغ ماء الصبير أبت عادة السوء أن ترخيه من عقالها
وتعريه عن سربالها وتصحيه عن وبالها وترثيه الآمل شعب الإراث



يوم فصالها شعر لا تعودْ يا أخي عادةً ۞ تجوي بها ضرًّا من الشين

فعادةُ السوء إذا استحكمت ۞ شرٌّ على المرء من الدَّيْن

هذا ولم يرض بالعقوق الذي وسمه ووشمه وسخّم وجهه وجمّه وردّاه بالخزي وعمّمه حتى قطع على رؤوس الأشهاد رحمه وقتل بيد الشايع الشنيع ولده وكان لحمه ودمه فلو كان كأحد أولاد السوقة في أخلاقهم بين الحنة والحلوقة لكنه الخمر بماء العهاد والزبد بذوب الشهاد والثم برشف الرضاب والملك بشرخ الشباب والأمن بطعم الوصال والحلو بطيب الحلال والعفو ببشرى النوال والعيش بموت العذال وشمس الجنوب بروح الشمال عشق الأدب فلما أن عقدت عليه تمائمه وربّته دون الاحتضان روايمه نجا كالفرخ هدى أوله النصل المطار ووجد أسفله الريش الطهور وناهز عشرين من سنيه يربي الخليل في جنب فضله قليلا وسيبويه كليلا وعبد الحميد رديدًا وأن العميد عميدًا إن خط فنقش العبد على أيدي الكواعب الغيد وإن لفظ فعقود الدر منظومة وأفاحي البطاح مرهومة ولولا أن إباءه اغتبطه دون مداه لحلف من أتاه بأنه وخلّد من أنواد إبداعه وإحسانه ما ينضح ماء الورد في تصعيده

وعصر الخمر عن عناقيده لكنه لم يغن إلا قدر ما المحتة العيون حتى اختطفته المنون فقامت نواعي المجد يندبنه جميعًا وظلت من بينهم صريعًا أنشدهم وإليه القلب وجيعا شعر قد كان لي فيه رايه وذكائه

اشراط صدق أن يموت سريعا ۞ ولقد ضمّني وإياه مجلس بعض أركان الدولة اليمينية فاتفقنا ثاني اثنين من بين الحضور على نافث الهموم وتذاكر العلوم وتناشد أبيات الكرم واللؤم فما كان إلا أن حمي المجلس بناره وعقر الشرب بعقاره حتى انجلى عليه عمال اختياره وانفتحت له أقفال أسراره فغرق في بحر الدموع عينه والغي إلى ما داربين أبيه وبينه بقرر زمانا عليه من جذبة الأدب والاستغناء بعصام النفس عن عظام النسب على طاعة من ولده في جحوم والبروز على حكمه أمره وزجره وأنه حين ملك أمره وعف من حله حرمة وانفرد بتدبير معاشه وتوفير نعمته ورياشه ناهض أمله معونة أبيه ببعض ما يستحقه برزة الأبناء على الآباء فلم يرده على أن ذاجمه في إرثه عزائمه وحال بينه وبين ما كتب الله له من حقه مطاوعة لربيبة اعتقده فذاق عقبتيه وإذا قد ذبلته فجلاه عنها تدبير دابته وقاصيته وولاه رتبة

حاشيته وغاشيته وحكمه في عرض وله وسائر ما تحت يده فاتجر ذلك
الفاضل دون نعمته واقعده دون الاستمتاع بنجمته وجعل كل
من يعتزي اليه منقوما ومقدوحا ومن يعتزي به ملطوما ومصفوعا
حتى اضطره مراح اليأس ولجاج الافلاس الى قصد شمس الكفاة
لاستماحته وانتجاع ندى راحته فحين علم ابو المعنوه بخيبته
على شاطئ الاقبال واستقلاله على مواطئ الآمال ندب العكر لا
واستمر الليل لاقتناصه باخذي حبائله وحباله فدس اليه على ماشاع
وذاع وشحن المسامع والبقاع من ذعف له نقيعا غادرته على فراش
المنون صريعا فانتقل غير بعيد الى جوار الله ودار كرامته متشكيا
يديه فوق هامته ومستنصرا ولي العدل ومالك الخلق على ظلامته
ومتخصما حول العرش الى يوم قيامته وحدثت عن قهرمان بيته
ومدعا دا ابيه الشفيه بما كان استفضله عن رواتب نفقاته
واقتطعه دون عوارض حاجاته استظهارا به على حوادث النوب
واستيثاقا على معالي الرتب انهم واخرين دفقاته انفقا من جملة
المال قدر ما قطعا به المسافة اليه ووضعاه في اكياسه بختومها بين يديه

فكان

فكان جزاؤه امانه ان وضع الدهق عليها حتى استغرق ملكيها وانتزف
صليب العظام من بين جنبيها ثم قصد حليلة زوجها اشفاقا على صونه
للحال ومستورة المال من هتكة الاذاعة وفضيحة الكشف والاشاعة
لولا انه اعتصم بالاستتار دون صاحبه مرعدا بما تحاماه و
مبرقا باستنزاز ما واراه ولم يرض بالارث وقد حازه دون
مستحقيه من قراباته وذويه حتى قطع سياط المطالبة على وكلائه
ومواليه وهلم جرا الى شقيقة له معجرة في الحجاب معنسة دون
الخطاب خلافا على الله في حكمه واجتراء عليه في فرض الاسلام
وحتمه واستحقاقا لو بلغ الالسن يغرد به المجروح وعرضه
المفضوح وعقده المحلول وسر المحجوب بالغلول فعراهم ذكرانا
وإناثا عما لبسوه من بال وجديد وطارف وتليد اغتلالا عليهم
بعلايا اخرجه للمتوفى على ضياعه وهي تحت استغلاله وفي
ضمان مزارعيه وعماله ولم يستثن من جملة الداخلين كانوا اليه
رحمة الله عليه للتسليمة عند موسوم بجريمة ومكدود بهضيمة
ومنفوض عن ذي جرم وكريهة ومغلوب على ما هواه من تبعة او تهمة



فرادته المقصورة المحجوبة تشكو اليه بلابلها خضوعا وتمري عليه
مكاحلها دموعا ضيقا بما دهاها من إضاقة وأفرحها على مس
التشبيب من فاقة وتسأله سؤال المضطر أن يملك عليها ما ملكته
إرثا ونحوي ما حوته عتقا وجدتا مصانعة له دون ما أطلقه
عليها من أيدي الجنود وأخياف الترك والهنود فهرت في وجهها
ضجرا بما تشوفته من نطقه وقلقا لما خصفته عليها من ورق الصيانة
عن سجع وجعل يزيرها في جواب التلطف والتألف بأجذ من ...
القراع وأشد من ململة القلاع فعل من لا تكفه حرمة ولا
تكنفه رحمة ولا ترق عليه رأفة ولا يخف اليه في ذات الله
مخافة ولا يثنيه عن وجوه الناس حياء في ذلة تذال وعورة
تنالها الأيدي الطوال فلما آيسها الإغراض إذ ذكا الامتعاض
وآلت حلفة مصبورة لئن لم ينته عالم بقصد مثله والدذات
خدر وكريمة ورآء ستر لنهتكن الحجاب ولنطرحن الجلباب
ولنجثين على قرونها التراب منطلقة الى حضرة السلطان في
إيضاح ما آدته الجذر منه وطرحته المجاملة عنه وكتمته

ضمائر

ضمائر الإشفاق فيه وطمسته ذيول الهوادة دونه فقال المجنون
لأخيه وهو معدية ناديه أغلق على هذه النجبة الورهاء فقد
أبطرتها الفضول وأنطقتها دالة الإخمال فما تدري ما تقول وهذه
والله جنة الأبطال في حماية الذمار ورعاية حقوق الحرم
الأبكار ورحم الله أبا الفتح البستي حيث يقول

لي جارة فيه جيرة عرسه تلعن ابنة • خلق الله اله الناس للغيرة عنين
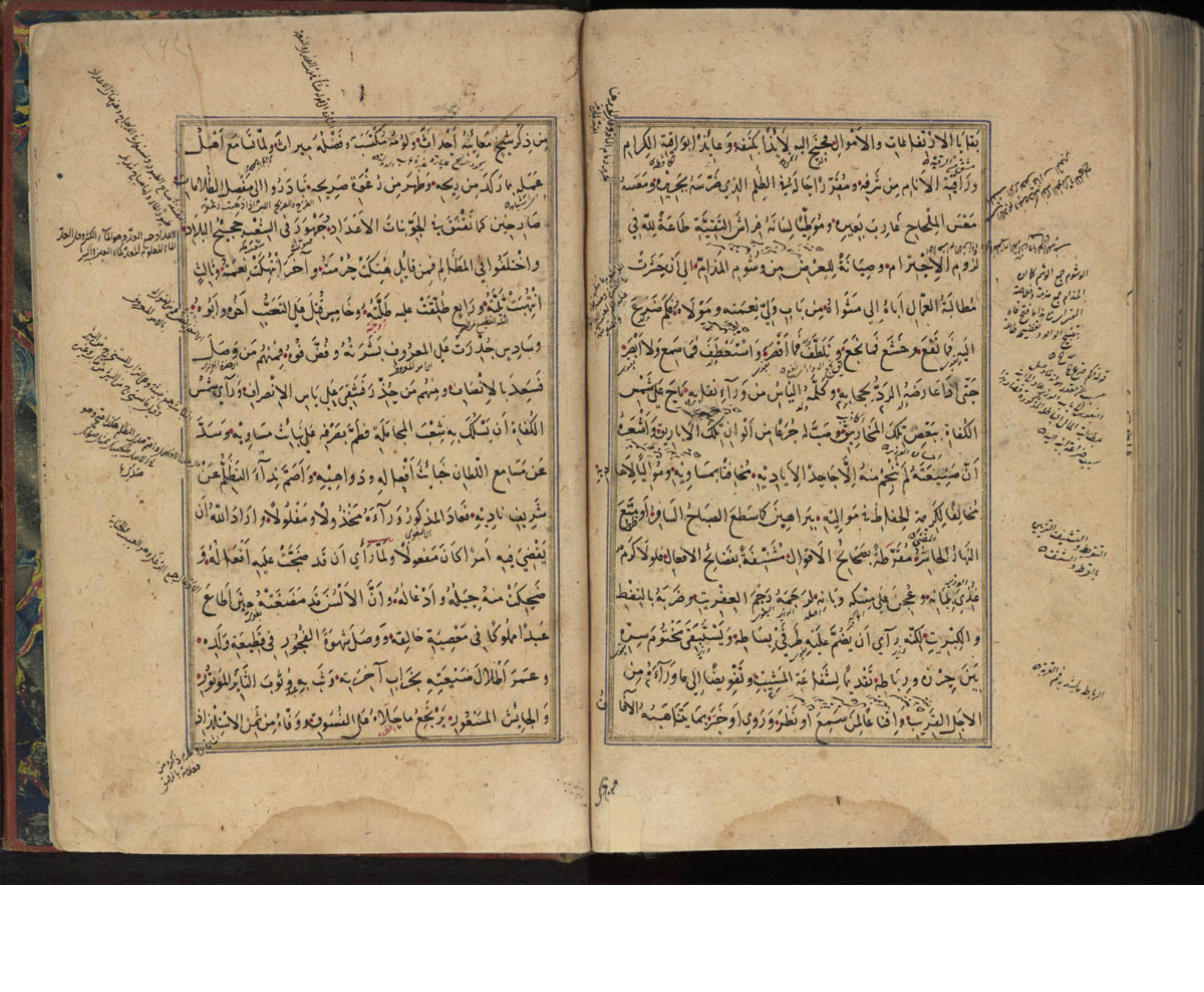
ولما فرغ هذا الفاضل عن هلاك ولده وورائه ما كان تحت يده
واعتصار المظلومة عن بلالة حالها وعلالة ما لها ندب أخاه
لصلبه وهو يجهز أولاده ومن يرجوه مثله لمعاشه ومعاده للتبتل
بمعاملات ناجته اختيالا عليه في الحاقة بأخيه واقتطاعه دون
كفاف يتصرف فيه فتلطف واعتذر واعترف بالعجز ما قدر حتى إذا
أعياه التلطف ولم ينفعه إلا التصرف مذ رفقته لربقة التقلد
وكثر سعيا على طارف الملك والتليد وما زال يجبي كل ولود وزور
ويبري كل بكي وذرور حتى نضب المال إلا قليلا وعصب ريقه إلا
بليلا فطفق يجرع بعجزه وتضجيعه ونكثه على حرفه وتضييعه



وانبرت جمع عليه ما لم يثبته سمع ولا بصر، ولم ينبته نجم ولا شجر
ولم تطلع عليه شمس ولا قمر، وسبّب عليه لاعلاج الهنود وغلاظ
كفارهم السود ما لا أوهى متن طاقته، وأتى من وراء فاقته، وحمّلهم
عليه بتطميع في عاجل موزون، وترغيب في آجل مضمون، حتى أوهنوه
شذًا وإيناقًا، وأثخنوه ضربًا وإرهاقًا، ووضعوا عليه في بعض لياليه
دهقًا استمر به إلى الصباح البادي، حتى إذا لم يبق منه غير فاقد الطاقة
علموا أنه مظلوم، وأن الإلجاء عليه في دينهم المدخول، وشركهم
المرذول، فزم ولوم، فنفضوا أيديهم به لا عين إباء، ومن أرضعه
ورباه، وأطعمه بعد الله وسقاه، وما ظن الأفاضل الكرام بمن
يؤتى في رحمة الكافر الفاجر على قساوته، وطبع قلبه وغشاوته
وبمن يزعم أنه والد يحنو على ولده، ويعتدّه فلذة من كبده
وبضعة من روحه وجسده، كل ذلك طمعًا في استزادة ماله
واستضافة جاله قصدًا إلى محق وزواله، فلا رحم الله كل
جافي العقيدة، خائن المكيدة، قاسي الفؤاد، جاسي دماء الأولاد
إن للآباء فروضًا على الأبناء، وللأبناء حقوقًا على الآباء، فإن يكن

من فرض

من فرض الوالد أن لا ينتقص منه متى قتل ولده وقطع بيده يده، فمن حق الولد
أن يطاع الله في صلة رحمه، وتقوى الإقدام على روحه ودمه
نعم ولما أن خفّ عن البائس كربه، وانجلى عنه وصبه، أسرى إلى
جانب الأمير أرسلان الجاذب في السلطان يمين الدولة وأمين الملة
في زحفة السهم المارق، والرجم المقذوف على المارد السارق، متشابه
عارض الباس، ومستبقيًا روحًا معلقة بخيط الياس، فآواه وقبله ونشر
عليه جناحه رحمة له، وكتب إلى أركان الدولة في بابه ما أطلّ عليه سعاية أبيه
وغلّ دونه نكاية قصده ونحيته، وحاذر الفاسق المارق افتضاحه بآخر
ولده، كما افتضح بمن قبله، أذوى الله صداه، وفتح أباه، فلم يزل يلقاه بتعوّذ
المخاريق، وبرقية التزاويق، حتى أقرضه ما لا سدّ به منخر بأسه، وردّ معه
عذوي استعاضه، وشابه، كان المقنع حين استقرض السحاب، واستوجب
الأمن والأمان، فلو نقب عن منافس تنوفه ومنافخ جلده وعروقه
لانتهكت حيلًا تعجز كل صابغ وصائغ، وتغلب بين الوحوش دوابغ
وما زال هذا المذكور يختلف به المسرح والكون إلى أن قدم شمس الكفاة
وزير السلطان يمين الدولة وأمين الملة، سرو الروذ متشوفًا على العمال


بنا بالانتقالات والاموال المجنح اليه لاذا بكنفه وعائذا بواقية الكرام
ورافية الانام من شرفه ومفترا اجالة الظلم الذي خرسته بجنبه ومعسه
معس الملحاح غارب بعيره وموطئا لسانه فراش التقية طاعة لله في
لزوم الاحترام وصيانة للعرض من وسوم المذام الى ان جرت
مطالبة العمال اباه الى مثواه من باب ولي نعمته ومولاه فكم ضرع
اليه فما نفع وخشع فما نجع وتلطف فما افره واستعطف فما سمع ولا ابر
حتى اذا عارضه الرد بحجابه وكلمه الياس من وراء نقابه باح على شمس
الكفاة ببعض تلك المخاريق وصب له جرعا من الوان تلك الاباريق واشعر
ان صنيعته لم تنجم منه الاجاحد الايادي فتحا فاتها ساويه ومواليا لاعاديه
مخالفا لكرمه لمخالطة مواليه براهين كاسطع الصباح الساطع او سطع
النهار الحاسر مفترطة بصحائح الاقوال مشتبعة بقبائح الافعال فلولا كرم
عذيبه وجناته وتجنس على منكبه وبابه لرجمه رجم العفريت وضربه بالنفط
والكبريت لكنه راى ان يضم عليه طرفي بساطه ويستبقي مختوم سر
بين حزنه ورباطه تقدما لشفاعة المشيب وتفويضا الى ما وراءه من
الاجل القريب وان عالما سمع او نظر وروى او خبر بما يتناهبه الاهالي
من ذكر شنيع معايبه احداث ولوم منكب وفضله ميراث ولما تسامع اهل
عمله بما ذكر من ريحه وظهر من دعوة صريحه بادروا الى منفصل الطلامات
صادحين كما تنشق به الجونات الاعداد جهودا في الشغب حجيج البلاد
واختلفوا في المظالم فمن قائل هتك حرمته واخر انهك نعمته وثالث
انتهبت ثلمته ورابع طلقت عليه طلته وخامس قتل على التعصب اخوه وابوه
وسادس جدرت على المعروف بشرته وفض فوه فمنهم من وصل
فسعد بالانصاف ومنهم من جذ فبقي على باب الانصراف وراى شمس
الكفاة ان تسلك به شعب المجاملة فطم بعرفه على نبات مساويه وسد
عن مسامع السلطان خبائث افعاله ودواهيه واصم نداء التظلم عن
شريف ناديه فعاد المذكور وراءه مخذولا ومغلولا واراد الله ان
يقضي فيه امرا كان مفعولا ولما راى ان قد صحت عليه افعاله و
ضحكت منه حيله وادغاله وان الالسن قد مضغته حين اطاع
عبدا مملوكا في معصية خالقه ووصل شهوة الفجور في قطيعة ولده
وعمر اطلال صنيعته بخراب آخرته وثب بجوبوثوب الثائر الموتور
والحائن المسعور يرجع ما جلا على النسوة ووفاء من ثمن الانداد

لسلعة ذلك السوق، ويرى أن صنيعة ذلك الجميل سمة الإلائمة وبقية
سبالة لا لبس الذامة. فاسترد ما نحله من صدائه، ورجع عليه بقية ما أثره
من نجاحة استدائه، وعزاه عما أعطاه، بعد ما علاه واستطاه، ونطحه البلاط
بعد أن بطحه، لوطئ البواط، بتبذ لامنه جزدة، لطالما امتصها بثغره.
ولكنها بغار صبيه، وفداها بنفسه وأبويه، ودفن عليها أجداد لديه، هذا
والله الجود لا ما تبني عن حاتم العرب، وروي عن سادات بني عبد
المطلب، فلحا الله من رضي بها للنفس سيرة، وجاها على نابخ الأحقاب
كنزا وذخيرة، إنه وذات الأستار ببطن مكة لأرذل من والغ في جيفة
مغلوب، وأنذل من طامع في شريطة مغلوب، إن كان ما أتاه ابتغاما
فهلا ذلك والولد جني، وفي اليد من ملك الخيار شيء، الآن وقد سبق
السيف العذل، وقد فعل القضاء ما فعل، أو ردا وقد نضب الماء وشيا
وقد أضحت السماء وغيمت وقد سقط الجدار وسترة وقد طهر السوار
وهيهات هيهات لظن جائل ورأي فايل وظل زائل ووزد ماء سايل
أيتها النفس أجمل حرعانك الذي تجد بن قح وفعل، وإياك معترش
لذته، ومعتصر شهوته للانقطاع إلى بعض كبراء الأمراء فقبله وآواه.

وانتزعه

وانتزعه من قبضة مولاه، امراغمة كونه باد اضغانه، وشؤونه على
جرار عمومه وأشجاره، فلا حميم ولا قريب ولا ولي ولا حبيب ولا
والد ولا مولود، ولا عابد ولا معبود. فأما الشرع وطريقته والدين
وتحقيقه، فجهلا به إن يرى وضوح هذه الخلال على شئون أحكامها
وسفه أحلامها لغنية دون شرح الحال، وتشريحها بتبليغ لسان
المقال وتفضيحها، غير أن التقرب إلى الرسول المصطفى الأبطحي
المجتبى صلى الله عليه وعلى آله بقوله اذكروا الفاسق بما فيه، يقتضي
التنبيه على مخازيه، تلخيصا للخفايا نكت وخبايا، وتشكيلا لأملاح
وزواياه. ليعلم الأفاضل أني جاورته على البريد قريبا من سنتين
فلا والله إن تصفحت الأحداق به في المسجد الجامع للفرض إلا
يوما واحدا كبيضة العقر، أو كعقبة البكر، فما أدري أخطأت
به خطاه، أم ألجأه عذر تخوف عقباه. وتجاذبنا حديث الصلوة
فقال مازحا وما صدقك إلا مازح أو سكران، قام بعضهم وهو يسعى
يوم جمعة للفرض وقد نودي للصلوة فقال له صاحبه مكانك إن
أربعة من خبز البيوت لخير من اثنين من عمل السوق، وقد كان من

طريق النحو سائغ للتأويل على وجه الملح. ولكن من هذا قبله ترك
العبادات سبيله. فلا عبد يعتاد. ولا فرض كما يقتضيه العباد.
يحال به غير اليقين بالإلحاد. وتلقى أوامر الشرع بالعناد. واطف
قول الغلام الواصف مولاه. إنه ليعرب في الشتم ويلحن في الإعراب
ويصلي من قعود. ويبك من قيام. ينحو إلى صورة جاد. ويأوي إلى مقصورة
خبثه وضلاله. فجل أحواله عيوب. ومعظم أفعاله ذنوب.

يصلي فيخفض أركانه. ويشتهي فينصب سيقانه.

يخاطب بالكاف إخوانه. ويشتم بالراء غلمانه.

ويكشف للستر أكمامه. ويتجنب للإثم أردانه.

ومن نادرة البلد اعتماد الأمير الأجل عميد الأمة ثم لا يتقي
محظورا ومحجورا ولا يستبقي عملا موزورا ومنكرا من القول وزورا
مما هو طمع بمستهدي في مال رجل كان انقطع إليه منذ زمان باماني
فأغرى به ربيبا له كغضب من الابن بن بعلة فكان بأمه إذ هو
رضيع وعلى جدار العجز صريع ولقنه استعداء الأمير الأجل
سعيد مسعود بن يمين الدولة وأمين الملة عليه وتنجح الأمر في معنى

الانتصاف

الانتصاف إليه فنبه ذلك الأمير الألمعي والسيد اللوذعي على ما بعض
كيد وباطن ختله بنه ميله فأمر بالكتاب إليه في تعرف الحال وتجنب
جانب الإجمال والانتداب لإعداء الشاكي على خصمه وإيتائه حكم الله
في أمه فلما أحس أخو دلة المجالة أن جذبه قد قال. وطنه قد استحال.
وسعيه إلى البوار قد مال. سمع شهود الزور أن يصدعوا بالحق فيما
بذلوا من خطوطهم ترغيبا وترهيبا فمرضوا القول وادعوا على ما لهم
القول ومال المزور إلى التوسط عن أرش المستباح دمها على أن دية دم
قيمتها خمسة دنانير فلم أدر أية نحلة وقعت بأن ديات الأمهات على
هذين العقدين فما في الإسلام له ذكر معلوم ولا في الفقه باب مرقوم
ولا عند أهل الكتاب أمر محتوم ولا في ديار الشرك رسم مرسوم ولا
في فطر النفوس أن تنزل عن أمهاتها مقتولة هذا الوكس والثمن
البخس ولا الخاتن والنزود لو نطقت رضين عن واضعاتها بمثله
وكم قد قلت وأقول إنها ليست دية تودية أو ودية بل هي دية نسبة
مسلمة قد حقن الله دمها إلا بإحدى ثلاث نصا عن رسول رب العالمين
صلى الله عليه وعلى آله الطاهرين فهل يستجيز الترخص في هذه الأحكام

إلا المستخف بدين الإسلام أمانة المحكوم عليه لم يلتزمها إلا بقدر
قومت بمائة وعشرين فقال المنخوع المخدوع بالله لا رغبت بهذا
الغبن ولا شربت الدم لحمام باللبن وهم بالرحيل في أمر النيل
فاغتيل فلم يدر أأكلته النار أم شربته الماء والتقطته الأرض أو اختطفته
السماء فلله هما من دمين ذهبا بطرا أو مخصين فقدا غيلة وسحرا
هذا والله الدين السليم والعقد الحكيم والأمر القويم والسمت
المستقيم والمبالاة بما وراءه الجحيم ومما يدل بهما أدام الله المشايخ
فضوحا ويفيد هذه المقدمات وضوحا ما كانت الأخبار تتناهد
به من استحلاله عند الإشفاق من لواحق جناياته على سلطان
زمانه ورعايا عمله ونكايته حتى ما نسب إليه من صلح وعقار
وبايع وذا دليتا هب ذكره الأسماع ويتقاصر دونه الأطماع حتى
إذا خلا حق واستتام على ابتلاع المراد شدوه بتدبير على ما فعل
ورجع فيما بذل وفصل بالنسخ كل ما أجمل فكان هذا البلاغ يقرب
تارة من الإمكان ويبعد أخرى حتى أغنى مشخص العيان عن الخبر
وكانت شمس البيان عن القمر وذلك حين بعث السلطان يمين الدولة

وامين

وأمين الملة قاضي قضاته أبا محمد عبد الله بن محمد الناصحي إلى ديار
خراسان لتدارك أمور الأوقاف وانتزاع ما افترسته أيدي
التسلط والاختطاف فرفع إليه خليفته وأبا حامد وإلى جنابه
ما يرد ويصدر ناظره ما تقرر عنده من اجتحانه ما يقارب
مائة ألف دينار عن أوقاف وضع عليها سمة التملك وسومة التغلب
والتحجر كما عفا فيها أقواء أربابها دون التظلم بوعيد دونه
دقراق السراب ووعيد عنده قراب الرقاب حتى درج عليها
قرن بعد قرن آيسين عن الإنصاف وخلف من بعدهم خلف
قانعين من دونه بالكفاف فأوحى إليه بإنعام الاستقصاء على
حكم أمانة القضاء فقام فيه وقعد وأبرق وأرعد وانتزع
مالا عظيما من تحت أضراسه وحذره بالافتضاح إن تعرض
لمراسه وكان قصاراه أن سكن وسكت وخشي أسوة أمثاله العنت
وأحضر الرجل طواغيت الشهود وعفاريت السوق والمردود وعقد
بمشهد هم على شهاداتهم وتأنق بوقفه كل ما ملك وإطلاقه على وجه
الله جميع ما أمسك يوري بما فعل أن المتبجح بما تحت يده من قليل

وكثير وزهيد وغفير بزائد من الطمع في مال لغير موقوف وعرض
إلى وجوه القربات مصروف فلم يتراخ الأمد على هذا العقد الوثيق
والجد لأن المستنة بالتوفيق حتى قال لي وهو يشكو الوزير شمس الكفاة
وساعة أنا طيل السعاة: ما هو إلا أن أحل عقود أملاكي هذه على
طغرى إلى العراق سائبا خراسان وأهلها وقائلا قرأت الميلاد وما
الطارف والتلاد منها فقلت إنا لله وإنا إليه راجعون من شيخ هذه
نعمته وما نطق به على وجه الاستحلال وغيظ البخل على أملاك
الرجال بغيته هذا ومن فضل سماحته وإساحته فيض راحته
أن كل من ساكنه في حلته على عمل يلبث أو مال يجبيه كاله كما شاء
جزافا ووزنه تبذيرا وإسرافا استحقاقا للسهاد أنهم لم يجودوا
تحت قدم جذو الكرام بموجود حتى إذا اقتضى الوطر منهم وملك بسطة
الاستغناء عنهم تبع عليهم ضبابات القدور وخلالات الثغور
وقمامات الأطلال وصواحات الأصوات وجعل المطعوم في ذمة
الذهب المصون والمشروب بزنة الجوهر المخزون والدرهم الواحد
قنطار الوجد ثانية دواوين الشرق مطار استعانة من خشت أدويته

وأريت على دمنة اللوم جرثومته فتعضد زعنة العامل والمجاور والأجل
مغبونا مدة مقامه موضوعا بشرابه وطعامه مفجوعا بما اقتناه
غابر أيامه مخدوعا عن شهادة ختمت صحيفة آثامه وقد خصف
على فرجه بكلتي يديه يبادي في عدوة السلك ويبادي لبيك اللهم
لبيك وليست هذه من آثار محتجبين كمون أخبارهم وسدول الأستار
دون أسرارهم وقصور يد الاستعلام من معقد أزرارهم غير أن لكل شيء
أمدا ولو أبى الله أن ينفع الظالم أبدا ألا إن المال يحرز الماء ويحقن
الدماء ويجمع الأهواء ويدفع الفضاء وينشر العواد والعود أحمد
ولقد بالغ أبو الفتح البستي حيث يقول

أشفق على الدرهم والعين ... تسلم من العيبة والدين
فقوة العين بإنسانها ... وقوة الإنسان بالعين

غير أن المال متى سلب الجمال وأورث القيل والقال فهو وبال ولا الدين
مطلوبا والذنب مكتوبا والأنف مجدوعا والبنان مقطوعا فقبح الله
الأغراض متى دنست الأعراض والأموال متى لطخت السربال والأملاك
متى أعقبت الأوراك والحائب متى أبدت المعايب فأما موائده ومطاعمه



فحذوها إليكم بإسناد كما انفتحت الأصابع وانسقت الكعوب والقوارع
إنه يغدو مع صفير العصافير على أطعمة يربو عليها حشاه كما حشا
الدقيق جرابا وأثقل الرصاص كعابا فما هو إلا أن يذر ذرور الشمس
على صلايات الجدران حتى كأن أولاد البقر تلحس فؤاده وكأن الطليم
يدعي فيه ميلاده فيتغدى بالفول سنة وعادة ومما يجانسه من عمل السوق
شهوة وإرادة حتى إذا اطفح كالدلو لمن متح كف وقبض الكف على قرم لا يطير
دراجه ولا ينثني دون الجذب بحاجته فإذا انتصف النهار أو كاد
وانتجف الحرباء الأجلاد دعا بطعام اليوم وهو المتكلف وما يقيم رشمه
الصلف فاحتشى من كل حلو وحامض وامتلأ من كل بكر وفارض حتى يخشى
عليه في الصفاق من الانشقاق وفي العروق من الفتوق فيظل باقي النهار
يشكو أمعاء معاوية وخلاء خابية خاوية حتى إذا اجنحت شمس النهار للأصيل
وهم الطفل على الليل بالتطفيل أعيد عليه الطبائخ والغروف وحشر إليه
الطرائف والظروف ثم يوفي لحيته بلفائف كالأضابير مطوية والطوامير
مختومة ومسحية وربما تعار بعض ساعات الليل فنادي بالجوع ويلاقي
الطهاة بالقنوع فيحاش نجالة الوقف من مستودعات البواتيق

ومطبخات

ومطبخات الطيور والغرائب فيتهجد عليها من غير قيام ويتسحرها
لغير صيام طعاما لا يشركه فيه غير الملائك حاضرة والكواكب من محاجر
الظلماء ناظرة فما الأرض وهي الغاية في الالتقام والالتهام ولا
الدعص وهو النهاية في الاستنشاف والارتشاف بأنهم منه لولا ماء
زاد ولا أجوع لولا اقتضاء نفاد ومن نادر رأسه في المعافرة أنه يكتب
ضمانة في التنقل من الصبوح إلى الغبوق والتردد بين الفجور والفسوق
فإن نشط للتنزه تبوأ مقاعد الأكناف كما يتعود مقاعد الأخفاف
فيها ذي بين اثنين جرضاية جلد شيطان وجيفة في صورة أفعوان
قد نجم بينها شوخ النخل الرماك بل صنيع الداهيتين بالضحاك وربما
يبقى في الأرض سنة أو أكثر مشفقا من تكلف الخدمة لولي النعمة وتجشم
المسير إلى باب الوزير فيرسو على التعالل مالا ويخلو وجوه الأطباء
وأصحاب الأنهار فرهاحفا فاو بد ورأيتها لأدولس هذا الاحتيال
بأغرب من اكتسابه الزمانة على مسلع الطبائع وشموس النفوس دون
الإصغاء إليها فضلا عن التراد عليها فسبحان من خلق النفوس أطوارا
وجبل من الهمم أنجادا وأغوارا هذه من أعيان مساوي هذا الفاضل



العاطل ولو سردت أمثالها لطال الكلام وعاد الإبرام ووراءها من دناءة
الظلم المذموم والدغل المكتوم وتنكّل الحيزوم والذل المملول للعاب
اللؤم ما يربي على دقائق الأبراج وأجزاء جواهر الأمشاج والصعداء
على الإصرار كبائر كما أن ذنب الشعور على الأيام غدائر ولقد أحسن
ابن المعتز حيث يقول: خلّ الذنوب صغيرها وكبيرها فهو التقى
لا تحقرن صغيرة إن الجبال من الحصى. وما اقتضى التنبيه على معايب
المذكور ومعايره والتلي عن شطط عقايصه وذوائبه مقاساته صنايع
لي عنده أيام آل سامان وبعدها من حضنته وعهد دعته وغبّ
طويته وسر أخفيته وشغل كفيته ودر أوليته بأن كاشفني بمودة
جمعتني وولده المعتصم أبا المظفر رحمه الله بعد أن لم يرج لعظيم
سبلها صفاء ولا لبهيم ليلها انقضاء وذلك لأن شمس الكفاة نظر بي
لمجاورته وتقسّمني بخبرة معاشرته مكافأة على خدمتي دولة السلطان
يمين الدولة وأمين الملة باليميني في شرح أخباره ومدح مقاماته في
غزواته وأنصاره فما زال يسري إليه عن نهيمة كقطار ديمة ووقيعة كسراب
بقيعة على غفلتي دون ما يصيبه لي من شرك ويهيجه من مفترك بهويه له

إلى لحظ

في لحظة كان وعن قرض بحسنة نافر وإلى مرموق بعين الكفاية بما
يستحقه صدر الوزارة مائل وفي شعب الاختصاص به والانقطاع
إليه سائل أكذوبة لم يخلق الله لها رأسا ولا ذنبا ولم يعرف لها ودا ولا
طنبا ودمنة لم يهتد دمنة لسوء رجو إبرها ومصقوف كلاها وإباهم
حتى هاجه ملك الليث موتورا والنمر محرجا ومقروا الملك كدخنجي
استنزلته عن جرانه وثنايته وجهدت حتى نجوت منه ذا أثارة من
وطفقت أنشد وقد فارقته سالما:

إذا نحن أسلمنا بأنفس كرائم رجت أمرا فخاب رجاؤها
فأنفسنا خير الغنيمة إنها تؤوب وفيها ماؤها وحياؤها

وأغرى بي يد الملك ابن شمسه يمين الدولة وأمين الملة في عظيمة لولا
أن ألهمه الله الأناة وأشعره الحصاة فنفر ونقب واستشف
أعطاف البلاغ فعل من جرب ودرب لثارت على منه داهية
لا تبقي ولا تذر ولاستطارت عباقة تعفى عليها الشعر والبشر
فمن الله تعالى بأن فضح الناصح فيما زوّره وكشف وجهه وكوّره وأهواه
فيما حفره وختمه بغوى ما أسره وسخم وجهه بنور الانفعال



وكشف عورته بفحول الرجال وجعله عبرة للغابرين بشرح هذه الاحوال
فمن قرأ هذه الفصول فليحمد الله على السلامة من مثلها والبرآءة من
فوادح الاوزار وقوادح النار بها وليعلم ان الاساءة تعقب على
الايام غما ثقيلا وعنا وبيلا وخطبا جليلا ولسانا كالحسام صقيلا
وقبح الله من نقص عمره على زيادة الآثام ومسآءة الانام وجائزة
الملام ويرحم الله عبدا قال آمينا والحمد لله كفاء افضاله
والصلوة على نبيه محمد خير البرية وآله


۱۷۰۲

